

زئيف شيف   اهود يعاري

الحرب المضلّلة

حرب اسرائيل في لبنان

ترجمة حسان يوسف

دار المروج

زئيف شيف اهود يعاري

الحرب المضلّلة

ترجمة حسان يوسف

دار المروج
١٩٨٥

دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - ١٩٨٥

المقدمـــة

الحرب في لبنان لم تنته بعد، وما من أحد يستطيع أن يعرف وبالتأكيد متى وكيف ستنتهي هذه الحرب التي بدأت كحرب سلامة الجليل وتقرر أن تنتهي خلال يومين أو ثلاثة أيام فقط!

هذا ليس تلخيصاً للحرب وإنما الثمرة لمحاولة التشييد من جديد من خلال الحرب لبدايتها وتطورها حتى الانسحاب الأول.

للأسف لم يحو الكتاب (لأسباب الرقابة) جميع التفاصيل التي جمعت قبل الحرب وبعدها بسنة وما من شك بأن ما أزيل من الكتاب لم يؤثر على صيغته النهائية ولا على مضمونه. ومع ذلك سيتضح للقارىء بأن الأسماء التي وردت في الكتاب وكان لها الدور الكبير في الأحداث خلال الحرب لم تذكر بأسمائها الحقيقية... ولربما يأت يوم نستطيع كشف النقاب عنها.

حظينا بمساعدة تامة من قبل جيش الدفاع الاسرائيلي وجهاز الأمن ولولا هذه المساعدة لما توسع هذا الكتاب إلى هذا الحد.

وكذلك لا بد من ذكر عشرات الضباط والصحافيين الذين أبدوا استعداداً لمساعدتنا وامدادنا بالمعلومات التي كانت تنقصنا حتى يكون بمقدورنا حل هذا اللغز الذي يدعى «حرب سلامة الجليل».

كما وحظينا بالمساعدة من قبل رجال الحكم الأميركي وضباط من الكتائب، وفوجئنا بإبداء استعداد زعماء لبنانيين آخرين برغبتهم في مساعدتنا على جمع المواد حول هذه الحرب.

وقد ضمن الكتاب الكثير من الوثائق والحقائق، ومنها وثائق سرية من داخل المنظمة الفلسطينية.

وأخيراً باسمنا وباسم القراء نشكر كل من ساهم في إصدار هذا الكتاب.

زئيف شيف واهود يعاري

الفصل الأول

اعلان الحرب

في التاسعة والنصف بالضبط دخل مناحيم بيغن إلى قاعة الاجتماعات يتكىء على عكازه وعيناه تحدقان بأرض القاعة. وكان الغضب واضحاً ولكنه حاول كتم غيظه وبصعوبة. وقد حوت الجلسة جميع الوزراء (ما عدا آرييل شارون الذي كان في مهمة سرية في إحدى دول أوروبا) وضباط جيش ورجال الاستخبارات وجهاز الأمن.

بالرغم من عدم حضور شارون لهذه الجلسة فقد خيمت روحه على جو الغرفة كيف لا وهو الذي خطط للحرب واقنع الجميع بضرورتها ولكن بيغن لم ينتظره فقد كانت رغبته في هذه الحرب لا تقل عن رغبة شارون...

بدأت الجلسة ودوى صوت مناحيم بيغن في الغرفة: «لا لن نسكت ولن نسمح بأن يطلقوا النار على أي سفير إسرائيلي! لأن ذلك يعني إطلاق النار على دولة إسرائيل، وعلى ذلك لن نسكت وسنرد»!.

ولم يكن بين الحاضرين من يعارض بيغن. وكانت كلمته «سنرد» بمثابة قرار الحكومة الإسرائيلية الخروج للحرب. وفي الواقع فقد تقررت الحرب قبل هذه الجلسة عندما وصلت التقارير عن إصابة سفير إسرائيل السيد أرغوف. فقد اتصل بيغن بقائد الأركان (ولم يخف ذلك عن بقية الوزراء) وطلب منه مهاجمة مواقع المنظمة الفلسطينية.

أما رفائيل ايتان فقد كانت ينتظر دوره لإعطاء التقرير حول هجوم سلاح الجو الاسرائيلي للمواقع الفلسطينية، ولكن ذلك ليس قبل أن يقوم رئيس شعبة الأمن العام المسؤولة عن أمن السفارات والسفراء الإسرائيليين خارج البلاد بإعطاء تقرير ملخص عما حدث في لندن، وقد جاء في التقرير أن أحد أفراد المنظمات التخريبية تربص لآرغوب عند خروجه من فندق «دورشستر» عند الساعة الثانية عشرة وأطلق النار عليه، وقد تدخلت «السكوتلاند يارد» وألقت القبض عليه وتفحص الأمن هويته ومن يقف من وراء محاولته هذه. وأضاف رئيس شعبة الأمن العام بأننا نعتقد أن منظمة «أبو نضال» هي التي تقف وراء هذه العملية وهي المسؤولة عنها.

وقبل أن ينهي كلامه اقترح أن يقوم السيد «جدعون مناحميني» (مستشار الحرب ضد المنظات الإرهابية) بإعطاء لمحة عن هذه المنظمة وأهدافها. ولكن بيغن تدخل وقال أن

لا أهمية لذلك الآن فجميعهم يتبعون «لمنظمة التحرير» وهكذا كان الأمر بالنسبة لإتان وغيره فقد اتفقوا هذه المرة على ضرب وتشتيت شمل المنظمة الفلسطينية.

عندما وصلت التقارير حول إصابة السيد آرغوف سفير إسرائيل في لندن بدأت شعبة الاستخبارات بجمع التفاصيل عن المسؤولين المباشرين عن هذا الحادث وكان واضحاً منذ البداية أن هذه العملية سبقها تخطيط دقيق، فقد عرف المخططون عن تواجد السيد آرغوب في هذه الساعة في الفندق لأنه كان مدعواً لوجبة عشاء على شرف الكثير من رجال السلك الدبلوماسي في لندن. وفي نهاية الوجبة ودع الحاضرين وخرج. وعلى بعد عشرين متراً فقط من الفندق أطلقت عليه النار وأصيب بصدغه.

وفي صباح يوم الجمعة كانت المعلومات التي وصلت إسرائيل قليلة، ولكن نبأ إطلاق النار على السفير من سلاح غير مألوف WS 36 البولندي سبباً كافياً لإضاءة النور الأحمر، فقد اكتشف رجال المخابرات الإسرائيليين أن هذا السلاح المتطور قد سلم لمنظمة «أبو نضال» ولم يسلم لأية منظمة أخرى في المنطقة.

وبعد أربعة أيام بانت الحقيقة عندما ألقي القبض على ثلاثة أصدقاء للمخرب الذي ألقي القبض عليه عندما قام بمحاولته. وتبين في التحقيق أن رئيس الخلية كان مواطناً أردني الجنسية يدعى «مروان حسن البنا» وهو ابن عم «أبو نضال» والذي اسمه الكامل ـ صبري البنا ـ. وظهر أيضاً في التحقيق أنهم تلقوا الأمر باغتيال السفير من بغداد، أما السلاح فقد حصلوا عليه من الملحقين العسكريين في السفارة العراقية.

أما بالنسبة لمنظمة «أبو نضال» فقد اعتبرتها الإستخبارات الإسرائيلية منظمة فريدة من نوعها حتى داخل صفوف منظمة التحرير الفلسطينية فإنها متطرفة جداً، ويقف على رأسها «أبو نضال» الذي اعتبر في الماضي من مقربي ياسر عرفات قبل أن يصبح عدوه اللدود، فقد انفصل عن المنظمة الفلسطينية ولكنه حافظ على اسم «فتح» وعلى شاراته المميزة وادعى أن مجلس الثورة في بغداد هو المتابع الوحيد لخطوط الثورة التاريخية السليمة، واتهموا عرفات بأنه انحرف عن خط المنظمة واعتبروه خائناً وكنوه «بإبن اليهودية». وقد حاول «أبو نضال» اغتيال عرفات ولكنه لم يفلح في ذلك. أما عرفات فقد أصدر حكم الإعدام على «أبي نضال» ولم يسمح له أبداً أن يكون عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وبالنسبة لحادثة الأغتيال، فلم يكن متوقعاً من هذه المنظمة القيام بها لأن «أبو نضال» كان قد وجه رجاله نحو المعتدلين في المنظمة مثل: سعيد حمامي، وعصام سرطاوي، وقد تلقى رجاله التدريبات اللازمة في مخيم «أبو علي اياد» بالقرب من بغداد. وتفيد تحقيقات «السكوتلاند

يارد» بأن الهدف الثاني بعد آرغوف كان نبيل رملاوي الذي عين بديلاً لحمامي.

وبالنسبة للعراق المسؤولة عن هذه المنظمة فقد رأت في هذه المحاولة رد فعل بالنسبة لتفجير الطيران الإسرائيلي للمفاعل النووي العراقي. وكما تبين أن العراق أرادت أن تقوم إسرائيل بتنفيذ تهديدها للمنظمات وجرها إلى الحرب ضد سورية لتثبت للدول العربية مدى تخاذل الأسد وضعف الجيش السوري.

لم ينف «أبو نضال» مسؤوليته عن حادث الاغتيال، وأراد بذلك أيضاً جر إسرائيل إلى الحرب ضد المنظمات ليثبت للشعب الفلسطيني أن عرفات ليس بالشخص المناسب لقيادة الثورة الفلسطينية. وبعد بداية الحرب أصدر «أبو نضال» كراسة مطبوعة أوضح فيها أن محاولة الاغتيال كانت مقصودة لأنه أي آرغوب حاول أن يجمع بين ممثلي «فتح» في لندن وبين ممثلي الكونغرس اليهودي العالمي! ولم يكتف «أبو نضال» بذلك فهاجم في كراسه أيضاً رئيس المنظمة ياسر عرفات ووجه إليه الكثير من الإتهامات ومن بين أسئلته ـ أين ذهبت الـ ٢٠٠ مليون دولار؟ ولماذا لم تكن المنظمة مستعدة للحرب؟ أين المتاريس والتحصينات؟ وهل بنى ياسر عرفات بهذه الأموال بيوتاً للدعارة والملاهي؟!

****

كان هدف رفائيل ايتان بيروت! حيث تتواجد معظم القيادات وأجهزة المنظمة الفلسطينية وكان إيتان ينوي في البداية تفجير مخازن الأسلحة في بيروت الغربية ومع قليل من الحظ إصابة بعض زعماء المنظمة المتواجدين بصورة دائمة هناك.

وضعت الخطة أمام الوزراء ولاقت دعماً منهم، ولم يكترثوا لما حدث في تموز ١٩٨١ عندما هاجم سلاح الجو مواقع المنظمة وقتل في هذه الغارات المئات من المواطنين الأبرياء، وحتى رد الفعل الأميركي عندما أجل ارسالية طائرات الـF16 إلى إسرائيل لم تترك الأثر عليهم. وخلال النقاش اعلن لهم بيغن أنه تلقى نبأ من الطبيب الذي يعالج آرغوب بأن حالته لا أمل منها. مما زاد حدة الاجتماع والرغبة في الإنتقام لدم السفير الإسرائيلي.

طالب إيتان تأجيل موعد الهجوم لأن المنظمة في حالة تأهب منذ محاولة الاغتيال والكثير من الزعماء البارزين في المنظمة يتوقعون الهجوم الإسرائيلي ولذلك غادروا لبنان ليسلموا من الهجوم الإسرائيلي. ولكن بيغن رفض طلب قائد الأركان وطالب أن يكون موعد الهجوم محاذياً لمحاولة الاغتيال، وطلب أيضاً أن يتم الهجوم قبل الظهر. إلا أن الجو الغائم فوق بيروت حال دون ذلك فتأجل الهجوم إلى بعد الظهر حتى تزول الغيوم وينبهر الجو وهكذا تقرر الهجوم يوم الجمعة في ساعات بعد الظهر وقبل بداية السبت. وقد لخص

«رفول» وقال إن الهجوم سيجلب رد فعل الفلسطينيين وفي هذه الحالة سيشترك جيش الدفاع في تنفيذ الخطة الموضوعة منذ زمن بعيد.

لم يهتم أحد من وزراء إسرائيل فيما سيجري وماذا سيحدث بعد الهجوم.

أما نبأ الأمر الذي أصدرته المنظمة لقواتها في الجنوب بإطلاق الصواريخ والكاتيوشا على المستوطنات الشمالية في حالة إعادة الهجوم الإسرائيلي، فلم يبلغ به الوزراء فشعروا أنهم يدخلون الحرب ولم يناقشوا إذ ثقلت أيديهم فجأة وآمنوا أنه ما من أحد بمقدوره منع المعركة.

أما المنظمة الفلسطينية فقد استنكرت محاولة الاغتيال محاولة كسب الوقت كي تحاول منع الهجوم الإسرائيلي الذي ظهر هذه المرة كأنه الهجوم الأخير وهدفه القضاء قضاء مبرماً على قاعدة المنظمة في جنوب لبنان.

وقد تبين فيما بعد أن عرفات وبواسطة «صديق أميركي» كان يعلم منذ ٢٨ نيسان أن إسرائيل ستهاجم، فأمر بإخراج الأسلحة والذخيرة من الاستاد الرياضي وإبعادها قدر الإمكان عن الأماكن الآهلة بالسكان ولكن هذا الأمر لم ينفذ.

علم بيغن أن الحكومة ستجتمع مرة أخرى في غضون ساعات قليلة وطلب أن تكون الجلسة التالية في بيته وطلب من الوزراء المحافظة على السرية التامة لها. وبعد أن فضت الجلسة توجه قسم منهم لتناول طعام الغداء في بيت «سوكولوف» برفقة بعض الصحافيين. وبينما هم يتناولون الطعام إذ سمعوا دوي الطائرات المتجهة نحو الشمال، فتمتم أحد الوزراء: «إثنان يقودان الدولة». فسأله أحد الحاضرين من «بيغن»؟ فأجاب «لا» وفهم الجميع أنه كان يقصد «شارون وإيتان» وفي الثالثة والربع بدأت الطائرات بالهجوم ورمي القنابل والصواريخ على أهدافها في بيروت الغربية وفي السادسة والعشرين دقيقة بدأت القنابل والصواريخ تنهمر على مستوطنات الجليل.

وهكذا بدأت الحرب!

وخلال الهجوم كان أحد كبار القواد الإسرائيليين يتناول طعام الغداء على مأدبة أحد وجهاء قرية «القليعة» برفقة الرائد «سعد حداد» وخلال تناوله الطعام استلم بلاغاً سرياً بأن الطائرات بدأت بتنفيذ المهمة، فعرف أنه يجب المغادرة فوراً ولم يشرك «حداد» بسره وانسحب بسرعة وعاد إلى قيادته وخصوصاً أنه كان على مسافة قصيرة من قلعة «البوفور - الشقيف» المخيفة، وعلم حداد عن الهجوم الإسرائيلي في أخبار الرابعة فقط وعند إبلاغ بيان رسمي بذلك.

وخلال الهجوم الإسرائيلي كان «بشير الجميل» يقف على منصة صغيرة بالقرب من فرع لحزب الكتائب في منطقة المتن شرقي بيروت ليتفقد شباب الحزب من خلال مرورهم أمامه، وعندما قام لإلقاء خطابه أشار إلى حيث الدخان والنيران المندلعة في بيروت وقال: «قلوبنا مع الضحايا الأبرياء».

ولكن مستشاره «جان نادر» قدر أنها ليست بعملية بسيطة إنما مقدمة لعملية أكبر، فدوّن ملاحظة قصيرة ومررها لبشير كان يطلب منه «رويدك ربما هذه البداية فقط».

كانت جلسة السبت هي الجلسة التي تقرر فيها دخول جيش الدفاع إلى لبنان، فقد اجتمع جميع أعضاء الحكومة وبينهم «أريبل شارون» الذي عجّل رجوعه إلى البلاد. وبات المؤكد نشوب الحرب، بعد أن أطلق على الجليل كميات هائلة من الصواريخ في برهة قصيرة. فقد اتفق الجميع على الحرب. ولكنهم تساءلوا: ما هي هذه الحرب التي سنواجهها؟ ما هي أهدافها؟ ما هي المهام التي ستلقى على عاتق الجيش، وكم من الوقت سيستغرق ذلك؟!

والأهمية الأخرى للجلسة كانت فيما إذا قصد وزراء إسرائيل في القرارات التي اتخذوها وصول الجيش إلى بيروت، وهل وافقت الحكومة على الخطوات العسكرية التي كانت في نهاية الأمر ستؤدي إلى الاصطدام بالجيش السوري، أم قررت ذلك دون أن تنتبه لذلك؟!

وكان شارون وايتان قد طلبا موافقة الحكومة على الدخول إلى لبنان ولمسافة ٤٠ كم فقط، وذلك لابعاد المستوطنات الإسرائيلية عن المدافع الفلسطينية. فلم يكن هناك أي مجال لطلب الموافقة لأبعد من الـ ٤٠ كم!

لم يرمز شارون إلى نيته العبور عبر الـ ٤٠ كم ولم يذكر إمكانية الاتصال مع القوات اللبنانية الكتائبية ولم يصادق على خطة «الصنوبرة الكبيرة» فذكر فقط أن الهدف هو إبعاد المخربين ومدافعهم بما فيهم المتواجدين عبر القوات السورية وإجبار السوريين والمنظمة على الإنسحاب إلى منطقة البقاع البعيدة.

ووعد الوزراء أنه سيتوقف على بعد ٤ كم من القوات السورية ولن يصطدم بها.

الوزير الوحيد الذي أبدى قلقاً وتخوفاً من خطة شارون وامكانية الاصطدام مع الجيش السوري كان وزير الاتصال «مردخاي تسيبوري» ولم يكن قلقه هذا مفاجئاً لأحد فقد علم حول نية شارون وتخطيطه للحرب وحاول التحذير ولكن دون جدوى.

وكان تسيبوري من المعارضين في تصعيد العلاقات مع حزب الكتائب اللبناني لأنه آمن أن ذلك سيجر إسرائيل إلى ما هو أبعد من مصالحها الأمنية الواضحة، والشيء الوحيد الذي وافقه كان الخطر الكامن في تواجد المنظمة الفلسطينية بمحاذاة الحدود الشمالية وتهديدها

المستمر للمستوطنات الشمالية، ونضيف أيضاً بالنسبة «لتسيبوري» أنه منذ تعيينه نائباً لوزير الدفاع في الحكومة السابقة كان يحذر بيغن وفايتسمان بأن «رفول» و «بن غال» يعملان على دفع إسرائيل إلى حرب غير ضرورية في الجبهة الشمالية واليوم ٥ تموز، شعر أن مخاوفه وقلقه قد تحققا لأنه علم بنية شارون خوض الحرب وايجاد شريك له كرفائيل إيتان اللذين وجدا لغة مشتركة في التخطيط لهذه الحرب.

ومن الجدير ذكره أن تسيبوري كان الوزير الوحيد (عد شارون) الذي كانت اسئلته تدل على تجربته الحربية السابقة والتي كانت تظهر مدى مخاوفه وقلقه من خطة شارون الطموحة والتي كانت اعنف بكثير من طريقة طرحها على طاولة البحث أمام الحكومة.

فقد اهتم تسيبوري بأن يعرف ما هو الخط الواضح الذي ستصل إليه القوات الإسرائيلية حتى يكون بمقدوره متابعة تقدم القوات حسب التقارير في وسائل الإعلام زيادة على ما سيسمعه في اجتماعات الحكومة.

لم تعجبه الخطة لأنه توقع الاصطدام مع السوريين وذكر أن السوريين سيعرفون كيف يمنعون المخربين إطلاق النار وإيقافهم لكي لا ينجروا إلى الحرب مع إسرائيل. ولكن انذارات واقتراحات تسيبوري رفضت جميعها، فوعده بيغن بعدم خوض الحرب مع السوريين، وحاول تسيبوري أيضاً تعريف الهدف لهذا الهجوم، فقد استبعد أنه بمقدور جيش الدفاع القضاء على المنظمة الفلسطينية والمقاومة قضاءً مبرماً لأنه اعتقد أن عدم وجود حكومة مستقرة في لبنان هو سبب المشكلة ولو وجدت حكومة كهذه لما وصلنا إلى هذه الحالة، فطلب أخذ ذلك بعين الاعتبار عندما يدخل الجيش الإسرائيلي إلى لبنان.

وبعد هذه المناقشة وعد «شارون» أنه سيعمل جهده بالابتعاد عن الجيش السوري وعدم الاصطدام به، ولكن بيغن كغيره من الوزراء لم يؤمن بذلك في قرارة نفسه.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل آمن بيغن بشارون؟ أم كان على علم بجميع الخطوات التي كان يقوم بها وزير دفاعه؟!

وخلال الجلسة طلب بيغن من «رفائيل إيتان» الرد على مخاوف تسيبوري وقلقه بالنسبة للاصطدام مع الجيش السوري وقضية الـ ٤٠ كم، ولكن إيتان تجاهل إمكانية الإصطدام بالسوريين ولم يعلق عليها وإنما انتقل مباشرة لشرح الـ ٤٠ كم المصادق عليها، فأشار إلى المطلة (أبعد نقطة إسرائيلية في الشمال) وقاس منها ٤٠ كم شمالاً حتى وصل إلى «بحيرة القرعون» وأخذ غرباً حتى وصل إلى شاطىء صيدا (ما بين الزهراني ومدينة صيدا)، وهنا تدخل ارليخ وسأله عن مصير بيروت فأجابه شارون أن بيروت خارج هذه العملية

وعلينا الامتناع من الاقتراب إليها لأهميتها كعاصمة وكمركز لجميع السفارات في لبنان، فهدفنا هو فقط إبعاد المدافع ٤٠ كم عن حدودنا الشمالية.

وعاد تسيبوري وطلب معرفة مواعيد الخطة وكم من الوقت ستستغرق هذه العملية؟ فأجابه شارون بأنها ستستمر ١٢ ساعة ولكنني لا أدري كيف ستجري الأمور ولذلك أقترح أن تكون هذه العملية في نطاق الـ ٢٤ ساعة بالرغم من علمي أنها ستنتهي قبل ذلك.

حانت ساعة الصفر وأتى وقت التصويت والمصادقة على الخطة العسكرية. وكانت النتيجة أن وافق أغلبية الوزراء بما فيهم تسيبوري وامتنع ارليخ وبرمان عن التصويت، أما عن امتناع برمان فقد تأثر جداً من عدم اعطاء رئيس الموساد «صوفي» ورئيس شعبة الاستخبارات الفرصة لتقييم نتائج الحرب ومجرياتها، ولم يثق بقول شارون بأن السوريين لن ينجروا إلى الحرب مع إسرائيل.

وهكذا غادر الوزراء منزل رئيس الحكومة وهم على ثقة من سرعة العملية ونجاحها. وظهر ذلك ببلاغ الحكومة الرسمي الذي صاغه رئيس الحكومة بنفسه ولم يذكر فيه الـ ٤٠ كم المصادق عليها في جلسة الحكومة، وفي رسالة بيغن إلى رئيس الولايات المتحدة وعده بأن الهدف هو إبعاد المخربين شمالاً وبعيداً عن حدود إسرائيل. وبالرغم من ثقة شارون في خطته واقتناعه بها كان يعلم في قرارة نفسه أن أهداف الحرب ستكون أكثر من الأهداف التي طرحت على مائدة الحكومة وأنها أي الحكومة ستتخذ قرارات أخرى خلال الحرب.

الفصل الثاني

الخطة العظيمة

شهر نيسان ١٩٨١ وتأثيره على الحرب في لبنان.

في هذا الشهر زار المنطقة «الكساندر هيغ» سكرتير الحكومة الأميركية واندلعت نيران الحرب في مدينة زحلة بين الجيش السوري والكتائب. هاجم هيغ في محادثاته السوريين حلفاء روسيا وأعلن أنه يجب ايجاد الحلول لإيقافها. بهذا الإعلان اقتنع رجال الحكم في إسرائيل أن أميركا ترمز إلى استعمال القوة ضد سوريا. أثرت المحادثات مع هيغ على الوضع وابدى بيغن مخاوفه وقلقه من دخول السلاح النووي إلى الشرق الأوسط وظهر أن هيغ وأميركا يمهدان لضرب الجيش السوري.

كما ذكرنا في البداية فقد اندلعت نيران الحرب في زحلة وأصبح الخطر يخيم على المنطقة، وبات الجميع ينتظرون ماذا سيحدث في العاصمة الأميركية من تغيير في قمة الحكم هناك. وكلنا يذكر محاولات كارتر جر سوريا للمحادثات.

وصرح بشير الجميـل إن التغيير موجود في أميركا ولكن الوضع لم يتحسن!

ساد سماء لبنان جو من الإحساس بالحرب، وحاولت سورية أن تنفذ خطة للمصالحة الوطنية والتي كانت تهدف إلى بناء حكومة لبنانية تدار حسب الأوامر التي تصدر من دمشق وتضعف من قوة الطائفة المسيحية عملاء إسرائيل. مع موعد اقتراب الإنتخابات لرئاسة الجمهورية بدأت سورية بالعمل على انتخاب سليمان فرنجية عدو الكتائب اللدود ووعدت بالانسحاب من منطقة بيروت إلى البقاع إذا تم ذلك. أما ضباط الكتائب فقد حاولوا اقناع إسرائيل مهاجمة الجيش السوري ومواقع المنظمة، ولكن إسرائيل رفضت ذلك ووعدهم بيغن بأنه لن يتخلى عنهم أبداً وسيمد لهم يد العون.

بالنسبة لسورية فإن منطقة البقاع وزحلة هي منطقة استراتيجية للدفاع عن العاصمة السورية. ومن هنا كانت أهمية زحلة عاصمة البقاع للأطراف المتنازعة وفشل حزب الكتائب اقناع إسرائيل دخول الحرب ومساعدتهم! توترت الأمور عندما أرسل بشير ٨٠ جندياً بقيادة «جو اده» إلى زحلة مما أثار السوريين لأنهم فسروا ذلك كتهديد على الطرقات والخطوط التي يستعملها الجيش السوري في المنطقة. وتصوروا ذلك خطة إسرائيلية كتائبية لوصول جيش

الدفاع إلى زحلة. بدأ الكتائبيون بفتح الطرقات الجانبية إلى زحلة ونشر المناشير ضد السوريين وزادت حدة الأمور عندما اعتقل قائد الكتائب في تاريخ ١ نيسان ١٩٨١ وكرد فعل فقد هاجمت القوات الكتائبية الحرس السوري فوق جسر «البردوني» وتم احراق دبابتين وقتل بضعة جنود، فقررت سـوريـة دخـول المواجهـة والخروج منهـا منتصرة وأرسلـت قـوات الكوماندوس لتطويق المدينة وقطعوا عليها جميع الاتصالات الخارجية وأصبحت المناطق المسيحية في مجال المدفعية السورية. زاد طلب الكتائب إسرائيل بالمساعدة لأنهم شعروا بالخطر المحدق هذه المرة وأرسلوا رجالهم لشرح الوضع للقواد والحكومة الإسرائيلية وبعد أن شرح «ايتان» أهمية جبال صنين وزحلة وعدهم بيغن بأنه لن يسمح لهم بتخريب المدينة.

لم تكتف سورية بزحلة ورمزت لإسرائيل بأن لا تتدخل لأن الجيش السوري على أهبة الإستعداد لأية مواجهة فثبتت قواعد لصواريخ S.A6 ونصبت اسلحة الكترونية متقدمة بالقرب من زحلة. اكتشفت إسرائيل هذه القواعد قبل وضع الصواريخ عليها ففقدت سورية عامل المفاجأة والتنقل ولم تبد الحكومة الإسرائيلية أية أهمية لهذا الموضوع.

وافقت سورية على فك الحصار بشرط أن يغادر الجيش الكتائبي المدينة ووضع بدلاً منه قوات من الجيش اللبناني الشرعي بقيادة «إبراهيم شاهين» حليف سورية، ولكن الكتائب لم يوافقوا وزادوا من ضغطهم على إسرائيل بالتدخل والمساعدة وتابعوا قصف الجيش السوري في شتورة.

بدأ الشك يساور رجال الأمن في إسرائيل واعتقد «صوفي» رئيس «الموساد» أن الكتائب لن يتحرشوا بالجيش السوري لولا وجود وعد مسبق من إسرائيل بالتدخل في حالة تعقد الأمور. وفي إحدى زياراته إلى جونيه برفقة «ايتان» رأى كيف أن بشير الجميل وايتان يجتمعان على انفراد ولم يعرف حتى الآن إذا كان «ايتان» قد وعده بالمساعدة بالرغم من انكار «رفول» لذلك.

أما رئيس شعبة الاستخبارات فقد أبدى مخاوفه من اللعبة الكتائبية أمام بيغن فطلب منه أن يأتيه بالمواد الموجودة بين يديه والتي يبني افتراضاته عليها.

اجتمعت الحكومة في ٢٥ نيسان لتناقش اقتراح إيتان مهاجمة طائـرات الهيليكـوبتر السورية التي تهاجم قوات الكتائب على جبل صنين، فحذر رئيس شعبة الاستخبارات أن ذلك سيتطلب الوقوف أمام الجيش السوري وفي هذه الحالة سيقوم الجيش السوري بإدخال صواريخ S.A6 لتتقلص حرية المجال الجوي للطيران الإسرائيلي أما بالنسبة لخوف سورية من الحرب فذلك غير صحيح نظراً لحالتها في لبنان وعزلتها عن العالم العربي، كذلك أبدى

رئيس شعبة الإستخبارات معارضته للتحالف الإسرائيلي الماروني لأنه آمن بأنهم سيعودون بالتالي إلى دمشق، وانضم إليه في معارضته كل من يدين، ارليخ، وتسيبوري ووافق شارون على اقتراح إيتان.

واتهم تسيبوري رجال الامن بتقديم تقارير كاذبة للحكومة وجرها إلى الحرب ضد سورية من أجل المحافظة على الكتائب، ووافقت الحكومة على اقتراح ايتان وخرجت الطائرات لتنفيذ المهمة ولم يمنع ذلك من احتلال السوريين لجبل صنين، وكان اعطاء الأمر تنفيذه أسرع مما اعتقده الوزراء، وشعر جميع الوزراء أن هذه الموافقة هي ايفاء لوعد بيغن لبشير الجميل وشمعون، وقد اسقطت في هذه الغارة طائرتي هيليكوبتر ناقلة للجنود وليس طائرات هجومية.

بعد الهجوم الإسرائيلي وفي غضون ٢٤ ساعة أدخل الأسد صواريخ أرض جو S.A6 إلى منطقة زحلة ونقل بطاريات أخرى إلى محاذاة الحدود في المنطقة، وبدأ الجيش السوري بتجنيد جنود الاحتياط استعداداً لامكانية الهجوم الإسرائيلي ووضعت أيضاً صواريخ أرض-أرض من نوع « سكاد » البعيدة المدى، بجانب العاصمة السورية وهددت إسرائيل بتدمير البطاريات إذا لم تخرجها سورية ولم تستجب سورية للتهديد وبقي الحال كما هو لأن إسرائيل هي التي اخترقت وقف إطلاق النار حسب قول سورية. وقال بيغن: « في هذه الحالة لا حاجة للضباط إنما للمنطق السليم » وكشف ذلك عن نية إسرائيل « تدمير البطاريات ». تقرر في ٣٠ نيسان ١٩٨١ مهاجمة الصواريخ إلا أن المهمة تأجلت لرداءة الطقس، لكن بيغن استسلم بالتالي لطلب أميركا المحاولة بطريق المحادثات والتسوية السلمية بمبادرة « فيليب حبيب » وعرف بيغن أنه في النهاية سيذعن الأسد ويخرج الصواريخ.

تابع بشير مطالبته لإسرائيل بالتدخل ولكنها أجابته « لسنا على استعداد لإراقة دم ابنائنا من أجلك » فأجبرت القوات الكتائبية أن تتفق على الحلول المقترحة في زحلة.

لم يضغط الأميركان لمنع العملية العسكرية ضد المنظمة في لبنان وكان سؤالهم: متى؟ وكيف؟ وسأل أحد الدبلوماسيين الاميركان الإسرائيليين: لماذا تهاجمون بالطائرات لمنع المخربين من التسلل عبر الحدود، وتهاجمون مباشرة عندما يغادر فيليب حبيب إسرائيل؟ وبهذا تكونون قد ساندتم الدول التي تزعم أنه لأميركا علاقة بهذه العمليات!.

مرت عشرة أيام ولم تخرج سورية صواريخها ولم يصب المسيحيين أي مكروه من السوريين ولكنهم اتهموا إسرائيل بالتخاذل في وعودها. وبدأ القلق على وجه رئيس الموساد من التشويش الذي سيحدث في العلاقات مع الكتائب.

استمر النقاش في الحكومة وطالب كل من « ايتان » و « بن غال » القضاء على السوريين والمخربين بضربة واحدة، ولكن رئيس شعبة الاستخبارات عارض وطالب أن تخرج إسرائيل في حالة الدفاع عن مصالحها فقط!

في ١٩٨١/٥/٢٨ صادق بيغن على بدء العمليات ضد المخربين في لبنان وأعلن رفول لمقربيه بأنه لا مناص من حرب خلال ٦ أشهر.

في ٣ حزيران هاجمت الطائرات الإسرائيلية المواقع الليبية بالقرب من الدامور ودمرت صواريخ S.A9. وأصيبت أيضاً بهذه الغارات قوات أحمد جبريل، ولكنهم لم يردوا على النار لخوفهم من عملية إسرائيلية كبيرة واكتفوا بقصف قوات حداد.

عارض هذه العمليات كل من أريل شارون وتسيبوري. أما عن معارضته فيقال أنه خاف من نجاح بيغن في المعركة ضد المنظمات ولن يكون بعدها بحاجة إليه ولكنه سيغير رأيه بعد يوم واحد من استلامه منصب وزير الدفاع، وفي أوج المناقشات حول المتابعة في ضرب المخربين والصواريخ تم مهاجمة المفاعل النووي العراقي وتفجيره بالرغم من رغبة « عبري » قائد الطيران تأجيل هذه العملية إلى أن تتم عملية الصواريخ ولكن شارون عارض وطالب القضاء على المفاعل النووي أولاً، بعد أن توقفت غارات سلاح الجو لبضعة أسابيع عاودت إسرائيل قصفها بتاريخ ١٠ تموز ١٩٨١ لجنوب لبنان واستمر القصف ٥ أيام. وهذه المرة ردت المنظمة بقصفها نهارية والمستوطنات الشمالية بعنف واقترح رفول مهاجمة قيادات المنظمة في المثلث الفلسطيني » (فاكهاني، صبرا، شاتيلا) وعارضه « يدين » بينما طالب قائد الطيران تأجيله حتى يتم درسه جيداً. ولكن الحكومة صادقت على اقتراح رفول. وفي الغارات التي شنها سلاح الطيران قتل أكثر من ١٠٠ مواطن وجرح ٦٠٠ وكانت هذه المرة الأولى التي يهاجم الطيران الإسرائيلي مواقع قريبة للأحياء المأهولة بالسكان.

وفي هذه المرة أيضاً رد رجال المقاومة نيرانهم بشدة فشلوا الحركة في الشمال وخلال عشرة أيام أطلق على الجليل ما لا يقل عن ١٢٣٠ قذيفة. ولم يجد جيش الدفاع الحل العسكري لهذا القصف العشوائي... لم تستطع الطائرات أن تكشف مصادر النيران وتسكتها بالرغم من الإصابات المباشرة لهذه المواقع والطائرات بدون طيار. ولكن مع الوقت خفت حدة القصف. ولم يمنع ذلك مغادرة ٤٠٪ من سكان كريات شمونة المدينة. فهذه المرة الأولى التي يستمر فيها القصف عدة أيام لتشل الحياة في المدينة وتغلق المدارس والمؤسسات العامة لينام السكان في الملاجيء عدة ليال متتالية بالرغم من ظروفهم المعيشية الصعبة.

توقع الجميع الرد بعد حرب الاستنزاف التي دامت ١٢ يوماً، خصوصاً بعد أن فشل

جيش الدفاع أن يعالج هذه المدافع الموجهة ضد المستوطنات في الجليل. واستمر النقاش والطلب لعملية عسكرية مشابهة « لعملية الليطاني ». وطالب « بن غال » باحتلال صور والمخيمات المجاورة وابقاء هذه المنطقة تحت السيطرة الإسرائيلية بعد احتلالها.

لم يمنع تدخل أميركا لوقف إطلاق النار ضباط جيش الدفاع من التخطيط والمشاورات استعداداً للعملية، وتم الاتفاق وفوجيء فيليب حبيب من موقف إسرائيل والموافقة السريعة لوقف إطلاق النار دون قيد أو شرط بالرغم من معارضة رجال الأمن للاتفاق وطالبوا الحكومة باعطائهم الفرص لإبعاد مدافع المنظمة وقذائف الكاتيوشا من نوع **B.M21** عن الحدود الإسرائيلية، وتكلم محاولاً إقناع رئيس شعبة الاستخبارات وقال: إن هذه المرة الأولى التي تتدخل أميركا لإتفاق هدنة بين إسرائيل والمنظمة وربما ذلك سيقرب عرفات من واشنطن وليس بوسع هذه الاتفاقية أن تمنع المخربين من زيادة الأسلحة وتعزيز المواقع واقترح أن تؤجل الحكومة قرارها إلى الـ ٢٤ ساعة القادمة.

ولكن الحكومة وافقت على الهدنة دون قيد أو شرط وهكذا وضعت المستوطنات الإسرائيلية كرهائن للمدفعية الفلسطينية. زاد الفوران في الشمال وطالب السكان زيادة الملاجيء وتساءل الجميع ـ هل هذا هو جيش الدفاع الذي بمقدوره التغلب على جميع الجيوش العربية؟ ولكن الشعور بالحرب ساد وآمن بيغن أن الحل هو القضاء على قواعد المنظمة في الجنوب اللبناني!

طالب مقربو « شارون » منه أن يدير الحرب هو وليس بيغن نظراً لتعقيد الأمور في لبنان ومهم جداً أن تدور عندما يستلم منصب وزير الدفاع.

وكان ذلك بعد أيام قليلة من الانتخابات وكان بيغن يحضر لشارون المنصب!

وعاد شارون وطالب بتأجيل العملية حتى يتم تحضيرها والتخطيط لها بشكل جيد.

عندما شكل بيغن الحكومة الثانية ظهر الفرق بين الحكومتين، فبينما كان يدين فايتسمان، وديان يحثون بيغن على التنازلات من أجل السلام كان شارون في الحكومة الثانية يطلب العكس تماماً، حيث جر بيغن لإستعمال القوة العسكرية في حالات لم يكن بحاجة لها! في الحكومة الأولى كانت الآراء مختلفة ولم يكن لجميع الوزراء خط سياسي واحد!... مما أعطى قرارات الحكومة اتزاناً واعتدالاً.

أما في الثانية فلم يكن هناك استعداد للتنازل عن الحرب التي اعدها وخطط لها شارون. كان في تلك الفترة في قمة الحكم ٤ أشخاص وفيما بعد انضم لهم شخص خامس يترأسهم مناحيم بيغن الذي يعتبر المنظمة تتمة لما بدأه هتلر والنازية، الثاني شارون الطموح

المستعد دائماً لاستغلال جيش الدفاع للوصول إلى أهداف بعيدة المدى وبالطبع ليست دفاعية فقط. الثالث « اسحاق شمير » المتعصب والوطني الذي دعم جميع الاقتراحات التي كانت تدعو إلى الحل بواسطة عملية عسكرية، ولم تكن لها خطط سياسية بديلة للعمليات العسكرية!.

الرابع ايتان، الذي يؤمن أن حرب الاستقلال لم تنته بعد ولذلك يجب الخروج للحرب. الخامس هو موشيه ارنز الذي عين سفيراً لإسرائيل في أميركا في بداية التخطيطات للحرب وكانت مهمته إقناع الأميركان أنه لا مناص من الحرب ودعم بامكانية الحرب قبل بدايتها. وقال البعض أن وجود هؤلاء الخمسة أشخاص في قمة الحكم يؤكد نشوب حرب لأنهم على اتفاق في جميع مبادئهم وآرائهم، وصور ذلك بشير بقوله: إن هذه الحالة لهي مثالية لنشوب الحرب وفرصة مناسبة لأنها من الصعب أن تعود!

وهكذا ومع تعيين شارون والتقائه مع بيغن في القمة لم تعد لملاحظات تسيبوري أهمية تذكر وكانت ملاحظاته تصطدم بعرض الحائط.

مهد شارون للحرب وفي البداية عارضها ولكنه وبعد أن تم تحضير الخطة العسكرية بدأ يرمز بوجوب الحرب. وفي ايلول ١٩٨١ كان شارون من الذين رحبوا في رفض الخطة الأميركية لإبعاد المدافع الفلسطينية مقابل وقف إسرائيل بإرسال طائراتها بغارات منخفضة فوق الجنوب اللبناني، وطالب أن تنسحب القوات السورية والفلسطينية من بيروت حتى يتم انتخاب رئيس للجمهورية بديمقراطية وحرية تامتين. وهكذا يكون شارون أول وزير دفاع يركز اهتمامه عبر جنوب لبنان لأنه اعتقد أنه للحكومة اللبنانية التأثير الكبير في هذه المواجهة وعد المنظمات بمفاجأة لم يكن أحد يتوقعها وكان في محاضراته يذكر أن لبنان هو المشكلة الأولى للأمن الإسرائيلي ما لم يصبح دولة حرة ومستقلة.

ويكون بذلك قد ولدت « الخطة الكبيرة » التي حضرها شارون والتي بنيت على عملية واسعة النطاق ضد المنظمات في لبنان وكانت « الخطة الكبيرة » تهدف إلى حل عسكري وسياسي معاً من أجل جعل لبنان دولة ذات سيادة وتنتمي إلى العالم الحر وبالتالي تتفق على حل سلمي مع إسرائيل. آمن شارون أن ذلك مستحيل ما دامت المنظمات والجيش السوري متواجدين في بيروت ولذلك شملت الخطة الاجراءات ضد الجيش السوري.

أوضح شارون أن الحرب ستشمل بيروت وتستوجب إخراج الجيش السوري من لبنان وكان يكشف عن ذلك في محاضراته أمام المقربين إليه في الحزب ورجال الجيش واخفى ذلك عن الوزراء حتى بعد نشوب الحرب. والخطة الموضوعة تأتي بالتالي بالدمار لقيادات المنظمة

ولن يتم ذلك دون الاصطدام بالجيش السوري.

وكان لا بد من تدخل إسرائيل من أجل تهدئة الأمور في الانتخابات القريبة وحذر بيغن من قبل أحد ضباط الجيش أن شارون ينوي إدخال الجيش إلى بيروت لتطهيرها بيتاً بيتاً. ففهم من ذلك أن شارون خطط للعملية ووضع أهدافها لوحده وبدون استشارة الحكومة أو قيادة الأركان العامة وذلك حسب اعتقاده سيجعل المنظمة أسيرة بيد دمشق تعمل بها ما تشاء فتفقد استقلالها وحريتها وهنا سيعود الفلسطينيون إلى الأردن من أجل حل المشكلة الفلسطينية وبالتالي الجلوس مع إسرائيل للتفاوض على تطبيق الحكم الذاتي حسب ما تريده إسرائيل. وحسب القواعد والقوانين المتبعة في إسرائيل ستكون هذه المرة الأولى التي يغيَّر فيها جيش الدفاع إلى جيش مهاجم حسب خطة طموحة خارجة عن نطاق الدفاع لإسرائيل لأن إسرائيل تستطيع العيش بهذه الظروف بأمان دون أن تهدر دم هذه الأعداد من جنودها.

وانتظر شارون الساعة المناسبة لبدء الحرب وشعر بشير الجميل أنه سيقطف ثمار جهده بعد ٦ سنوات من الانتظار.

نص الأمر (بخط عرفات) لضرب المستوطنات في الجليل. أعطي الأمر لبلال قائد الجبهة الوسطى ولعزت الصغير قائد كتيبة يوسف النجار في صور.

تحية الثورة وبعد.

أشد على أياديكم، وهكذا تثبتون أنكم أبناء شعبكم وثورتكم الأقوياء.

نحن بانتظار ضرب صفد والجاعونة الليلة وللأهمية القصوى بالصواريخ الثقيلة.

كما يمكن ضرب المستعمرات الملاصقة للحدود بالهاونات ١٢٠ ملم/ و ١٦٠ ملم ويجب عملها فوراً.

كذلك لا بد من تحريك دوريات قتالية مشتركة أو من قواتكم لعمل كمائن في الشريط الحدودي وفي عمق الأرض المحتلة. وما النصر إلا من عند الله. وانها لثورة حتى النصر.

امضاء ياسر عرفات

٨١/٧/١٨

الفصل الثالث

العهـــد

التاريخ ١٢ آذار ١٩٧٦.

في إحدى دوريات السفن الحربية الإسرائيلية، صعد رجل يرفع يديه عالياً ومعه إثنان من مرافقيه بعد أن أشار إلى السفينة بالإقتراب بضوء خافت.

وعرف نفسه، أنا من قواد الكتائب أطلب منكم نقلي إلى إسرائيل لأني أحمل رسالة مهمة! أما مرافقاه فكان أحدهما من قوة «النمور» والثاني من القوة المعروفة «بالتنظيم».

وكانت هذه المرة الأولى التي تطأ أقدام القواد المسيحيين في لبنان إسرائيل! ومن هنا وصاعداً ستتخذ هذه العلاقات الطابع السياسي العلني ولم تعد تقتصر على السرية!

وحال وصولهم بدأ القائد الكتائبي بشرح التشابه للوجود بين اليهود والموارنة والعدو المشترك وعن النتائج التي ستنتج من هذا العهد إذا تجسد!

وكانت قمة الحزب الكتائبي بقيادة «بيار الجميل» قد اتخذت قرار العهد مع إسرائيل قبل وصول مبعوثيه بيوم واحد بعد أن وصلوا إلى درجة اليأس بالرغم من الخطورة والمغامرة في هذا العهد. كأن هذا القرار قد بدأ يتبلور عندما استمر القصف على القرى المسيحية وانضمام قوات من الجيش الشرعي إلى قوات أحمد الخطيب. ومحاولات الانقلاب التي قام بها البريغادير عزيز الأحدب ومطالبة فرنجية بالاستقالة وإلا سيهاجم القصر الجمهوري في بعبدا.

بارك بيار الجميل هذا العهد ولكنه كان يتذكر تصريح أبو اياد ان الطريق إلى القدس تمر «بعينطورة» وان المخربين يتقدمون إلى بكفيا، وكان من الصعب على الجميل اتخاذ القرار بعد أن صرح ولمدة أربعين عاماً ان النضال العربي ضد إسرائيل صادق وكم من مرة استنكر الحركة الصهيونية واهدافها.

علم زعماء الكتائب أن المسيحيين يشترون السلاح من إسرائيل عن طريق ميناء لارنكا في قبرص في حين كانت الامدادات تصل المنظمة من ميناء ليماصول. وقد حاول الزعماء المسيحيون لإخفاء هذه الحقيقة وابقاءها سرية. وفي آذار ١٩٧٦ تغير الوضع! إذ وجدت القمة المسيحية أنها تقف في حالة صعبة... وظهر الخوف بين صفوف الطائفة المارونية وشعروا بالخطر المحدق عليهم. الرئيس فرنجية ترك مقره وبدأت القوات الوطنية المشتركة من الفلسطينيين والدروز والهاربين من الجيش بتهديد «قلعة الجبل» المارونية، أما زحلة زنبقة

البقاع فقد طوقت، بيروت قسمت إلى قسمين وهرب المسيحيون من طرابلس! وتمت مذابح رهيبة في القرى المسيحية البعيدة. وصلت إلى لبنان بعثة من الفاتيكان وفرنسا والولايات المتحدة وحاولت الوساطة من أجل الصلح والتعايش السلمي ولكنهم لم يتدخلوا وقال السفير الأميركي أنه في عام ١٨٦٠ أوجدوا حلاً للمشكلة المسيحية بنقلهم إلى الجزائر...

بعد هذه الحالة تأكد شمعون من وجوب التوجه إلى إسرائيل وتجنيدها من أجل ايقاف الخطر. وليس كالجميل فقد كان شمعون من السياسيين المحنكين في لبنان يتمتع بمحبة الشعب المسيحي له. أما عن رغبته بإسرائيل فقد جاءته هذه الفكرة عام ١٩٥٨، خلال الحرب الأهلية الأولى حين أراد التوجه إلى بن غوريون طالباً المساعدة.

وكان شمعون قد استشار قبل ان يتجه إلى إسرائيل الملك حسين صديقه وزميله وهذا شجعه على ذلك إن كان يرغب بالحفاظ على كيانه!

بعد أن زار الجميل الشام وأخذ وعداً من حافظ الأسد بعدم السماح للمنظمات القضاء على المسيحيين وشاهد أن المذابح مستمرة وان المسلمين قد رفضوا «الوثيقة الدستورية» التي وضعها السوريون مع فرنجية والتي تقر تقسيم السلطة بشكل متساوٍ بين الطوائف وإعلان كمال جنبلاط الدرزي الإقطاعي أنه من الآن وصاعداً لن نكتفي بتغييرات بسيطةفي الدستور، رأى الجميل أن الطريقة الوحيدة للخروج من هذا المأزق هي إسرائيل وخصوصاً بعد أن أوصلت سورية قوات الكوماندو وقوات للتقدم السريع إلى لبنان وانهيار الأمل السوري.

ذكرنا حزب التنظيم المسيحي الذي نادى بلبنان مطهر من بقية الطوائف وبجعله مسيحياً والمدعوم بشربل قسيس الذي يقف على رأس «منظمة الرهبان المارونية» وكان هذا الحزب وبواسطة احد مبعوثيه قد حاول منذ صيف ١٩٧٤ المبادرة بحوار سياسي مع إسرائيل حين إلتقى هذا المبعوث مع أحد معارفه الذي عاد لتوه لبيروت من الخارج بعد أن إلتقى ببعض الإسرائيليين وطلب منه هذا المبعوث أن يرتب له لقاء معهم وتم الترتيب لذلك بسرعة وتم الاتفاق على اللقاء في أوروبا. وآمن أعضاء هذه المنظمة أن لبنان هو بيت الشعب المسيحي في الشرق الأوسط تماماً كما هي إسرائيل بالنسبة لليهود ومن هذا المنطلق آمنوا بالمثل القائل «عدو عدوي صديقي».

والتقى هذا المبعوث بالإسرائيلي ومنذ اللحظة الأولى لوحظت نظرات التقارب بينهما وطلب اللبناني أن يعلم ماذا سيكون في المستقبل. وكان فخوراً بلبنانيته وشبه لبنان بمريضة ترفض أن تتناول الدواء، ولم يرفض النظريه بأنه لا بد من الاصطدام مع المخربين الذي سيكون بمثابة الامتحان بالنسبة للشعب المسيحي.

عاد المبعوث اللبناني وأوضح علاقته بشمعون ولم ينف الكراهية الموجودة بين أفراد من الطائفة المسيحية للشعب اليهودي ولكنه قال إننا جلسنا في الحزب وصلينا لكي تنتصروا. وهكذا تم اللقاء ونجحت هذه المبادرة.

أما بالنسبة لفكرة العهد مع المارونيين عند اليهود فكانت موجودة منذ عشرات السنين نظراً للتشابه في المصير، وكان الياهو ساسون قد تكلم عن جبهة يهودية مسيحية مشتركة في المحيط العربي. وحاول الإقناع بتقسيم لبنان. وكان بشارة الخوري قد اقترح تغيير الشيعة في الجنوب بالمارونيين من أجل إزاحة الحاجز بين إسرائيل ولبنان. أما اميل اده فقد اقترح إعطاء البقاع إلى بن غوريون في يوم من الأيام ولكنه رفض لكثرة المسلمين فيها. كل هذه العلاقات لم تدخل حيز التنفيذ وفضل المارونيون الانحياز إلى العالم العربي. وفي عام ١٩٤٧ هاجم كميل شمعون المدنية اليهودية وطالبوا بالجليل وضمه إلى لبنان.

وفي عام ١٩٥٤ - ١٩٥٥ رفض موشيه شاريت خطة بن غوريون وديان شراء ضابط ماروني ليدعو إسرائيل بالتدخل والتسلط على لبنان لأنه آمن انها مغامرة وستأتي علينا بالعار لأنه لا يوجد عندهم من هو مستعد لأن يكون لنا رجل عهد نستطيع الاتكال عليه.

في الواقع فإن فكرة العهد شلت لسنين طويلة بسبب البعد الجغرافي بين إسرائيل والمناطق المارونية الآهلة ولكنه كان موجوداً نوعاً ما حتى ١٨٦٠ حين قام جنود الست نايفة جنبلاط الاسطورة بالمذبحة الكبرى بالمسيحيين وهكذا فقد تكون بذلك حاجز مسلم بين إسرائيل والموارنة ووجود المنظمة في الجنوب هو الذي أذاب الحاجز وصهرت الظروف لإلتقاء المصالح. وممكن اعتبار المنظمة دون أن تعلم الجسر الذي سارت عليه العلاقات المتطورة بين الفئتين.

تابعت إسرائيل الحرب الأهلية في لبنان بقلق منذ الحوادث الأولى وتفجر الوضع في صيدا عندما صد المخربون قوة للجيش الشرعي الذي أرسل لتفريق مظاهرة الصيادين ضد اعطاء الحقوق الاحتكارية لشركة، وقيام حكومة دمى نتيجة تدخل سورية، واحتلال المنظمة لقسم كبير من أجزاء لبنان وحال وصول ممثلي الكتائب إلى حيفا اعتقد «ألون» أنه حانت ساعة الامتحان ولكن شمعون بيرز وزير الدفاع تشكك وقال انه من يدخل يده في وعاء يغلي مصيره الاكتواء، واتخذ «رابين» الحذر ومنع الون من السفر إلى لبنان لأنه لا يريد التدخل في كل هذه المشاكل بسرعة دون أن يفحص الأمر ويصادق عليه.

وبعد أيام وعلى أثر دعوة وجهها المبعوث اللبناني توجهت سفينة حربية إسرائيلية إلى ميناء طبرجة شمالي جونيه وهناك صعد عليها شاب في الثامنة والعشرين من عمره يدعى بشير

الجميل ابن بيار الجميل وغطى وجهه ولم يعلم الإسرائيليون انه بشير وقبل مجيئه.

فكر الكثير وناقش أصدقاءه وكان آخر من وافق على هذا اللقاء، ولكنه وافق لسوء الظروف والحالة الناتجة عن الخسارات الأخيرة التي لحقت بالمسيحيين في بيروت وقال ان حالة المنظمات وحلفائها أفضل بكثير من ناحية السلاح والرجال. شعر الإسرائيليون أنهم يتعاملون مع شاب من الصعب الاتكال عليه. أما في اللقاء الثاني فقد حضر أمين الجميل بملابس الكاكي وقبعته العسكرية وطالب بإرسال السلاح. وأمين أيضاً لم يعجب الإسرائيليين لأنهم لم يثقوا به وبأمانته وبعد عودة الإسرائيليين طالب «رابين» أن يتم فحص الحاجيات والأمكانيات. ومن أجل ذلك ألف طاقم من أربعة عسكريين ورجال مخابرات لتحضير تقرير مفصل، يتفحصون من خلاله طريقة تنظيم المسيحيين، معداتهم وقوتهم وانتشار القوات السورية.

سأل بنيامين بن اليعزر الضابط المسؤول على الجبهة الشمالية في رغبته السفر إلى الخارج فأجاب «بنعم». وفي حديث خاص شرح له ولأربعة أعضاء الطاقم مدى سرية الموضوع وطلب منهم المحافظة وعدم الإفشاء لأي كان. وبدأوا بالتدريبات السريعة من أجل المهمة.

أبحر فؤاد (بنيامين بن اليعزر) مع طاقمه على ظهر سفينة «الدبور» بملابس مدنية ومسلحين بمسدسات من نوع «سميث أند روسون» باتجاه الشمال، وحين وصلوا بيروت أضاءت القنابل والصواريخ السماء وخيل لهم أن بيروت شعلة نار كبيرة.

توقف «الدبور» على بعد ٥ أميال من ميناء جونيه، وبعد إعطاء الإشارات بدأت ياختة كانت بانتظارهم بالتقدم نحوهم، وعلى هذا الموقف كانت إسرائيل مسيطرة لأن سفينتين حربيتين من سفنها كانت تراقب اللقاء عن كثب دون إضاءة أنوارها.

استقبل الطاقم الإسرائيلي ضابط مسيحي يدعى - داني شمعون - (ابن الرئيس السابق شمعون) الذي تكلم اللغة الانكليزية بطلاقة، وبعد السلام والتحية نزل الطاقم الإسرائيلي إلى «الياختة» وفي الثانية صباحاً وصلوا إلى الشاطىء على أضواء «كازينو دي ليبان».

كانت بانتظارهم قافلة من السيارات التي نقلتهم إلى فيلا منعزلة، ابتعد الدبور وبقيت السفينتان تراقبان وتنتظران الأوامر. عندما وصل الطاقم تزحلق رجل الإتصال الإسرائيلي وسقط في بركة ماء ولكنه لم يصب بأذى ونقل على يد «ايفا» المضيفة اليهودية إلى الطابق العلوي ليسترجع قواه. كان الاستقبال ودياً واستراح له الطاقم الإسرائيلي عندما استقبلتهم «ايفا» اليهودية لتطير شكوكهم.

وعندما دخلوا إلى الغرفة المعدة لهم كانت اسرتهم جاهزة وعلى كل سرير كان هناك كلاشينكوف، فانوس، سكين وورق للكتابة.

شرح «داني» الوضع وسجل الطاقم طلباته ولكنهم لم يلتزموا ولم يعدوه بشيء حسب ما أمروا قبل خروجهم للمهمة وكان طلب «داني» الرئيسي - مدّونا بالسلاح لنذبح لكم الفلسطينيين، وكما ذكرنا فقد سجل الطاقم ملاحظاتهم، نوع السلاح، الكمية، طريقة الإرسال وإلخ...-.

وفي الصباح عند وصول ممثلي الكتائب لاحظ الطاقم الإسرائيلي أن المسيحيين يعملون على انفراد وبتلائم لا يذكر. ففي حين كان داني يهتم لفرقته الشمعونية المكونة من المقربين إليه، كانت الكتائب عبارة عن حركة شبيبة مقسمة إلى فروع يتم التدريب ضمنها على السلاح ويقوم أفرادها بمهام عسكرية كالدوريات والحراسة، وكان مؤلف هذا الحزب بيار الجميل عام ١٩٣٦ وبناه على أسس فاشية، وكان الجميل قد غير الإسم إلى إسم آخر الحزب الاشتراكي الديمقراطي» ولكن هذا الاسم لم يستعمل، وامتلأت صفوف الحركة بمتطوعين شباب ولاجئين من القرى المهدمة. لم يكن هناك شك أن الكتائب هي العامود الفقري للقوى المسيحية في لبنان بالرغم من مركز شمعون وقوته.

وفي هذه المرة أيضاً لم يترك ابنا الجميل بشير وأمين الأثر الايجابي على الطاقم الإسرائيلي وبدا «بشير» كإنسان عديم الثقة بالنفس ورفض طلب الإسرائيليين مقابلة أبيه وقال «لم تحن الساعة بعد» واتفق داني وأمين وبشير على الحاجة للسلاح من أجل الوقوف أمام المنظمات الفلسطينية - وشعر الطاقم بالفرق بين داني وأبناء الجميل - في حين كان داني مستعداً للحرب حتى النهاية، بينما بدت على بشير وأمين آمارات التعب والاستعداد لوقف اطلاق النار..

شاهد الطاقم الإسرائيلي خلال جولته في جونيه السيارات الكتائبية تجر الجثث الفلسطينية وراءها وعلامات الفرح على وجوه المارين، وعلى جسر نهر الكلب رأى جنود كتائبيين يلقون بجثتين إلى النهر. وكانت هذه المناظر على انعكاس تام لما سمعه في الليلة السابقة خلال حديثه مع الضباط المسيحيين، وبالرغم من الأمر الذي تلقاه «فؤاد» بعدم التوجه إلى بيروت لكنه وبرفقة داني شمعون أراد أن يشاهد المعركة عن كثب وإلتقى ببعض مقاتلي النمور، وزار مصنعاً للسلاح في حي الجديدة. عند وصول «فؤاد» إلى كميل شمعون أراد شمعون أن يريه المحاربات المسيحيات، فشاهد فؤاد ٤ فتيات بملابس نمرة مع عدتهن الكاملة ولكنه سأل شمعون - ماذا فعلن حتى الآن؟! فأخرجت الأولى كيساً من النايلون

يحوي أصابع مقطوعة، أما الثانية فأخرجت كيساً مليئاً بآذان مقطوعة. فأمتعض «فؤاد» من هذه المناظر وابدى انفعاله وانسحب بسرعة... سمع الطاقم القصص المروعة حول المذابح التي جرت في «الكرنتينا» والدامور، من قبل الجهتين... وفي الجلسة النهائية أعطى «فؤاد» ملاحظاته لمضيفيه وكانت كالآتي:

١ ـ يجب أن تضعوا نصب أعينكم أهدافاً واضحة وتفكروا كيف تصلوها وتبنوا قوتكم بحسبها.

٢ ـ وضع القوات المنفصلة تحت قيادة واحدة لكي تستطيع هذه القيادة قيادة الأمور واعطائها الأوامر بالتحرك من جبهة لأخرى.

٣ ـ لا يوجد أمل لدخول إسرائيل إلى لبنان ولكننا سنحضر في الجنوب جيشاً مسيحياً مدرباً ونقوم بتسليحه وربما يأتي يوم يكون هذا الجيش لنصرتكم (كان هذا الاقتراح بمثابة وعد قام به «فؤاد» دون استشارة الحكومة وهناك شك في موافقتها عليه).

واكتشف الطاقم الإسرائيلي مدى الكراهية والحقد بين الفئات المسيحية عندما كان يحاول كل منهم التشهير بالآخر وتشويه سمعته.

بعد مرور ٧٢ ساعة عاد الطاقم الإسرائيلي إلى ميناء حيفا، وقدم فؤاد تقريره الذي أظهر من جهة واحدة ضعف المسيحيين العسكري وتفككهم ومن جهة أخرى ايمانهم بحربهم ضد المنظمات. وتساءل فؤاد أمام الطاقم الوزاري، كيف بمقدور هذه الفئة الانتصار إذ لا تملك حتى الآن أجهزة اتصال!

لكن «آلون» سأله إذا هوجم مرة بقوة أكبر من قوته؟ وابدى تفاؤله من المسيحيين ومن انتصارهم بالنهاية.

تم اللقاء بين رابين، آشر بن ناتان، حوفي وكميل شمعون على إحدى السفن الإسرائيلية في خليج حيفا، وسأل شمعون رابين ـ هل ستتدخلوا؟ فأجابه رابين هل تطلب تدخلنا؟ لم يدر الإسرائيليون أنه ومع ابتداء اللقاءات بين شمعون ورابين، أرسل الكتائب بعثة سرية للقاهرة والتقوا باسماعيل فهمي وزير الخارجية، طالبوه كما طالب شمعون إسرائيل بتدخل مصر وإرسالها قوات من الجيش المصري من أجل وقف القتال ولمنع التقدم السوري. ووعدوه بأنه إذا وافق السادات فسيرسل له فرنجية طلباً رسمياً بالمساعدة!

وبعد المشاورات مع السادات تقرر في مصر أنه من الأفضل أن تتعقد الأمور بين إسرائيل وسورية حتى تغوص سورية بمستنقع لا تستطيع الخروج منه.

وعاد جنبلاط وطالب السادات بالمساعدة ولكن السادات أجابه «إن البحر يفرق

بيننا! لو كان لي ١٠ سم من الحدود مع لبنان لما ترددت في التدخل أبداً».

تابع شمعون وحث رابين على التدخل وسأله ـ ما هي الصعوبة التي ستواجهونها في ٨٠ كم من الحدود وحتى بيروت؟ وأراد أيضاً أن يقوم سلاح الجو بالهجوم وتكفي سرية واحدة من الدبابات من أجل حسم المعركة بسرعة ولكن رابين أجابه: «القاعدة هي بأننا على استعداد لمساعدتكم بأن تساعدوا أنفسكم».

فشل شمعون خلال ١٩٧٦ في جر رابين إلى الحرب، وكان رابين يحثه على اختيار الأهداف الصحيحة وعدم المحاولة لجرنا إلى الحرب!

وفي هذه الفترة اتسع نطاق الإمدادات الإسرائيلية للمسيحيين، فأرسلت لهم بنادق M16 وصواريخ من نوع «اللامى» ودبابات شيرمان، كما وملأت لهم إسرائيل مخازن الوقود الفارغة في كثير من الأحيان، ووصل مبلغ المساعدات إلى ١٥٠ مليون دولار!!

ضغط «الون» على رابين كي يتمادى في المساعدة وعلل ذلك بأنها فرصة لا تعوض لإزالة الحصار العربي عن إسرائيل. وكانت خطته ليس التوصل إلى الموارنة، إنما إلى الشوف ومنه إلى حوران وكل ذلك من أجل إقامة دولتين صغيرتين الأولى مسيحية والثانية درزية.

واقترح بأن يقوم «دان لنر» أحد القادة الإسرائيليين أن يقود حرب العصابات المسيحية لخبرته في هذا المجال.

رفض رابين بشدة اشتراك ضباط إسرائيليين في القتال، حتى أنه رفض أن يقوم ضباطه بالاستشارات العسكرية لهم. وعندما طلب منه المسيحيون أن يقترح رئيساً للبنان رفض ذلك أيضاً.

سار رابين بنفس الخط في الجنوب اللبناني ولم يتدخل عسكرياً ووعد بالمساعدة والامدادات وفي فترته نشأت فكرة «الجدار الطيب».

بعد أن هاجم بعض الجنود من القليعة حصن مرجعيون واحتلوه، أرسلت الحكومة اللبنانية إلى الجنوب وبسرية تامة الرائد سعد حداد ليقود المنطقة بالتناسق مع إسرائيل، ووصل أيضاً رائد آخر يدعى «سامي الشدياق» إلى عين ابل وهكذا قامت في جنوب لبنان خلال فترة قصيرة علاقة خاصة منفصلة عن الشمال المشتعل.

انضم إلى شمعون في محادثاته مع رابين كل من بيار الجميل وولديه أمين وبشير وقال الجميل لرابين ـ أريد أن أسير في لبنان مرفوع الهامة كمسيحي وعربي! ولكني مضطر باللجوء إليكم ونشعر لذلك بالخجل والكآبة ـ واختار رابين أن لا يجيب. واتهم الجميل بأن تواجد المخربين في لبنان سببه إسرائيل لأنها لم تكن مرنة في علاقاتها معهم ودفعتهم إلى الاستيطان

في لبنان، وبهذا الشكل اختل توازن القوى وفي حالة ابادة المسيحيين وصعود المسلمين إلى الحكم ستكونون انتم الإسرائيليين الخاسرين من جراء ذلك!

لم يكن في حزب الكتائب من يقف أمام الجميل في قراره اللجوء إلى إسرائيل، ولكن الدكتور جورج سعادة، لويس أبو شرف، ادمون رزق، اقترحوا المتابعة في المحاولات لإيجاد حل عربي للمشكلة اللبنانية لأن إسرائيل لا تريد أن تعطي التزاماتها وتوضحها، وفي حالة انتشار الخبر حول علاقاتنا مع إسرائيل ستزداد هوة النزاع بيننا وسيضيع لبنان ويخسر ما كان عليه قبل الحرب! ثم ماذا سيكون رد المهاجرين الموارنة والذين يدعموننا بالمال والعتاد تجاه موقفنا هذا؟! في سنة ١٩٧٦ أذعن الجميل لإقتراح زملائه وقال انه من الأفضل الاتفاق مع سورية على حل يرضي الجميع وابعاد المنظمات المحتلة ودخول قوات أجنبية للحفاظ على لبنان من التفكك.

وبناء على ذلك فقد تدخلت سورية ومنعت سقوط القصر الجمهوري ونصبت قواتها المدرعة في البقاع ولم يحاول رابين التدخل لمنع ذلك طالما لا يشكل التدخل السوري الخطرَ على إسرائيل.

دخلت سورية ضمن قوات الردع ولاقت الهتاف والتشجيع من القوى المسيحية. استطاع رجال المقاومة منع السوريين وايقافهم من التقدم نحو صيدا وألحقوا بهم الخسائر الفادحة وفشل الأسد في ضربته هذه التي قصدت تهدئة الأمور، وفسر الأسد خطوته هذه بأنه كان يقصد منع تقسيم لبنان.

وبتاريخ ٢٩ تموز ١٩٧٦ دعا داني شمعون ثانية إسرائيل لإرسال بعثة عسكرية، وجلست البعثة بقيادة «فؤاد» لتقييم الوضع في تل الزعتر. وخلال الحديث مدح شمعون وقيادته تصرف سورية وهاجموا السادات الذي دعا الأسد إلى الخروج من لبنان! دام الحصار على تل الزعتر أشهر عديدة وحاول «اتيان صقر» منظم حركة «تحت أمرك يا لبنان» مهاجمة الحصن الفلسطيني، وكانت رايته «قتل فلسطيني واحد كل يوم» وبالتالي ابعادهم عـن أرض لبنان، وكان «حراس الأرز» يستمدون مبادئهم من الشاعر سعيد عقل الذي أراد محو كل ما يظهر عروبة لبنان، وفي كتاباته تهجم على العرب وقال ان أصل المسيحيين فينيقي وبدأ بكتابة مواده باللغة اللاتينية.

استطاع «صقر» اقناع داني شمعون وقواته بالانضمام إليه لمحاصرة «التل» ولكن الكتائب عارضوه وهددوا بقتله واتهموا شمعون بأنه يحاول تقسيم لبنان. لم يخف صقر معارضته للجميل وادخال الجيش السوري واعتبر ذلك كارثة على لبنان وقال انه ليس

بالمعقول أن تقوم اليونان بدعوة جيش تركي من أجل الحفاظ على الأمن في «أثينا» ووعد سركيس الذي انتخب بضغط من سورية بأن التاريخ سيقطع يديه، وتنحى إلى الجبل واضرب عن الطعام لمدة طويلة احتجاجاً على ذلك.

مع وصول البعثة إلى الحصن المطل على تل الزعتر، وافقت سورية وبهدوء، على اشتراك الكتائب في الهجوم على تل الزعتر، ودهش «فؤاد» من كمية الصواريخ والذخيرة المبذرة دون نتيجة لأن القسم الكبير منها هو من الامدادات الإسرائيلية.

في بكفيا بلد الجميل سمعت البعثة الإسرائيلية من «الجميل» الشكاوى حول الشكوك الإسرائيلية والبطء في الامدادات مما أدى بالكتائب إلى التوجه لسورية، وخلال النقاش بدأ اطلاق النار العشوائي في الهواء ودخل أمين الجميل ليعلن عن سقوط تل الزعتر خلال ٣ ساعات تمت خلالها عمليات النهب والقتل، فكانت نتيجة ذلك اعلان الجميل على مائدة الطعام بأن إسرائيل هي صديق ضروري بشرط أن تكون امداداتها ومساعداتها غير محدودة!

تابع بشير وطالب مساعدة إسرائيل لسوء الوضع المسيحي، وعاد فؤاد وطالب بتوحيد القيادات المسيحية. وبالأخص مع سليمان فرنجية ومنظمة «المردة» التي أقامها، تردد بشير ولكنه وعد فؤاد بمفاجأة. في ذلك الوقت كان طوني فرنجية وزيراً للبريد وقائداً لمنظمة «المردة» وأقام علاقات تجارية مع رفعت الأسد (تهريب مخدرات وما شابه).

دعت «باتي شمعون» إلى حفلة كوكتيل وحضرها الكثيرون من المدعوين بينهم «طوني فرنجية» الذي أسرف في شرب الويسكي، حاول الإسرائيليان المدعوان اقناعه أن يشارك في القتال ولكنه أفهمهم أنه لا يرغب بالحروب وشرح لهما عن علاقته بالعالم العربي.

أعجب بشير بالاقتراحات العسكرية الإسرائيلية مما زاده تعلقاً ورغبة في وضع وثيقة يتفق بها على مبادىء مشتركة من أجل تقوية العلاقات بين الطرفين.

شجع «فؤاد» عند عودته متابعة الدعم الإسرائيلي للمسيحيين بناء على ما لاحظه من استعداد المسيحيين للحرب، واوصى بامدادهم بمدافع ١٢٠ ملم و ١٦٠ ملم، أما رابين، غور وغازيت رئيس شعبة الاستخبارات فلم يقروا بالموافقة واتخذوا سبيل الحذر، بعكس بيريز الذي دعم رأي فؤاد زيادة الامدادات. وعلى أثر ذلك أقيمت في الجنوب قيادة خاصة برئاسة «فؤاد» من أجل العناية بمسيحيي الجنوب ولتكون جسر الإتصال مع القيادات المسيحية الشمالية.

الزيارة الثالثة بتاريخ أيلول ١٩٧٦ كان شمعون قد انضم إلى المنادين بالإشتراك مع سورية وخرج لسورية ليعرب عن رغبته بالمصالحة، وعند وصول «فؤاد» ترقرقت الدموع

بعيني بشير وقال ـ سأسير زاحفاً على أربع، إلى دمشق، انكم ضللتوني، وصرخ «داني» «لقد تخليتم عنا». وعلم داني وبشير أن والديهما يحثان السوريين على هجوم نهائي ضد المنظمة ويخافان من نتائج التوسع السوري. كان هذا اللقاء هائجاً وطلب بشير الذي تعين قائداً عاماً للكتائب أن تقوم إسرائيل بالإسراع في الإمدادات وان تفي بوعودها، وقدم لفؤاد لائحة بالأسلحة والذخائر التي هم بحاجة إليها. حاول فؤاد تهدئة الخواطر ولكن بشير وداني تابعا إطاحة التهم إلى إسرائيل وتعجبا كيف أن إسرائيل تقف مكتوفة الأيدي أمام دخول سورية إلى لبنان، واعتبرا ذلك خطأً عظيماً ترتكبه إسرائيل.

زار بشير وداني إسرائيل. وكالعادة فقد صور بشير الوضع بأسوأ ما يمكن بالنسبة للمسيحيين وفي هذه المرة أيضاً طلب بشير من إسرائيل أن تتدخل ولكن رابين رفض ذلك. هاجم بشير وقواته بالاشتراك مع الجيش السوري مواقع المنظمة بالرغم من علم الأسد عن الصداقة القائمة بينه وبين إسرائيل وفي حديث له مع أحد قواد الكتائب «كريم بقرادوني» قال الأسد «ستثبت الأيام أن لبنان لا يستطيع الوقوف بدون مساعدة سورية».

في منتصف أكتوبر تم الاتفاق في الرياض بين مصر، السعودية، سورية ولبنان واعلنوا عن انتهاء حرب لبنان، امتنع السوريون من مصادرة السلاح المتواجد بين أيدي المسيحيين وضيقوا المجال أمام الأحزاب اليسارية الإسلامية، واعتبرت هذه الفترة العصر الذهبي في العلاقات السورية المسيحية ولكن بشير أشار إلى أمثلة كثيرة في التاريخ العالمي عن تدخل جيوش لمساعدة بعض الأمم وبالتالي اعتبرت جيوشاً أجنبية.

خلال عام ١٩٧٧ حاول بشير اقناع زعماء الكتائب بوجوب تجديد الصراع مع سورية كي لا تكون عندها الفرص للتمركز في لبنان، ولكن الأغلبية الساحقة من القيادة الكتائبية العليا أرادت أن تبتعد عن إسرائيل ومحاولة التفاهم مع القوى الإسلامية والمنظمة بواسطة سورية. رفض بشير الإقتراح بقطع العلاقات مع إسرائيل لأنه توقع اصطدامات عسكرية مرة أخرى.

بالرغم من الهدوء الذي ساد ١٩٧٧ توطدت العلاقات بين بشير وإسرائيل، بدأ نجم بشير يسطع في سماء لبنان وكان في خطاباته يطلب من الشاب التخلص من عقد الماضي ومنع سفك الدماء ليعود لبنان كما عهده الجميع مليئاً بالحياة وينتظره مستقبل زاهر.

كان بشير أحياناً يثور على أبيه وعلى القيادة القديمة وفي إحدى مقابلاته مع رجل «الموساد» الإسرائيلي اقترح أن يبني في الجنوب دولة مسيحية على غرار قيام دولة اليهود. تأثر بشير بقصص حرب التحرير ومنظمات «البلماح» (منظمة عسكرية إسرائيلية).

سارت الأمور لصالح بشير حين بدأ الجيش السوري بعمليات النهب والاغتصاب ومصادرة الأملاك والاعتقالات، مما زاد في حدة الأمور مع المسيحيين. ورأى الجميع بتشارلي (لقب بشير) الأمل الوحيد للخلاص في حين اتهم أمين إسرائيل بجرب لبنان ورفض التراجع عن اتهامه وقطعت معه العلاقات. بدأ بشير باعداد القوات الكتائبية وسلم القيادة للمقربين إليه واختار من القيادة البالغة أثنين، جوزيف أبو خليل وجان نادر ليكونا له طاقم استشارة وتخطيط ورويداً رويداً ازداد تأثيره في «الهيئة السياسية» والجبهة اللبنانية، وبعد ان استطاع ابعادهم وإضعاف نفوذهم. وفي عام ١٩٧٧ وصل شمعون للنتيجة أنه لا مناص من مواجهة سورية ومن الآن وصاعداً سيدعم بشيراً لمواقف بشير وتخطيطاته، وهكذا تكوَّن ائتلاف بين بشير وشمعون بالرغم من معارضة الأكثرية الساحقة في الحزب الكتائبي لذلك. لكن الأفضلية كانت لبشير وشمعون لأنهما يقودان الجبهة العسكرية في المعسكر المسيحي. قيم بشير الوضع في لبنان ورأى أن الأمل ضد الجيش السوري يكمن في تدخل إسرائيل وأعاد الضغط المشدد على إسرائيل، ولكن دون جدوى، ازداد أمله عندما حصل الانقلاب في الحكم بعد الانتخابات في إسرائيل. إلتقى بشير ولأول مرة مع قائد الأركان الجديد «مردخاي غور» في مكتب عيزار فايتسمان. وكان «غور» قد رفض هو وفايتسمان السفر إلى جونية للقاء بشير وعلم بشير أن «غور» يشك به ولكن ذلك لم يمنع أن يعبر عن فرحه وسروره للقائه. قدم بشير معلومات تشير إلى أن المنظمة تنقل قواتها إلى الجنوب وإذا قررتم الضرب فليكن ذلك في بيروت ـ رأس الحية، فاقترح غور لبشير أن لا يبني على هذه القضية لأن إسرائيل ستهاجم عندما تشعر بالخطر وهي التي ستقرر متى سيكون ذلك. بدأ بشير باقناع غور التقدم إلى الناقورة فرد عليه غور بأن ذلك سيؤدي إلى تقدم غير مرغوب به إلى الرشيدية وغيرها واحتدم النقاش وفقد «غور» أعصابه وأوشك على طرد بشير من الغرفة.

فهم الإسرائيليون ما يرمي إليه بشير وتابع بيغن الخط الذي وضعه رابين أي مساعدة المسيحيين لكي يساعدوا أنفسهم، واتضح الأمر في عملية الليطاني (١٩٧٨) عندما طلب من بشير أن يدعم قوات الرائد حداد وإرسال ٨٠ مقاتلاً إلى الجنوب، عندما هربت قوات بشير وظهر أن الجنوب لا يهمه. تدهور الوضع في بيروت عندما بدأ بشير التحرش بالجيش السوري ونصب الكمائن له واوضح أن الجيش السوري هو جيش محتل ولم يأت بدعوة من سركيس وايعاز من دول الجامعة العربية، وكان يعترف أنه يأخذ على عاتقه الاخطار والعواقب بسبب التفوق الواضح للجيش السوري على الفلسطينيين: لجهة كمية الأسلحة ونوعيتها وعدد الجنود الضخم المتواجدين في لبنان.

تأسف بشير على عدم تدخل الجيش السوري في عملية الليطاني وعلل ذلك بضعف الأسد بعد المبادرة السلمية التي قام بها السادات والتي بدوره باركها وبارك التحول التاريخي في العلاقات مع مصر . كانت الامدادات الإسرائيلية ترسل إلى الكتائب دون مقابل ، وقامت بتدريب أعداد كثيرة من النمور والكتائب داخل إسرائيل . انفعل بيغن من مدى الوطنية التي تمتع بها بشير وشمعون وشعر بالفخر لأن يساعد أمة أخرى اتجهت إليه ورأت فيه مخلصها . واعتبر هذه المساعدة رسالة معنوية واخلاقية . أحس بذلك بشير وشمعون وتوصلا للنتيجة بأن إسرائيل لن تسمح بإبادة الشعب المسيحي وإن إسرائيل سوف تتدخل في حالة الطوارىء . في هذه الأثناء خطرت لفايتسمان فكرة التقاء ضباط كتائبيين مع السادات إلا أن ذلك لم يدخل حيز التنفيذ نظراً للأزمة في محادثات السلام بعد أن قيم الأحداث في الشرق الأوسط :توقع مبادرة غربية تهدف إلى معاقبة سورية ،قرر الانضمام إليها (أميركا ، السعودية ، مصر ، ايران ، إسرائيل) لكن كارتر لم يعره أي اهتمام وامتنعوا حتى عن تشجيعه ونصحه .

تعقب الحكم الأميركي تعزيز إسرائيل لقوات بشير بقلق تام واعتبر بشير وداني زعيمين لعصابتين مسلحتين همهما المغامرة سيقوّمان باشعال الموقف في أوقات غير ملائمة . وطلب كارتر من بيغن أن يكف عن الإمدادات للكتائب لأن ذلك سيزيد الحرب تعقيداً . واقترح السادات أن تقوم أميركا بمبادرة سلمية في المنطقة تنسحب سورية على أثرها من بيروت ، وبذلك يزول ثقاب الحرب . كذلك يتم اقناع عرفات اللجوء إلى السبل السياسية لحل المشكلة بدون ضغوط سورية وستكون مصر على استعداد لتدريب الجيش اللبناني . لكن ذلك انتهى بدون نتيجة بعد أن أتهم السادات شمعون بأنه عميل ، انكليزي ، فرنسي ، أميركي ، روسي والآن عاد ليكون أميركياً ! واتهمه بأنه إنسان حقير .

نقطة الإنفجار حانت عندما حاول بشير توسيع نشاطاته الكتائبية إلى القرى الشمالية مما أدى إلى مذابح مروعة بين المسيحيين أنفسهم . بدأت الخلافات في قرية « زغرتا » بين أفراد منظمة فرنجية ورجال الكتائب . في ١٢ آيار انسحب فرنجية من جلسة الجبهة اللبنانية التي تمثل بها كافة الفئات المسيحية . وزاد الخلاف على أثر المنافسة على جبي ضريبة الحماية من المصانع في قرية « شكا » ، واغتيل في هذه الاثناء قائد الكتائب في المنطقة « جود باي » . قدم بشير تقريراً عما يدور في الشمال .

أدعى بشير أن إسرائيل اعترفت أنه لا مناص من المواجهة مع فرنجية ولكن إسرائيل نفت ذلك . وفي ١٣ حزيران أحاطوا بمنزل طوني فرنجية وطالبوه بتسليم قاتلي « جود باي » فرفض طوني وعندها هوجم وأهل بيته وحراسه وتم ذبحهم ، قاد هذه العملية سمير جعجع ، طبيب جراح ، ترك عمله والتحق بقوات بشير واصبح من الضباط البارزين وكانت هذه

العملية بالنسبة له تصفية لحسابات قديمة وشخصية مع طوني فرنجية . تأثر بشير من العملية وعرف أنه من الآن وصاعداً فتحت عليه جبهة جديدة . في البداية أنكر أن رجاله قاموا بالعملية وعندما سئل جعجع عن الضمادة برجله أجاب أنه تزحلق . على أثر المذبحة تدهورت العلاقات بين جعجع وبشير وشعر بغيابه عن الحلقة الاستشارية المحيطة ببشير وذلك لسوء القرارات التي اتخذها بشير في بعض الأحيان . .

على أثر ذلك جرى نقاش حاد في القيادة الإسرائيلية حول تشجيع بشير في التمادي على حلفاء سورية وكان أن أرسلت سورية قوات كوماندو إلى ضواحي بيروت وازداد الوضع تدهوراً عندما بدأ داني وبشير بإطلاق النار على السوريين وهؤلاء ردوا بقصف الأحياء المسيحية بالصواريخ والقذائف . لأول مرة تكشف سورية عن العلاقة الكتائبية الإسرائيلية ودعتهم بالعصابات المتمردة ، خونة ، وعملاء إسرائيليين . وكان الطلب السوري تجريد السلاح من المسيحيين ونشر الجيش السوري في أحياء بيروت الشرقية .

كانت هذه الأحداث ، بمثابة الامتحان لعلاقة بشير بإسرائيل ، وبالرغم من توسلات بشير لإرسال قوات إسرائيلية إلى جونيه وصعوبة الوضع المسيحي هناك ، اتخذ فايتسمان وغور جانب الحذر من المحاولات الكتائبية جر إسرائيل إلى الحرب وأخذ بيغن بعين الاعتبار محادثات السلام مع مصر وقلق على مصيرها في حالة التدخل العسكري في لبنان .

وافقت إسرائيل على إرسال طائرتي « كفير » من أجل ردع السوريين إلى سماء بيروت لغارات منخفضة (طائرتين إسرائيليتي الصنع خوفاً من ردود الفعل الأميركية) ، وخاب أمل عين الرمانة عندما شاهدوا الطائرتين تعودان باتجاه إسرائيل دون أن تقصفا الجيش السوري .
ومن أجل أن ترتد سورية وتكف عن القصف كثفت إسرائيل وركزت القوات في الهضبة وأعلن بيغن أن إسرائيل لن تقف مكتوفة الأيدي لتشاهد أمة تباد في الطرف الآخر من حدودها . .

وصلت التحذيرات الإسرائيلية إلى الأسد عن طريق أميركا وضغط شمعون على سركيس حتى يهدد بالاستقالة إذا لم تكف سورية عن قصفها . على أثر هذه المناورات أوقفت سورية قصفها فتهلل بشير وأثنى على بيغن ولكنه لم يكتف بعد إذ أن إسرائيل لم تعمل ما فيه الكفاية من أجله .

وعاد بشير بعد اسبوعين وبدأ يتحرش بسورية من جديد . وهذه المرة فاجأته سورية وهاجمت من الشمال لتجبر بشيراً على الحرب في مناطق مفتوحة وبعيدة عن إسرائيل وكانت النتيجة ان احتل الجيش السوري منطقتي « البترون وبشري » وبذلك سيطروا على مساحات

واسعة من منطقة النفوذ المسيحي وقاموا بتفجير مخازن السلاح واعتقال وقتل الكثيرين من رجال الكتائب.

حافظ الإسرائيليون على الهدوء نظراً لإقتراب موعد «مؤتمر كامب دافيد». توجه بشير بصوت مخنوق وعينين مليئتين بالدموع إلى إسرائيل أن تتدخل وقال انهم قادمون إلى جونيه وليس أمامنا سوى البحر... إلى أين سنذهب؟! إذا سقطت جونيه فسنفقد البحر، أملنا الوحيد في استقبال امداداتكم!! ولكن وكما قلنا فضلت إسرائيل السكوت وعدم التدخل.

لأول مرة منذ بداية العلاقات أعلن بشير عن قطعها وادعى أن إسرائيل خدعته وتركته في لحظاته الصعبة ولم يرضخ لطلب إسرائيل أن يحضر لتوضيح الأمر! وافق بشير بعد تجدد القصف على بيروت الشرقية أن يشترك بمؤتمر «بيت الدين» بإشتراك وزراء الخارجية العرب، وتم إصدار بيان ينص على عقاب كل من يتعاون مع إسرائيل ورتبت بعد المؤتمر اتفاقية لوقف النار. كانت نتيجة القتال مع السوريين خلال صيف ١٩٧٨ ضياع مساحات واسعة من أيدي المسيحيين ومغادرة قسم كبير من السكان البلاد وانهيار شبكة الخدمات المدنية. ولكن بشيراً افتخر بصمود جنوده رغم قلة عددهم والتملص من سطوة سورية.

بدأت فكرة التقسيم تتبلور في اجتماعات الزعماء المسيحيين واقترحوا إقامة حكم ذاتي كامل في منطقة النفوذ الخاضعة لهم نظراً لإنعدام الأمل لاستقلال لبنان ثانية كما اعتقدا شمعون وجان نادر لكن بشيراً فضل أن يقف على أن يكون النفوذ على مساحة لبنان ١٠,٥٤٢ كم٢.

في شباط ١٩٧٦ قتلت «مايا» ابنته الصغيرة التي تبلغ السنة والنصف نتيجة إطلاق النار على سيارة أبيها من كمين نصب لبشير وقتل معها أربعة من الحراس ونجا بشير لأنه كان دائم الحذر ولم ينضم في الليالي إلى السهرات والحفلات مع ضباطه، وخلال أيام الحداد لم يفه بكلمة وتأثر تأثراً عميقاً من الحادثة وللبعثة الإسرائيلية قال انه يفكر الآن في اختيار طريق. عرف بشير أن قتلة ابنته كانوا رجال فرنجية فأراد وضع حد للاغتيالات ونادى رجاله بعدم الانتقام لدم ابنته. رأت إسرائيل برد بشير دلالة على نضوجه وتحرره من القيود التقليدية. وفعلاً فقد توقفت عمليات القنص والاغتيالات بين الكتائب ورجال فرنجية. طالب بشير إسرائيل بتنظيم ارساليات السلاح إلى الفئات المسيحية نظراً للخلافات التي كانت تحدث - عند تفريغ الحمولة - بينهم، فهددت إسرائيل بقطع مساعدتها ما لم يكن هنالك تلاؤم فيما بينهم. اكتشف الإسرائيليون أن المسيحيين يبيعون الأسلحة إلى المنظمات الأخرى. فبحثوا الأمر ووجدوا أن ذلك صحيح وأجابهم شمعون اني متأسف ولكني بحاجة إلى المال فرد

«رفول» قائد الأركان الجديد على ذلك بقوله - لا حاجة لنا بحلفاء كهؤلاء ولا نريد التدخل في شؤونهم التي لا تهمنا.

تطلب مجهود كبير لإقناع «ايتان» بزيادة الإمدادات إلى المسيحيين نظراً للقوة العسكرية التي يمكن أن يقودها بشير وقت الحاجة استطاع بشير تهدئة الأمور بمنطقته بعد أن أعطى لكل فئة منطقة نفوذ خاصة، وهي المسؤولة عن أمنها وحراستها وجباية الضرائب من تجارها. نظم الفعاليات العسكرية وبدأ بتدريب جميع فئات الشعب على السلاح ورفع معنوياتهم وقوبل بشير بالترحيب والقبلات أينما حل.

خوفاً على مصير السلام الإسرائيلي المصري فقد رفضت إسرائيل خطة بشير مهاجمة السوريين على شكل كماشة - إسرائيل من الجنوب والمسيحيين من الغرب - واعطيت الأفضلية بدعم قوات الرائد سعد حداد نظراً لأهميتها الأمنية لإسرائيل.

بعد تبادل الزيارات تبلورت المواقف على الشكل التالي:

- تقوية الفئات المسيحية حتى لا يستطيع الجيش السوري اجتياح المتسع الموجود داخل مثلث جبيل - جبال كسروان - بيروت، معنى ذلك تقوية القدرة النارية عند المليشيات المسيحية ووضع العراقيل والتحصينات وابراج مراقبة حول منطقة النفوذ.
- تغيير النظام الداخلي للمنظمات من أجل إنجاحها، لكي تستغل جميع الامكانيات العسكرية الموجودة تحت تصرفها وتعطي سرعة التنقل للقيادة. وزيادة على ذلك رفع القدرة القتالية عند الوحدات بإرسال ضباط إلى إسرائيل حتى يتدربوا على أحدث الأسلحة: المدافع والدبابات.

أعطى هذا الدعم الإسرائيلي دفعة قوية لبناء القوة العسكرية المسيحية فقدم إلى البلاد المئات من الجنود للتدريب واقيمت محطة «لبنان الحر» في بلدة أدونيس وطلب بشير أن تمثل إسرائيل بشكل دائم في قيادته، فصادقت الحكومة على ذلك وفي السنتين القادمتين ازدادت العلاقات قوة وعادت المياه إلى مجاريها، طلبت أخيراً إسرائيل من بشير أن يدفع مقابل السلاح الذي يأخذه، لأنه لا يعقل أن يعج لبنان بالمال ويحارب سكانه بسلاح اشتراه دافع الضريبة الإسرائيلي فرضخ بشير للطلب الإسرائيلي ولكنه حاول في بعض الأحيان التملص من الدفع.

عادت إسرائيل وطالبت الجميل أن يقوم بتوحيد الصف في صفوف المسيحيين نظراً للخلافات المستمرة فيما بينها على مناطق نفوذ أو جبي ضرائب حماية ووعد بشير أن يقوم بذلك في القريب العاجل. وفي ٧ تموز ١٩٨٠ انتظر بشير ورجاله خروج داني شمعون من

قيادته في « الصفرا »، ثم هاجموا مقره ودمروه. وقتل في الهجوم ٨٠ من رجال داني. استولى الكتائب على جميع المكاتب والمقرات لميليشيا النمور وأعلن بشير عن انضمام جميع المسيحيين تحت أمرته وقيادته واتهم داني إسرائيل بهذه المحاولة للقضاء عليه.

وصل مبعوثا بشر لإسرائيل كي يشرحا ما حدث في مقر داني شمعون وعللا هذا الهجوم بإرادة بشير توحيد جميع المحاربين تحت رايته. وقال المبعوثان أنه من الآن وصاعداً ستتم جميع الترتيبات مع بشير فقط! ولدهشتهما لم تفرح إسرائيل لذلك لأنها لم تنس أن داني هو أول من توجه لإسرائيل مع أبيه طالباً المساعدة وقالت لهما ان إسرائيل لن تقوم بأية عملية دون أن تستشير شمعون. أسرع شمعون وصالح بشيراً لأنه لم ير بداني الأمل المسيحي ووريثه ومكمل طريقه! ويقال ان شمعون قبض من بشير تعويضات بمبلغ مليون دولار.

وهكذا وبهذه المصالحة منع شمعون إراقة الدماء بين الفئات المسيحية وانضم قسم من النمور إلى قوات بشير والقسم الآخر عاد إلى أعماله الحرة. أما جورج عدوان وانطوان صقر فقد أسرعا واعلنا أن قوات التنظيم وحراس الأرز يباركون وحدة الصف. خلال أشهر معدودة سيطر بشير على جميع انحاء منطقة نفوذه، فالصقت صوره على الحيطان، واعطيت له جميع الحقوق. أما أمين فقد أبعد من القيادة وعيّن قائداً لفروع حزب الكتائب في المتن، وبقي بيار الجميل وكميل شمعون الرؤساء الفخريون للكتائب ونالا الاحترام من الجميع وحتى إسرائيل فقد خففت تدريجياً محاولات الإتصال بها.

في نهاية ١٩٨٠ بدأت إسرائيل بقطف الثمار لمجهودها في بشير عندما بدأ الجيش السوري بتخفيف قواته في لبنان. ففي حينه طلب من بشير أن يقوم بالإسراع ويستولي على المناطق التي يتركها الجيش السوري وفعل ذلك ببراعة تامة ليثبت أن التدريبات الإسرائيلية لم تذهب هدراً واعلن ان السلام مع إسرائيل سيكون أغلى من السلام مع مصر، لأن لبنان أعطى للعالم العربي وبالأخص في الخليج الفارسي أمهر الرجال في الإدارة والتجارة وعليهم تعتمد جميع هذه الدول ولذلك فإن لبنان هو الردهة للدول العربية. آمن بشير أن العلويين سيقومون بالتوجه بطلب إلى إسرائيل من أجل المساعدة في القريب. ولكنه لم يستطع أن يبرهن نظريته بالأفعال.

قام بشير وبالسر بمساعدة « الإخوان المسلمين » وأمدهم بالسلاح والتدريبات العسكرية المستعجلة وكانت الأخبار عن الاغتيالات والحوادث داخل سورية تنشر في الصحافة الخاضعة لبشير ليستطيع العالم معرفة ما يدور داخل سورية الأسد.

بدأت مخالفات الرأي في القيادة الإسرائيلية تنجلي لبشير، فبالرغم من المصلحة

المشتركة وظهور خلاف مبدأي، فقد تكررت طلبات الكتائب اخلاء الفلسطينيين من لبنان، وقال بيار الجميل انه بالنهاية ستكون إسرائيل هي المسؤولة عن توطينهم ورأى بيغن بهذه الملاحظة إنكاراً للجميل. عندما سأل بشير عن وقوفه على رأس شبكة تهريب الحشيش (١٠ بالمئة من مدخولات الدولة) إنفعل وشعر بالإهانة. ولكن الأمور كانت واضحة فقد امتلأت خزينة الكتائب بسبب تسلطهم على هذه الشبكات وتخطيطها.

رجال الإستخبارات الذين تحفظوا من بشير فقد أصبحوا أقلية عندما أيد بيغن المسيحيين بشكل علني وقال انه يتعامل مع أمة عريقة في الثقافة والاصالة وقد ترك شمعون عنده أطيب الأثر لقوة إرادته وتمسكه بمبادئه وكان بشير لا يقول « لا » لبيغن أبداً! لأنه لا يدر كيف يعارض هذا الرجل الجليل المسن؟

في كانون أول ١٩٨٠ حاز بشير على انتصار آخر من جهة الالتزام الإسرائيلي لمساعدته بعد صراع عنيد عندما طلب ومع تجدد القتال مع الجيش السوري في زحلة أن تقوم إسرائيل بإرسال « مظلة جوية » لكي يحذر الأسد من إرسال طائراته إلى البقاع ومهاجمة الكتائب ووعده بيغن بأن ذلك سيحدث في حالة الهجوم السوري. وهكذا يكون بيغن قد ابتعد عن خط رابين. وتكلل وعد بيغن بالفعل في نيسان ١٩٨١ عند إسقاط طائرات الهيليكوبتر في سماء زحلة. وهذه المرة الأولى التي يشترك الجيش الإسرائيلي في الحرب من أجل المسيحيين. كانت هذه الحادثة نقطة تحول في رؤية إسرائيل للأمور. وعاد الحذر والشكوك في نوايا بشير والجر إلى حرب غير ضرورية مع سورية... أما نتيجة التدخل فكانت نصب سورية لصواريخ S.A6 (أرض- جو) وخاب أمل بشير وجماعته حين توقفت الهجمات الإسرائيلية، وكانت النتيجة قاسية عندما احتلت سورية جبال صنين وهددت المواقع المسيحية، واجبرت القوات الكتائبية على الانسحاب من زحلة. ذكر بشير لمقربيه أنه بدأ يعيد ثقته بإسرائيل ولكنه شعر أنه يمهد الطريق لحرب شاملة بين إسرائيل وسورية وذلك على أثر التصريحات العلنية والتهديدات التي يقوم بها بيغن للأسد لكي يخرج جيشه وصواريخه من لبنان.

أخبر بشير أحد المبعوثين الإسرائيليين ان لجنة المتابعة العربية تطلب منه قطع علاقاته بإسرائيل وأن الأسد يلح بشدة ويرفض أي اقتراح للتسوية دون أن يتعهد كتابياً بأبطال العلاقة مع اسرائيل. وافق بشير على هذا الطلب ولكنه سيرفض إذا أصرت إسرائيل وطلبت منه عدم التوقيع.

شعر بيغن بالإهانة من تصرفات بشير الذي قال انه لا خيار عنده. ولكنه لن يحترم

توقيعه بقطع علاقاته مع إسرائيل ورفض إدخال قوات عربية إلى الموانىء المسيحية للمراقبة كي لا يتم إدخال السلاح إليها ووقع بشير على وثيقة سرية وضعت في خزينة سركيس يطلب فيها استقلال لبنان وحريته.

أما بيغن فلم يجد أمامه إلا الموافقة على توقيع بشير وقال انه شاب لا صبر عنده.

طلبت سورية من السعودية الحصول على تصريح من كميل شمعون بقطع العلاقات مع إسرائيل، واتهامها بدور سلبي في حرب لبنان ولكن بشيراً استطاع أن ينقح بنداً يلتزم به بأن لا يقوم بمعاهدة سلام مع إسرائيل. أما النتيجة فكانت ان وثيقة بيت الدين لم تدم وفشل الضغط العربي على بشير ودخلت المنطقة إلى تحضيرات فعلية للحرب. ومع كل المحاولات لإصلاح الوضع إلا أنها ألغيت بتاريخ ٦ حزيران ١٩٨٢.

أراد بشير في آن واحد الحصول على التأييد العربي وبالأخص الإسلامي والمحافظة على ثقة الحكومة الإسرائيلية وتطلب منه ذلك المراوغة والمحافظة على التوازن لأنه أراد أن يخوض جولة الانتخابات لرئاسة الجمهورية ويشجع الإسرائيليين على المهاجمة قبل موعد الانتخابات. لاحظ الإسرائيليون نضوج بشير ورغبته في الحكم.اختفت شكوك الماضي، وبدأ بشير يتخذ خطوات سياسية وطنية لبنانية ولم يكتف بقيادة قواته فقط وأصبحت علاقته بإسرائيل متعقلة وموزونة ولم يعط مساعديه الحرية في الاتصال مع إسرائيل دون أخذ موافقته. تأكد بشير من ان إسرائيل لن ترسل قواتها إلى ضواحي بيروت لحرب دامية ولكنه حاول تشجيع القيادة الإسرائيلية على مواجهة السوريين حتى يُخف تأثير الأسد في لبنان وفي نفس الوقت تتقدم إسرائيل نحو بيروت، لأنه علم أن لا أمل في الرئاسة ما دامت سورية القوة العظمى في لبنان.

حاول بشير متابعة الخط الماروني في محافظتهم على قلاع الجبل في ظل الخلافات والحروب بين البيزنطيين والمسلمين. وكان يستمع إلى محاضرات المؤرخ جواد بولس ويستخلص العبر والدروس من حوادث الماضي ورأى أن الموارنة اعتمدوا في الماضي على الدول الأجنبية كالصليبيين ومحمد علي من أجل الدفاع عن استقلالهم، ولكن جواد بولس نبه بشيراً بأنه يراوغ بين دول جائعة متعطشة للحروب بدلاً من ان يتجه إلى ما عبر البحار كما فعل أجداده في الأجيال الماضية. وفعلاً أخذ ذلك بشير بالحسبان وبمساعدة إسرائيل سافر في نهاية ١٩٨١ إلى واشنطن وهناك آمل بمساعدة أميركا له عسكرياً ومعنوياً. إلا أن الحكام الأميركان طلبوا منه التروي وعدم اللعب بالنار لإشعال حرب بين إسرائيل وسورية، ولم توافق أميركا أن تكون حامية للبندقية المارونية بعد أن وقفت من قريب على شخصية بشير.

بعد أن عاد بشير من أميركا ازداد ايمانه بالمحافظة على علاقاته مع إسرائيل ومن جهة

أخرى لم يشأ مقاطعة الدول العربية، وفي تشرين الثاني ١٩٨١ رشح نفسه لرئاسة الجمهورية وأرسل الوفود إلى العواصم العربية لتكشف عن هوية بشير الحقيقية وأراد بذلك أن يحصل على الدعم العربي لترشيحه، واعطاء العرب صورة عن بشير الذي وضع خططاً لدمج الفلسطينيين في لبنان وعن علاقاته مع إسرائيل. ولكن الدول العربية لم تكترث ولم تهتم به لأنها لم تنس ما فعله بشير ولم تغفر له.

تبين فيما بعد أن بشير أسرع في ترشيح نفسه لأنه لم يعرف موعد الهجوم الإسرائيلي. ولم يشأ أن يكون ترشيحه بعد دخول إسرائيل إلى لبنان.لكي لا يسود الاعتقاد أن ترشيحه أتى عقب الاجتياح الإسرائيلي. صرح بشير مرات عديدة لممثلين إسرائيليين عن رغبته في الحكم حتى بدون اجراء تصويت في البرلمان، وكان يقول ان الحد الأقصى لتعيين الرئيس سيكون بين الفترتين ٢٣ تموز و٢٣ أيلول ١٩٨٢.

عند دخول شارون إلى وزارة الدفاع وبمساعدة «رفول» بدأت التخطيطات بسرعة للعملية وراحت التحضيرات العسكرية تتخذ طابع الجدية. وفي إحدى زيارات «رفول» لجونيه فوجيء عندما عزفت إحدى الجوقات الكتائبية النشيد الوطني الإسرائيلي «إلى جانب النشيد الوطني اللبناني ليظهر بذلك بشير مدى صحة نواياه ووعوده.. ونجح بذلك! وانفعل ايتان من الموقف، وعند عودته صرح رفول لأحد الضباط الذين حاولوا اقناعه في البداية - لقد صعقت، «انهم جيش بحق وحقيق». وفي أحدى لقاءات رفول مع بشير قال بشير إنه يحلم وينتظر دخول الجيش الإسرائيلي وذكره رفول ان الهدف هو القضاء على المنظمة وليس دخول حرب ضد سورية وفهم بشير أن إسرائيل لن تحارب داخل المدينة. قيّم بشير ما أخبره «رفول» وبعد أن فكر ملياً وجد أنه إذا لم تهاجم إسرائيل السوريين ولن تدخل بيروت فإن مشكلة المسيحيين ستبقى كما هي وبدون حلول. زيادة على ذلك لم يخبر رجال المخابرات الإسرائيليين عن تقليص الخطة وانها تشمل نهر الزهراني فقط وامتنع الإسرائيليون عن اعلامه بهذا التغيير لأن حالته كانت في أسوأ ما يمكن، وإذا علم فقد يفقد السيطرة على أعصابه.

في شباط أبلغ بشير بأن يضع قواته على أهبة الاستعداد، وعلم قادة الكتائب أن العملية ستتقلص بشكل واسع فادعوا أن ذلك سيؤدي إلى هروب أعضاء المنظمات إلى الشمال وبالأخص المدنيين في المخيمات المحيطة بصور وبالتالي سيعيق على احتمال انتخاب بشير رئيساً للجمهورية خصوصاً عندما سيقضى في هذه العملية على ذيل المنظمة فقط أما رأسها فسيقوى! وفي هذه الحالة سيتم انتخاب رئيس يؤيد السياسة السورية، أما بالنسبة إلى الجنوب

فقد قال ان إسرائيل ستقف أمام مشكلة في اختيار واحد من الاثنين حداد أو بشير. وأضاف أن جيش حداد سيحـل بعد انتخابه لرئاسة الجمهورية لأن حكومة لبنان ستكون المسؤولة عن الأمن في الجنوب وسيكون اتفاق بين إسرائيل ولبنان للمحافظة على الأمن في الحدود الجنوبية.

كانت خطة شارون المحافظة والموافقة على طريقة التفكير التي ابداها بشير. ومُنع حداد من ابداء أي عمل استفزازي يزيد من حدة الأزمة في الجنوب ليعطي المنظمات اشارة البدء بالمعركة..

لم يشأ بشير أن تقوم القوات الإسرائيلية بتطويق بيروت بواسطة إنزال قوات من الجيش الإسرائيلي في ميناء جونيه لأنه أراد أن يحافظ على سرية اشتراكه في التخطيط لكي يحافظ على شخصيته المحايدة وقال انه في هذه الحالة سيقاوم القوات الإسرائيلية، ونصح بأن يكون الاجتياح من اليابسة ابتداء من الجنوب ومن ثم التقدم شمالاً. أما بالنسبة للجنوب فإن الحرب هي التي ستقرر مصيره. وكبديل للخطة الإسرائيلية اقترح «خطة الاكورديون» التي تقضي باشتراك قواته في الحرب والتوفير على إسرائيل تطويق بيروت من الشمال، وكان زاهي البستاني «نائب رئيس الاستخبارات اللبنانية» هو الذي وضع الخطة: وقام بتنسيقها جوزيف أبو خليل.

وعندما وضعت الخطة أمام الضباط الإسرائيليين تبين أن هدفها الرئيسي كان مواجهة الجيش السوري في البقاع حتى يتم الاتصال بينه وبين الكتائب بطريق ترابية بأعالي جبل صنين، وكان ذلك عكس الخطة الإسرائيلية التي هدفت القضاء على المنظمة الفلسطينية، وكان رد الضباط السخرية لهذه الخطة التي وضعت في ١٢٠ بنداً. ومن جهة بشير كانت خطة أخرى وهي أن تقوم قوات الكتائب بمهاجمة القوات الفلسطينية في بيروت ويتصل مع القوات الإسرائيلية القادمة من الجنوب في الدامور، كذلك يهاجمون القوات السورية المتواجدة في ظهر البيدر ويتابعون إلى «الغرفة الفرنسية» على جبل صنين، وكانت خطة بشير أن يشجع إسرائيل أن لا تقلص خطتها العسكرية. ساور الشك القوات الإسرائيلية على قدرة الكتائب القيام بهذه الخطة واعترف بشير أن نيته تحريك الجيش اللبناني الشرعي لهذه المهمة إلا أن ذلك لم يزد من أسهم هذه الخطة بنظر الإسرائيليين. اقترحت إسرائيل أن تقوم بإمتحان قوة الكتائب. إلا أن بشيراً رفض ذلك وأراد أن ينضم قائد إسرائيلي ذو خبرة لمراقبة الأوضاع عن كثب. حافظ بشير على السرية من أجل تغطية البطء الذي تسير به عملية مضاعفة القـوى البشرية في مليشياته، والتجنيد الإلزامي الذي سرى مفعوله لاقى معارضات من المسيحيين

ولذلك كان دائماً يخفي العدد الصحيح لجنوده عندما يسأل من قبل الضباط الإسرائيليين على ذلك.

اعتقد بشير أنه قادر على دمج قواته مع قوات الجيش وجعله جيشاً موحداً يقوم بمهام عسكرية قتالية تستطيع أن تحافظ على الحكم في لبنان، ونصح إسرائيل أن تعتبره جيشاً منظماً وليس عصابة مسلحة ضعيفة.

تابعت إسرائيل ضغطها على بشير، وذات مرة سأله أحد الإسرائيليين كيف يتصور أنه بمقدوره السيطرة على الحكم مع العلم أن الطائفة المارونية لا تزيد على ٢٠ بالمئة من بقية سكان لبنان. وكانت اجاباته أنه يستطيع كسر جميع معارضيه وإن دل ذلك على شيء فيدل على مدى الاعتزاز النفسي الذي تمتع به. وخلال هذه المدة من العلاقات صار يعرف من يعارضه في إسرائيل حتى من الاسئلة التي كانت توجه إليه. عادت الشكوك تساور الإسرائيليين في وعود بشير وقدرة رجاله على القتال، وكان بشير يحاول ايجاد السبل (الخطة التي اقترحها) لإزالة التردد الإسرائيلي لكي لا تضيع الفرصة من يده قبل الانتخابات. اقترح عليه التوجـه لسورية ولكنه كان يعرف أن الأسد لن يوافق على تنصيبه رئيساً أبداً.

يوم السبت ٥ حزيران تلقى بشير الخبر الذي بات بالنسبة له حلماً وهو أن الحرب ستندلع في كل لحظة، وطلب منه أن يعطي أوامره لقواته بإطلاق النار على الخط المدني في بيروت حتى يشغل المنظمة وقواتها. ولكن بشيراً لم يعط أوامره، وادعى أن قواته تطلق النيران منذ استلم الأمر وبعد أن فحص الأمر تبين أن ذلك لم يحدث لأنه لم يشأ أن يفقد الأمل في الرئاسة. كان تصرفه هذا دلالة على رغبته التصرف بحذر واتزان خصوصاً بعد أن قيل له في الماضي أن بمقدور إسرائيل الوصول إلى الدامور في ٤٨ ساعة فقط وهو لا يعلم حتى الآن مدى العملية الإسرائيلية.

بعد أن علم بشير عن حشد القوات الإسرائيلية ودخولها إلى الجنوب طلب من رجاله عدم التفوه أو مباركة هذه العملية ولينظر العالم إليها كتصفية حسابات قديمة بين إسرائيل والمنظمة ولا دخل للمسيحيين فيها. دعي ضباط الكتائب إلى السفر لإسرائيل، ووعد رئيس الاستخبارات اللبنانية «جوني عبده» صديق بشير بأنه أمر القوات في الجنوب بعدم التدخل. ولكن السؤال كان: ما هي وجهة إسرائيل؟ الفلسطينيون أم السوريون؟! وفي هذه الحالة لم يسرع بشير بالمبادرة إنما سيطر على الموقف ولم يمتطِ الدبـابـات لقصر بعبـدا حتى لا يكـون لعبة بيد إسرائيل وقادتها. وفي المقالة الرئيسية في جريدة «العمل» الكتائبية أعلن «جوزيف أبو خليل» أن هذه الحرب ليست بحرب المسيحيين. وطلب بيار الجميل من بشير عدم التدخل

لصالح الجيش الإسرائيلي واتفق الجميع على مباركة الانكسار والدمار الذي سيحل بجماعة ياسر عرفات الذين رفضوا التفاوض مع القيادة المسيحية. وهكذا سيرشح بشير نفسه للرئاسة تحت شعار المصالحة الوطنية بين جميع الطوائف. وانتظر الزعماء المسيحيون رد سورية.

وتابعت القوات الكتائبية وضباطها الإتصال مع الجيش الإسرائيلي لملاءمة مواقفها وفي ٦ حزيران دعي بشير إلى موقع القيادة الإسرائيلي وكانت طائرة هيليكوبتر تنتظر أن تقله.

الفصل الرابع

الضوء الأخضر!

ظهر من بروتوكول الجلسة الأخيرة للحكومة الإسرائيلية قبل الحرب، أن إسرائيل لم تهتم برد الفعل الأميركي للعملية التي ستبدأ في الغد. بالرغم من وجوب التناسق مع أميركا لهذه العملية نظراً لاحتمال الاحتدام بالسوريين وتدخل الاتحاد السوفياتي لصالح سوريا الأمر الذي سيشكل خطراً على إسرائيل إذا لم تسندها أميركا. دخل الجيش الإسرائيلي حالة التأهب القصوى واعتبرت روسيا ذلك أمراً روتينياًتعودت عليه إسرائيل بين حين وآخر، ولكن روسيا فوجئت من الهجوم الإسرائيلي ولم تشاهد في البحر سفنها الحربية، وتباطأت في الرد وبدأت بتعزيز اسطولها في البحر المتوسط،لكن الاستخبارات الإميركية كانت يقظة للتحركات العسكرية الإسرائيلية وكان من المقرر أن تزور حاملة الطائرات كندي وبعض السفن الحربية الأميركية ميناء حيفا، فلم تؤجل الزيارة وتابعت تقدمها إلى الشرق الأوسط وراقبت الحوادث عن بعد ٥٠ ميلاً.

حاولت إسرائيل في حروبها الحصول على الموافقة الأميركية قبل البدء وذلك في ١٩٥٦ (فرنسا وانكلترا) ١٩٦٧ أميركا ١٩٧٣ (أرادت إسرائيل في هذه الحرب أن تنتظر الهجوم السوري المصري حتى تبرهن أنها لم تبدأ الحرب). ولكن في ١٩٨٢ لم تهتم إسرائيل ولم تتخذ الحذر وظهر عدم اكتراثها برد الفعل الأميركي! وجاء هذا التصرف بسبب الثقة التامة في واشنطن وانها لن تتخذ خطوات لا تكون في صالح إسرائيل. اقترح شارون في تموز ١٩٨١ بعد قصف المفاعل النووي وقيادات المنظمة أن تنتظر إسرائيل حتى تزيل أميركا معارضتها وتزمتها بشأن أرساليات الـF.16 كي لا تغضب أميركا مرة أخرى.

اعتبرت أميركا تصرفات الحكومة الإسرائيلية بشأن المفاعل النووي، الغارات على قيادة فتح، وقانون هضبة الجولان تصرفات غير مسؤولة. وسألت لماذا لم يتم التشاور معها على ذلك.

في تشرين الثاني ١٩٨١ زار شارون واشنطن وهناك وضع «هيغ» أمامه خطة لتقوية وتوطيد وقف إطلاق النار مع المنظمة الفلسطينية. وكانت الخطوة الأولى إبعاد رجال المنظمة ٤٠ كم إلى الشمال من الحدود. وإخراج المدافع التي نصبها حداد في منطقته والخطوة الثانية

قضت بانسحاب الجيش السوري قبل الإنتخابات للرئاسة في لبنان. والخطوة الثالثة، انسحاب شامل لجميع القوات الأجنبية في لبنان ومن أجل ذلك اقترح هيغ وضع قوة متعددة الجنسيات في جنوب لبنان.

لكن شارون قدم اقتراحاً بموجبه تقوم المنظمات وقياداتها بالانسحاب الكامل من جنوب لبنان وليس إلى ٤٠ كم فقط. حاول شارون اقناع الأميركان بأن يكون هناك تعاون استراتيجي وحذر من التوسع الشيوعي في أفريقيا وأبدى رغبة في المساعدة لإيقاف هذا التوسع. وكان أمله من ذلك أن يخفف الضغط االأميركي عن يهودا والسامرة.

ثم التوقيع على مذكرة التعاون الاستراتيجي، ليس قبل أن توضح أميركا للسعودية بأن هذه المذكرة لا تضم الدول العربية وذلك لا يعني أن لإسرائيل الحرية في التصرف وبذلك حاولت أميركا أن تخفف من أهمية المذكرة وإعطاء إسرائيل التزامات ووعود أمنية تسيء بالتالي إلى العلاقات الأميركية في المنطقة. لوح شارون بهذه المذكرة الموجهة ضد الاتحاد السوفياتي بالذات ولم يتأخر رد الفعل السوفياتي فأعلن أحد أعضاء اللجنة المركزية في الحزب الشيوعي أنه من الآن وصاعداً حذار على إسرائيل أن تتعجب من تقليص الهجرة اليهودية بعد أن اعتبرت روسيا دولة عدوة!!

وبالرغم من أهمية المذكرة علم شارون أنها لن تكون كافية لتبرير عملية عسكرية في لبنان، وشعر شارون أن رئيس البنتاغون «واينبرغر» ليس بشريك أمين لهذه العملية لأنه سبق وأن عارض قانون هضبة الجولان وضغط على ريغان لاتخاذ إجراءات رادعة ضد إسرائيل. في هذه الحالة ظهر «هيغ» الرجل الذي بإمكان شارون الاعتماد عليه حتى في مشاكل لبنان.

شارون وهيغ ضابطان وصلا إلى السياسة، آمنا بنفس المبادىء وبالأخص المعارضة لروسيا، وان بامكان القوة العسكرية حل الكثير من المشاكل السياسية. وتصورا أن روسيا هي أم الإرهاب العالمي. في زيارته الأولى حاول هيغ إقناع إسرائيل والدول العربية المقربة للغرب بإنشاء حلف استراتيجي لمنع التوسع الروسي في الشرق ومن ثم الاتجاه إلى حل شامل للمشكلة العربية الإسرائيلية ولم يجد هيغ صعوبة في إقناع شارون وبيغن ولكن الدول العربية عارضت وطالبت بحل المشكلة العربية الإسرائيلية أولاً ثم محاولة ايقاف النشاط الروسي في المنطقة.

بالرغم من الصداقة التي أبداها هيغ وتفهمه للعمليات الإسرائيلية إلا أن «وانبرغر» استطاع أن يقنع بيغن باتخاذ الإجراءات العقابية ضد إسرائيل.

حاول شارون أن يرمز للقيادة الأميركية عن العملية وبدأ بكشف بعض النواحي منها

ولكنه لم يكشف كامل الخطة وأراد بذلك أن لا يدعي الأميركان أن هذه العملية مفاجئة بالنسبة لهم، وكان القصد هو الحصول على موافقة هيغ لعملية عسكرية ضد المنظمات واعتبار ذلك من حق إسرائيل.

في كانون أول ١٩٨١ استغل شارون فيليب حبيب رغماً عنه لإبلاغ واشنطن دون مشاورة بيغن وأعضاء الحكومة ما ينوي القيام به فقد اجتمع مع حبيب وأبلغه أن إسرائيل مضطرة الآن بعد أن بدأت المنظمة بخرق اتفاقية إطلاق النار إلى تدمير قواعد المنظمة في لبنان ورغماً عن محاولات حبيب اقناعه إلا أن شارون الذي كان هذا رأيه الخاص لم يرضخ وتابع نقاشه مع حبيب وقال إن الحرب لا تشمل سورية. ولا توجد خطة لدخول بيروت، وبذلك نكون قضينا على مركز الإرهاب العالمي. ابلغ حبيب وبراون حكومتها بذلك وتعتبر هذه المرة الأولى التي تعلم بها أميركا عن الخطة الإسرائيلية. تمت الاتصالات وفوجئت الحكومة الإسرائيلية من هذا البلاغ وبعد الامعان في محضر الجلسة تبين أن شارون قام بإبلاغ حبيب فعلاً بخطته.

لم يهتم مكتب الاستخبارات الأميركي بحشد إسرائيل قواتها على الحدود الشمالية واعتبر ذلك أمراً روتينياً، أما تصريحات شارون فقد اعتادوا عليها وليس لها الأكثرية الساحقة في الحكومة وحتى الآن لم يعط الضوء الأخضر لشارون (كانون أول ١٩٨٢) ببدء العملية.

في شباط ١٩٨٢ اتخذت الحكومة قراراً بإبلاغ واشنطن عن النية القيام بعملية عسكرية فأرسل (بعكس شارون الذي كان يبدي رأيه دون موافقة الحكومة) رئيس شعبة الاستخبارات إلى واشنطن ليقوم بإبلاغ واشنطن أن الكيل طفح وإسرائيل لن تنتظر أكثر من ذلك. وبشر ذلك على قرار بيغن القيام بالعملية بأي ثمن. حاول هيغ اقناع المبعوث الإسرائيلي أن هذه العملية ستؤدي إلى فشل كامب دافيد وخصوصاً أن الإنسحاب الإسرائيلي سيتم في ٢٥ نيسان، مما سيؤدي بالتالي إلى زيادة الهوة في العلاقات المصرية مع الدول العربية.

توصل هيغ «وشعي» إلى أن العمليات التخريبية خارج الشرق الأوسط وعلى قوات يهودية في مختلف انحاء العالم ليست بذريعة لبدء العملية، إلا أنهما لم يستطيعا تعريف نوعية العمل التخريبي الذي سيمنح إسرائيل الحق للقيام بها، خرج «شعي» من مكتب هيغ من الباب الخلفي لأنه في نفس الوقت انتظر «دوبرينين» السفير السوفياتي في الخارج لمقابلة هيغ ومن الأفضل أن لا يشاهد «شعي» حتى لا تزداد مخاوفهم وشكوكهم.

لم يغفل مكتب الاستخبارات الأميركي عن التخطيطات الإسرائيلية وكشف النقاب

عن جميع «الاسرار» التي أخفاها رجال الأمن الإسرائيليين والتفاصيل التي نقصته تلقاها وبسهولة من مكاتب القيادات الكتائبية نظراً لإلمامهم بالتخطيطات الإسرائيلية وبالأخص خبر زيارة وزير الدفاع إلى بيروت وما صرّحه هناك.

كانت العلاقات بين بشير وواشنطن «باردة» ولم تكترث به ابداً بالرغم من الوسائط الإسرائيلية لقيام مثل هذه العلاقة، طلب رابين عدم طلب اذن من واشنطن لإرساليات الأسلحة إلا الإبلاغ عنها فقط لأنهم بالتالي سيعلمون هذه الأمور بسهولة والأفضل من الآن أن يتفهموا الأمر، تفهم «كيسينجر» العلاقات بين إسرائيل والكتائب ولم يعارضها، واستغلها كما استغلت الكتائب هذه العلاقة. واستطاع الأميركان الاتصال ببشير مباشرة والحصول على معلومات حتى عن التخطيطات الإسرائيلية.

من خلال محادثات شارون في واشنطن علم الأميركان أنه يتحير في الاختيار بين ثلاث امكانيات:

١ - عملية عسكرية محدودة تضم قصفاً مركز على المواقع الفلسطينية وعمليات «كوماندو» في جنوب لبنان حتى بيروت.

٢ - عملية عسكرية مشابهة «لعملية الليطاني» تهدف إلى تدمير قواعد المخربين وهذه المرة لن تنسحب إسرائيل دون أن تكون هناك ضمانات بعدم عودة المخربين إلى مواقعهم.

٣ - الاتصال بقوات الكتائب شمالاً والضغط على المخربين واحتلال أكبر مساحة ممكنة منهم.

انكشفت سرية العملية العسكرية الإسرائيلية في الولايات المتحدة وفي اخبار الثامنة من ٨ نيسان ١٩٨٢ في اذاعة N.B.C وصف المذيع العملية الإسرائيلية وقال انها ستكون حرباً شاملة وستهاجم إسرائيل بـ١٢٠٠ دبابة، وبقوتين إحداها ضد القوة السورية والثانية ضد المخيمات والقيادات الفلسطينية في صور وصيدا وستشترك أيضاً القوات البحرية والجوية من أجل مساعدة القوات المهاجمة من اليابسة. وفي وقت لاحق ستهاجم إسرائيل بقوة ثالثة باتجاه الدامور، وأضاف المذيع ان المخططين الإسرائيليين يفحصون إمكانية مهاجمة بيروت حيث تتواجد قوات كبيرة للمنظمة الفلسطينية.

وهكذا وصف «جون تشنسلر» الحرب المتوقعة، وبالتأكيد فإن «البنتاغون» يعلم أكثر من ذلك بكثير. حاولت أميركا منع الحرب واتصلت بياسر عرفات بشكل غير مباشر بواسطة مصر والسعودية وحذرته من التهور لأن إسرائيل هذه المرة تنوي وبجدية المهاجمة بقوات كبيرة. هاجمت القوات الإسرائيلية بالطائرات في ٢١ نيسان مواقع المنظمة شمالي

الزهراني. اعتقدت أميركا أن هذا الهجوم هو صفارة البداية للحرب. إلا أن إسرائيل نفت ذلك. وعادت أميركا واتصلت بالمنظمة وطلبت المحافظة على الهدوء وضبط النفس. وهذا ما حدث. لكن الأمور زادت تعقيداً وحاولت أميركا إيجاد حل شامل وإخراج سورية من لبنان حتى أنها اقترحت مرشحين لرئاسة الجمهورية.

استقبل «حبيب» في ٢ آذار في دمشق بمظاهرة نظمت في حماه التي قصفها الأسد، وذلك استنكاراً لتدخل أميركا في الأمور الداخلية لسورية ولبنان. وبالرغم من سوء العلاقات بين الأسد وواشنطن واستعمال أميركا لحق النقض في الأمم المتحدة عند التصويت على قانون هضبة الجولان، فقد عرف الأسد أن أميركا هي الوحيدة التي بمقدورها منع إسرائيل من اجتياح لبنان.

علمت الاستخبارات الأميركية أن الأسد لا يرغب في دخول حرب جديدة ضد إسرائيل رغم التمارين العسكرية والاستعدادات الجدية في جيشه. حاول الأسد تهدئة المنظمة حتى لا يعطي إسرائيل عذراً للحرب. شعر حبيب أن الأسد يخشى دخول الحرب وحده فاستغل ذلك وبدأ يضغط على سورية لسحب قواتها في نطاق اتفاقية شاملة يتم خلالها انتخاب رئيساً للجمهورية، وأمل الأميركان ان يوافق الأسد ويكتفي بانتخاب رئيس ملائم لسورية.

المحاولات الأميركية لمنع نشوب الحرب بين إسرائيل وسورية كانت كثيرة وكانت إحداها عند دخول الجنود السوريين إلى لبنان، هددت إسرائيل بإيصال جيشها إلى جنوب لبنان ولكن وبالوساطة الأميركية منع ذلك وعين الخط الأحمر الذي ضمنه تستطيع سورية العمل في لبنان، وكانت الاتفاقية تقضي:

١ - بعدم اجتياز قوات سورية وبالأخص مدرعة نهر الزهراني.

٢ - إدخال صواريخ أرض - جو.

٣ - القيام بغارات جوية ضد أهداف لبنانية.

أعلن شارون إلى الأميركان أنه بدأ يفقد صبره بسبب إدخال المدافع الفلسطينية إلى المواقع التي يتواجد فيها الجيش السوري وتقدم الجيش السوري جنوباً فوعدوه بفحص الأمر وطلبوا منه أن لا ينشر ذلك.

لم تكن العلاقات حسنة بين شارون والممثلين الأميركان بسبب اسلوبه الفظ في الكلام، وحذر ضباطه وموظفيه بعدم تقوية العلاقات معهم، وقال لهم ان الاتفاقية مع المنظمة قد انتهت. شك الأميركان أن شارون ينوي السيطرة على الضفة الغربية وإسكات زعمائها بواسطة حرب لبنان، وحذروا أن هذه الحرب ستكون طويلة وتؤدي إلى الإصطدام بسورية

وستضر بالمصالح الأميركية في المنطقة. لم تتحمس الولايات المتحدة لطلب شارون زيارة واشنطن في شهر آيار، ولكن وزارة الدفاع الأميركية حضرت وثيقة تقيم عبرت عن مخاوفها من عملية كهذه ونتائجها الوخيمة.

على الرغم من الممانعات الأميركية وجد من يؤيد الخطة الإسرائيلية بشرط أن تكون قصيرة وأن لا يُصاب بها مدنيون وتؤدي إلى طرد الجيش السوري من لبنان، ورأى شارون بذلكْ برهاناً على ان نتائج الحرب ستؤدي إلى تفهم أميركا للعملية. وقال بعض الزعماء الإسرائيليون ان هذا التأييد لا يعني ان الرئيس الاميركي موافق على العملية.

أراد المسيحيون في لبنان أن يعرفوا أيضاً ماذا يفكرون في واشنطن حول الحرب المنتظرة وقبل زيارة شارون لواشنطن. سافر أمين الجميل إلى هناك وحاول معرفة نوايا إسرائيل نحو السوريين وهل ستهاجمهم؟

وهنا ثار الشك لأن أمين الجميل حسب المعلومات الأخيرة تربطه علاقات حسنة مع دمشق عكس أخيه بشير، وتساءل الجميع هل زيارة أمين كانت باسم الكتائب أم أخذ على عاتقه أيضاً العمل لسورية؟!

في زيارة شارون التي حازت على تغطية من جميع وسائل الاعلام (بعكس زيارة أمين) حاول الأميركان عدم البحث معه في أمور أمنية وعدم السماح له لقاء ريغن، وقرروا مناقشة موضوع المساعدة الأميركية لإسرائيل بمشاريع تطوير الأسلحة معه. ولكنه لم يأت لذلك...

إلتقى شارون بهيغ وكان محور الحديث «لبنان» والحوادث الأخيرة على الحدود، ووضح شارون أن الحرب قريبة لأن المنظمات لم تحسن التمسك بإتفاقية الهدنة وان إسرائيل نفد صبرها، إلا أن هيغ أوقف شارون وطلب منه التحلي بالصبر. إلا أنه رد عليه بقوله: «لا حق لأي أمة في العالم أن تقرر لأمة اخرى ما هي الطريقة الأفضل للدفاع عن مواطنيها!! فهز هيغ رأسه. وفهم من هذا الكلام ان إسرائيل لن تنصاع لتحذيرات واشنطن، وطلب من شارون انتظار خرق بسيط للإتفاقية من جهة المنظمة حتى تكون هناك ذريعة للعملية، والتأثير على الرأي العام العالمي. لم يفصل شارون خطته العسكرية إنما حاول الرمز بوضوح على ما سيدور وشمل في رموزه الجيش السوري وبيروت الهدفين اللذين لم تصادق عليها الحكومة الإسرائيلية.

أوضح شارون ان هدف العملية هو «المنظمة» ولكن من الممكن ان تكوّن نتيجة ذلك اصطدام مع الجيش السوري (المتواجد في لبنان) ومحاولة تنصيب حكومة ثابتة ومستقلة في لبنان، وسأله أحد الحضور من الطرف الأميركي إلى أين ستصلون؟ فأجابه، إلى أي

مكان نكون بحاجة إليه! إذ لا يمكننا العيش وسيف الإرهاب معلق فوق رقابنا وإذا رأينا وجوب الدخول إلى بيروت سندخل! قال هيغ انه في حالة خرق المخربين للهدنة فإنه يتوقع عملية سريعة ـ مثلها «بعملية فخ»، عملية نظيفة وسريعة، فلم يفهم شارون المصطلح الطبي ومال على آرنس وطلب منه تفسيراً، وعندما تلقاه ظهرت على وجهه علامات الإرتياح.

بعد هذه الجلسة خرج شارون بشعور أن أميركا موافقة مبدئياً على عملية إسرائيلية بشرط أن تكون لها ذريعة واضحة وكذلك أن تكون عملية سريعة، مفاجئة «كالعادة».

وعندما عاد إلى إسرائيل كانت بجعبته تفهم أميركا للعملية الإسرائيلية! خشي مساعدو هيغ من ان حديثه مع شارون سيعطيه الثقة التامة ان أميركا موافقة على الحرب وأخبروه ان إسرائيل ترى في السكوت موافقة، ولذلك طلبوا منه أن يتصل بشارون ويخبره أن لا يستنتج من الحديث أن أميركا موافقة على الحرب، ولكن ريغن بعد ان أبلغ بفحوى الجلسة طلب الاتصال «ببيغن» وإبلاغه بما دار في حديث شارون ـ هيغ.

لم يكن في رسالة هيغ إلى بيغن أي تهديد. وفهم الإسرائيليون انها خطوة دبلوماسية حذرة واعلان التحفظ شكلياً من العملية في حالة تورط إسرائيل.

كانت الرسالة التي حملت تاريخ ٢٨/ آيار/ ١٩٨٢ وشملت صفحتين وخمس فقرات:

القطعة الاولى ـ وصف للمحادثة بين شارون وهيغ التي بحثت خلالها مواضيع كثيرة ومختلفة.

القطعة الثانية ـ تطرق إلى موضوع الحرب، ورغب في أن لا يكون هناك عدم وضوح (no ambiguity) بالنسبة لاهتمامهم الكبير بعمليات عسكرية ممكنة من الناحية الإسرائيلية في لبنان.

إن أميركا تقدر الارتداع الإسرائيلي، والحاجة إلى ضبط النفس، وان كل عملية إسرائيلية ستؤدي إلى نتائج لا يمكن تكهنها سلفاً!

في الصفحة الثانية (القطعة الرابعة) ـ طلب هيغ مرة أخرى أن تحاول أميركا التوسط بواسطة حبيب، والقطعة الخامسة كانت شخصية وفيها يطلب الشفاء لزوجة بيغن التي دخلت المستشفى. كانت هذه الرسالة ترمي إلى التراجع عن الرموز التي رمزها هيغ في حديثه مع شارون وتوضيح الأمر من جديد، ولكنها لم تغير شيئاً في إسرائيل بل ودعمت موقف شارون، ولم يطرح بيغن شيئاً أمام الحكومة كعادته، وشجع «أرنس» موقف إسرائيل بعد أن تشاور مع هيغ وأبدى ضرورة موافقة إسرائيل على منطقة معززة في جنوب لبنان

للحفاظ على الأمن في الشمال. لم تكن هذه مؤامرة إسرائيلية أميركية كما حدث في ١٩٥٦ عشية حرب سيناء مع فرنسا. واعتبرت إسرائيل وبحق صمت واشنطن موافقة غير مباشرة للعملية وهكذا نتج اتفاق غير مباشر بين إسرائيل وواشنطن، واتهمت الجهة الأميركية بمعرفتها وعدم اكتراثها بما سيجري.

لم يتوجه شارون إلى هيغ قبل الحرب ولكنه وبعد مرور ٣ أسابيع في ٢٧ حزيران بعد أن اعلن هيغ الاستقالة من منصبه، أرسل له رسالة شخصية وسرية، ذكر له فيها فحوى اللقاء الأخير في واشنطن قبل أسابيع قليلة، ووصفه سوء الأوضاع والخطر الكامن بتصرفات المخربين في جنوب لبنان. وفي هذه الحالة قال شارون لم يبق أمام حكومة إسرائيل سوى إعطاء الأمر للجيش الإسرائيلي للهجوم وإزالة الخطر الإرهابي عن الحدود الشمالية، وتابع وصف الوضع الراهن وذكر أن العملية سريعة وناجعة واستغلت أيضاً لإبعاد السوريين عن بعض المواقع الإستراتيجية التي كانت تحت سيطرتها. و في نهاية الرسالة شكره وابدى له تقديره واحترامه لما أبداه من تفهم لمشكلة الإرهاب العالمي والقضاء عليها.

الفصل الخامس

الإسراع إلى الجبهة

في آب ١٩٨١ تسلم شارون منصبه الجديد كوزير دفاع في حكومة بيغن الثانية.

منذ اللحظة الأولى حاول شارون بناء خطة لمهاجمة لبنان وظهر ذلك في خطاباته وجلساته وبدأت قمة وزارة الدفاع وقيادة جيش الدفاع ملاءمة نفسها لمطالب شارون لأنهم علموا أن الحرب قريبة وما من أحد بمقدوره المعارضة والأفضل الاشتراك في التخطيط حتى يبقوا داخل الصورة! عارض شارون بمخططاته ضابطان أحدهما يدعى «ناتي شاروني» الذي كان رئيس قيادته في القيادة الجنوبية ويشغل اليوم منصب قائد شعبة التخطيط. والثاني «يهوشو شعي» رئيس شعبة الاستخبارات. بقي شعي لوحده في المعارضة بعد أن استقال شاروني من منصبه بسبب عدم ارتياحه لطرق شارون كما ذكر لبيغن، وسرعان ما خف صوته ولم يبق لشارون معارضة تذكر في جلسات الحكومة.

في أيلول ١٩٨١ بدأت القيادة الشمالية مراجعة وتنقيح العملية العسكرية. وشعر الضباط في القيادة أن الحرب قريبة مع تعيين شارون، وصل إلى القيادة ضابط جديد يدعى «امير دروري» وطلب من ضباطه الاستعداد التام لكي «لا يفاجىء من العرب ولا من اليهود» ويعطي الأمر ببدء الهجوم بشكل مفاجىء بدون استعدادات مسبقة لأنه عرف شارون عن كثب حين عمل كضابط عمليات بقيادة شارون عام ١٩٧٠ في قطاع غزة ورأى قوة عزمه وإيمانه بما يفعل. توقع دروري الحرب ولكنه لم يعلم نوعها وحدودها لأن المخربين لن يوقفوا قصفهم على المستوطنات الشمالية، فأخذ بالتحضيرات والاستعدادات لجميع الإمكانيات حتى البعيدة منها دون أن يؤمر بذلك، فخطط للإتصال بالكتائب والقضاء على المنظمة والجيش السوري في جميع انحاء لبنان ولم تشغله مسألة موافقة الحكومة أو لجنة الأمن لأنه لا يحب ولا يريد المفاجآت خلال الحرب. لم تكن العلاقة مع الكتائب غريبة عنه بحكم المناصب التي شغلها سابقاً والتي حتمت وقوفه عن كثب على ما يدور بين إسرائيل والكتائب.

طلب دروري من رجاله فحص خطة «أورانيم المصغرة» والتي تهدف إلى القضاء على المنظمة حتى صيدا، وفي نفس الوقت خطة «أورانيم المكبرة» التي تقصد الوصول إلى طريق بيروت دمشق واجبار الجيش السوري على الانسحاب، ومن أجل ذلك أرسل «دروري» رجال

الاستخبارات لجمع المعلومات اللازمة حول المكان الذي ستدور فيه المعركة. في نهاية تشرين أول قرر شارون في جلسة مغلقة انه بالرغم من عدم رغبته في الاصطدام بالسوريين إلا أن ذلك غير ممكن أبداً ووضع أهداف الحرب بشكل لا يفسر بوجهين: القضاء على المنظمة وابعاد السوريين من المنطقة الواقعة بين بيروت وزحلة. أما القضاء على قيادات المنظمة فلا يتم دون دخول بيروت، واعطى الأفضلية للقضاء على المنظمة ومن ثم التوجه للجيش السوري. ثم الهدف السياسي وهو إقامة حكومة لبنانية مستقلة توافق العيش بسلام مع إسرائيل.

وفي تشرين الثاني ١٩٨١ أعلنت إسرائيل لقيادة الكتائب بالاستعداد، ورمزت أن الحرب قريبة. وكان بشير قد رشح نفسه لرئاسة الجمهورية وبدأ بدعايته الانتخابية وانه أي لبنان بحاجة إلى رجل قوي يكون شعاره «الدكتاتور العادل». بدأ النقاش يحتدم في إسرائيل حول مدة بقاء جيش الدفاع في لبنان واستمرار بشير في الحكم، فأجاب شارون ـ ٦ أسابيع على الأكثر!.

«وشعي» توقع ضعف ذلك وأخطأ لأنهما لم يعرفا حقيقة الواقع الذي يعيشه لبنان. فاكتشف ذلك أمير دروري حين أعلن لضباطه أن قوة الكتائب محدودة وبمقدورها الدفاع فقط ولذلك يجب علينا الاعتماد على أنفسنا ولا نبهر باللقاءات والاستقبالات الحميمة، وصورت وعود بشير بغير واقعية أو أنه لا يريد تنفيذها...

في كانون الأول ١٩٨١ صدر أمر لجيش الدفاع بتركيز قواته على حدود سورية ولبنان، وهذه المرة بقيت القوات ولم تعد إلى قواعدها حتى نشوب الحرب، من أجل ردع السوريين والمنظمة ومع الوقت تعويدهم على تواجد قوات مركزة بانتظارهم. رفض شارون إعادة القوات لمتابعة تدريباتها وكان يقول ـ وصلتنا معلومات سرية عن نية المنظمة إرسال خلايا تخريبية إلى إسرائيل! وعلينا الانتظار! لم تهتم القيادة السورية لهذا الحشد من القوات ولم تعزز قواتها. ولم يظهر أنها تنوي تنفيذ تغييرات جذرية في خططها العسكرية في لبنان، حتى انها امتنعت أيضاً عن حشد قوات في هضبة الجولان بالرغم من تعزيز القوات الإسرائيلية هناك أيضاً.

كانت الذريعة للتعزيزات الإسرائيلية لقواتها في الشمال، قانون هضبة الجولان، وجاء القرار بشكل مفاجيء حين كان رئيس الحكومة في المستشفى لكسر برجله، وغياب قائد الأركان ورئيس شعبة الإستخبارات عن البلاد، صادقت الحكومة على هذا القانون. والوحيد الذي أبدى معارضته كان «برمان» الذي انسحب حتى لا يحضر التصويت. عاد «برمان» إلى بيغن وشرح له لماذا لم يصوت مع القانون، وقال ان إسرائيل بتصرفها هذا قد تفقد تأييد

الرأي العام العالمي الذي بدونه لا تستطيع إسرائيل العيش، واعطى أمثلة عديدة عن أهمية الرأي العام. فذكر له تدخل أميركا في الحرب العالمية الثانية بعد الضغط الشديد من جماهيرها والامم المختلفة في انحاء العالم، ويجب أن لا نتوهم من السكوت الذي يبديه زعماء الدول الأجنبية لأن لذلك ستكون بالتأكيد نهاية وخاصة بعد أن يطفح الكيل، وسأله: ماذا سيحدث في الكونغرس الأميركي حين تعلن الشكاوى ضد إسرائيل؟ وهل ستمد لنا أميركا يد المساعدة حين نكون بحاجة إلى قطار جوي. لم يجب بيغن على تساؤلات برمان وحول الحديث إلى حديث شخصي.

بتاريخ ٢٠ كانون أول عقدت جلسة الحكومة في بيت مناحيم بيغن نظراً لحالته الصحية، وقبل بدء الجلسة دعا إليه سفير واشنطن في إسرائيل ووبخه على رد الفعل الأميركي تجاه قانون هضبة الجولان والعقابات التي أنزلتها بسبب ذلك. حضر الجلسة الكثير من الضباط العسكريين، اعلن بيغن أن الجيش في حالة تأهب قصوى ومن الممكن في كل لحظة أن يحدث شيء مفاجيء! وبيدينا خطة نقوم بتنفيذها وقت الحاجة. قام شارون وشرح خطة «الصنوبر» أمام وزراء إسرائيل الذين تفاجؤوا في البداية بقانون الهضبة والآن يفاجؤون بحرب لا يعرفون عنها، وقال إن الحرب تهدف لبنان وليس سورية ويتعلق ذلك برد الفعل السوري، واشار إلى الخارطة ووضع اصبعه على خط بيروت دمشق وقال ان غرض إسرائيل الوصول إليه ولكن بدون بيروت إذا أراد المسيحيون بيروت فليهاجموها هم! عندما طلب بيغن المصادقة على الخطة ظهرت المفاجأة على وجوه الوزراء ودار نقاش حاد بين بيغن ـ بورغ، موداعي، ارليخ الذين عارضوا طريقة الخطة، وطلبوا الحذر في الخطوات الإسرائيلية خصوصاً بعد احلال قانون الهضبة. أغلق بيغن الجلسة بعد أن رأى أنه لا أمل في المصادقة على خطة الصنوبر، وأجل ذلك إلى فرصة مناسبة أكثر. آمن شارون بالرغم من المعارضة أنه بالتالي ستدخل إسرائيل إلى لبنان وتنفذ الخطة. وفي جلسات الحكومة الإسبوعية لم يقدم شارون القليل من المعلومات والتقارير حول ما يدور من استعدادات وتخطيطات للحرب، وحتى «بيغن» لم يحظ بأكثر من ذلك!

بدأ أحد الضباط الإسرائيليين (ايلي غبيع) بتدريب قواته على أهداف مشابهة لساحة الميدان استعداداً للحرب المتوقعة، وفي البداية كان وحده ولكن الضباط الآخرين حذوا حذوه وبدأ باستغلال وجودهم في الشمال للتدريب على أهداف مشابهة لتلك في لبنان.

قام شارون في كانون ثاني ١٩٨٢ بزيارة سرية لبيروت، فاستقبل بحفاوة على يد بشير الجميل، وهنا حاول بشير استغلال الفرصة التاريخية بوجود شارون في الحكم وشرح له

مشاكله ووعده سماع المزيد من أبيه. صرح شارون في بيروت أن المشكلة لا تحل إلا إذا اقتلع الشر في بيروت وقضي على القيادات الرئيسية للمنظمة هناك. حاول شارون اقناع بشير أن يستنفر قواته في البداية على طريق بيروت دمشق بالقرب من وزارة الدفاع (اليرزة) لأن ذلك سيؤدي إلى تسهيل الأمر لمن سيقوم باحتلال بيروت. وبتصريحاته هذه ظهرت نية شارون استغلال الخطة المكبرة، واضيء النور الأخضر الواضح على أفكار شارون ورغباته. عارض «شعي» رغبة شارون دخول بيروت لأنها عاصمة عربية مليئة بالسفارات وذلك لن يغضب الدول العربية فقط إنما الولايات المتحدة أيضاً! وأجابه شارون بانه محق ويجب اعطاء الكتائب احتلالها، ولكن شعي رد عليه وقال ان ذلك فوق طاقتهم وهم لا يستطيعون ذلك.

شعر شعي خلال الزيارة بعد أن وجه الكثير من الاسئلة لمضيفيه انهم بالتالي سيعودون إلى العالم العربي! ولكن شارون وبالرغم من الإجابات المفاجئة التي تلقاها لخص الزيارة وقال: «سنقوم بتنصيب بشير رئيساً! وتابع «شعي» ملاحظاته لشارون ومعارضته له وقال له: انهم يعتبروننا وسيلة لإبعاد المشاكل والمصائب عن لبنان، ولن يوقعوا على اتفاقية سلام معنا، ولكن شارون لم يتحمل هذه الملاحظة وغضب منها.

زادت المناقشات الحادة في قمة وزارة الدفاع والجيش والموساد على ماهية العلاقة مع الكتائب وقدرتهم العسكرية وأيضاً أهداف الحرب وآمال نجاحها، وبالرغم من التحفظ الذي أبداه القواد العسكريون من اشراك الكتائب كان شارون يثق بهم وبقدرتهم على تحمل العبء.

في بداية ١٩٨٢ شهد الجيش السوري عملية تنظيم واسعة النطاق، شملت زيادة قوات مدرعة وتدريبها على دبابات T.72 وزيادة قوات كوماندو، وكذلك فقد نظم الدفاع الجوي واصبح يعتمد على أكثر من ١٠٠ بطاريات صواريخ من أنواع مختلفة.

منذ اتفاقية السلام مع مصر، اعلنت سورية عن رغبتها في الوصول إلى توازن في القوى مع إسرائيل! ولم تفهم إسرائيل ما تقصده سورية من ذلك! فالجيش السوري ما يزال في أوج تنظيمه، وحذر الأسد في ١٩٨١ بعدم خوض معركة ضد إسرائيل لضعف جيشه نسبياً، وان ما تملكه سورية حتى الآن يؤهلها للحرب مع المسيحيين فقط وليس أكثر من ذلك لأن القادة السوريين يعرفون أنه لم تحن الفرصة لمواجهة إسرائيل بقوات متوازية!

استغلت إسرائيل إلقاء القبض على ٣ مخربين حاولوا التوغل عبر الحدود في ٢٩ كانون ثاني، للتمهيد إلى الحرب، فقد ضخمت العملية، ودعي إلى مؤتمر صحفي أعلن فيه أن المخربين قدموا من لبنان ومن مخيم للمنظمة بالقرب من الدامور وذلك يعتبر خرقاً لاتفاقية وقف إطلاق النار مع المنظمة، ولكن التحقيق ابدى أن المعلومات لم تكن دقيقة،

فقد قدم اثنان منهما من الأردن أما الثالث فقد كان فعلاً في مخيم قرب الدامور ولكن ذلك كان منذ زمن ليس قريب.

لم يوافق بيغن على اقتراح ايتان بنصب الكمائن داخل الحدود من أجل تصعيد التوتر وبالتالي يكون هناك خرق لإتفاقية وقف النار وتكون ذريعة بيد إسرائيل للهجوم، إذ أراد أن تسبق العملية العسكرية عملية تمهيد سياسية واعلامية وبالاخص اعلام واشنطن والحصول على تنسيق معها بشأن العملية ضد المنظمة، وبذلك وبالرغم من رفض الاقتراح يكون بيغن قد وافق مع فكرة الحرب. وهكذا نشأت فكرة إرسال «شعي» إلى واشنطن كما ذكرنا في الفصل الأول. أراد شارون إرسال «دافيد كمحي» مدير عام وزارة الخارجية نظراً لآراء شعي المعارضة للكتائب، خشية التأثير السلبي الذي سيتركه شعي في زيارته، واقناع واشنطن بايجاد حلول جذرية للمشكلة الفلسطينية، إلا أن بيغن قرر - «شعي» هو الذي سيسافر - لأن اللقاء مع هيغ يتطلب رجلاً عسكرياً ذا رتبة.

في شباط ١٩٨٢ خرجت من إسرائيل ثلاث بعثات مهمة لها علاقة قوية بالحرب في لبنان:

١ - زيارة شعي لواشنطن لإقناع هيغ أن إسرائيل لن تستطيع الصمود والصبر أكثر من ذلك أمام التحرشات الفلسطينية المتتالية.

٢ - زيارة قائد الأركان للكتائب ولقاؤه بشير الجميل. وهنا صرح بشير أنه لا يريد التدخل بشكل مباشر وبشكل واضح في العملية الإسرائيلية، ومانع إنزال قوات في ميناء جونيه واقترح أن تهاجم إسرائيل من الجنوب. أما بالنسبة لبيروت فقد حفظ لنفسه العناية بها من الناحية السياسية أما العسكرية فقد أيد أن تقوم بها إسرائيل.

٣ - سفر ارنس (رئيس لجنة الخارجية والأمن) إلى واشنطن ليتسلم مهام سفير إسرائيل هناك.

ونصح ارنس قبل خروجه أن يتركز البحث في واشنطن بالقضية الفلسطينية والحكم الذاتي، وحال وصوله صرح للصحافيين انه يجب إزالة الخطر الفلسطيني من الشمال، لذلك فإن الحرب في لبنان متوقعة!

في شباط اجتمعت الحكومة وسمعت تقريراً عن زيارة «ايتان» و«شعي» كل إلى جهته، وبعد المداولات والبحث وصلت الحكومة الإسرائيلية إلى أنه لا مفر من عملية للقضاء على الإرهاب، أراد الوزراء أن تكون هذه العملية أوسع من عملية الليطاني (١٩٧٨) دون الدخول إلى بيروت إلا أن شارون قال ان عملية واسعة كهذه تتطلب الوصول إلى منطقة

بيروت لأن ذلك سيساعد اللبنانيين على التخلص من الإرهاب في بلادهم. عندما ذكر شارون بيروت انتفض بورغ وارليخ ومانعا عملية موسعة كهذه، وقال برمان إنه ليس بالامكان القضاء على الارهاب بواسطة الحرب، وحتى الدخول إلى بيروت لا يقضي نهائياً عليه.

لم يتم التصويت بنهاية الجلسة، ولكن الملاحظات التي ابداها شارون وايتان رمزت إلى وجود شيء في الأفق ومن وراء الكواليس، ربما عملية عسكرية كبيرة، ولم يبد بيغن أية ملاحظة لما سمعه.

اقترب موعدالانسحاب من سيناء وحاول شارون أن يرمز إلى الحكومة بشأن الحرب وجعل مصر تقوم بخطوات تعرقل عملية السلام وبالتالي الانسحاب، ولكن ذلك لم ينجح بسبب الضغط الأميركي والتحذيرات التي وجهت إلى بيغن. وفي آذار ١٩٨٢ عاد ايتان من بيروت، وهذه المرة صح عزمه على استعمال العملية المكبرة وعدم الاكتفاء بجنوب لبنان. وكانت مفاجأته كبيرة حين شرح له مساعد بشير الخطة الكتائبية لتقدم القوات الإسرائيلية لأنها كانت مطابقة ومشابهة للعملية الإسرائيلية، وظن الجميع أن الاسرار الإسرائيلية تنقل إلى الكتائب بشكل أو بآخر ويجب منع ذلك. ولم تكن تلك المفاجأة الوحيدة، حينما نشرت المجلة السعودية مقالة لأبي جهاد (بتاريخ ١٣ آذار) شرح فيها تفاصيل الهجوم الإسرائيلي، من جهة البحر، وذكر أيضاً ان إسرائيل تبحث التقدم باتجاه بطاريات الصواريخ السورية. وقرر إيتان تعيين لجنة للتحقيق في تسرب اسرار القيادة العسكرية إلى أيد «غريبة» وصلت اللجنة إلى أن مصدر التسرب قيادة الكتائب.

قال بشير لإيتان بعد أن انضم إلى الجلسة ، ان جميع اللبنانيين يتوقعون قدوم إسرائيل، وبدأت الفئات المختلفة بإرسال مبعوثين لبحث التهيآت السياسية في المستقبل وأضاف بشير أن الدروز يشعرون بما سيحدث فأرسلوا برجالهم للمباحثة، الشيء الذي لم يحدث قبل ذلك، فاتجاههم نحو سورية والآن يطلبون مساعدتكم عن طريقنا.

بعد المشاورات والمباحثات حول إمكانيات الهجوم المختلفة وفي شهر مارس ١٩٨٢ انتهى التحضير لجميع الخطط العسكرية وكان جيش الدفاع الإسرائيلي ككل جيش متقدم له خطط خاصة في لبنان تخرج وقت الحاجة لتفصل وتحضر ،فبعد انسحاب إسرائيل في اعقاب عملية الليطاني عام ١٩٧٨ ومع زيادة التحرشات الفلسطينية بدأ قسم العمليات في قيادة الأركان بوضع الخطط العسكرية وهدد «فايتسمان» في وقته ان إسرائيل لن تكتفي فقط بالرد على النار إنما ستهاجم هذه المرة بشكل أكبر مما تتصوره المنظمات الفلسطينية، واعلن لواشنطن عن نيته في دعم خطة عسكرية على اليابسة حتى نهر الزهراني وليس بيروت لأنه لم يشأ أن يدخل الجيش الإسرائيلي إلى معارك معقدة في أماكن مبنية حتى أنه مانع الدخول إلى

صور.

مع تعقد الأمور وادخال الصواريخ السورية في ازمة بعثة (وزير الدفاع)، وبدأ قسم العمليات التخطيط إلى عملية في الجبهة الشرقية ضد السوريين، ولم يبحث أمر بيروت واقامة حكومة مسيحية إلا عند دخول شارون إلى وزارة الدفاع وتعيين دروري قائداً للمنطقة الشمالية، ومع مرور الاسابيع تفرعت الخطط العسكرية وأصبح طريق بيروت دمشق أحد أهداف إسرائيل الرئيسية، وبدأوا ببحث خطة للاتصال بالكتائب في الشمال، ومن جهة بشير فقد أراد أن تقوم إسرائيل بالتقدم إلى بلدة «حلبا» عاصمة اقليم عكار الموجودة في الشمال اللبناني. تابعت القيادة الإسرائيلية تحضيراتها، وكل يبدي رأيه حول الاصطدام بالجيش السوري، وعبر دروري عن ذلك بقوله «إن هذه الحرب هي أكثر الحروب الإسرائيلية تخطيطاً وتحضيراً».

في نيسان ١٩٨٢ سمع بيغن من رجال المخابرات الإسرائيلية تحذيراً بشأن تنصيب «بشير الجميل» رئيساً للبنان وانضم إليهم رئيس الموساد حوفي، أدى هذا الوضع إلى وقوع بيغن بين المطرقة والسندان، فمن جهة يحذره «حوفي» و «شعي» من مغبة العملية، ومن الجهة الأخرى «شارون وايتان» يضغطان لتنفيذها! أثرت تحذيرات شعي وحوفي على بيغن فطلب تقليص العملية وعدم التوسع إلا أن دروري اعطى رأيه وقال انه في هذه العملية أيضاً سنصطدم بالجيش السوري، وقال رفول لضباطه ليس المهم بأي خطة نبدأ لأنه في النهاية ستتطور العملية لعملية أكبر!

في بداية نيسان قرر بيغن ادخال قادة المعارضة (المعراخ) إلى سير العملية التي يخططها.

وفي ٦ نيسان دعاهم ليخبرهم عن ذلك، ولكنه قبل ذلك علم بارليف ورابين بأسرار العملية ولا نعرف المصدر الذي أخبرهم بذلك. وفي نفس الوقت أقر شارون في مكتبه أن الحرب تضم ضواحي بيروت وابدى الشك في عدم الاصطدام بالسوريين.

وفي الجلسة عارض بيرس، رابين وبارليف عسكريون سابقاً) مبدئياً الحرب واكتفوا باستلام التقرير عنها! والجدير ذكره أن هذا الطاقم من المعارضة لم يعمل يداً واحدة من أجل ايقاف بيغن وشارون بل عارض كل بطريقه واستنتج النتائج لوحده ولم ينسقوا فيما بينهم رأياً واحداً تتفق عليه المعارضة واعطوا للحزازات الشخصية أن تدخل حتى في تقرير مصيري كهذا.

في بداية نيسان تراكمت التحذيرات الإسرائيلية وظهرت دلائل تشير إلى قرب الحرب.وخرجت بعثة ضباط إسرائيلية إلى بيروت. وكانت النتيجة اختلاف في الرأي ولخص بشير.. إذا لا توجد عندكم نية لضرب السوريين Don't come ـ لا تأتوا! وهكذا أراد بشير أن

تكون العملية موجهة ضد الجيش السوري بينما كان هدف إسرائيل الرئيسي من العملية تدمير أرضية المنظمة الفلسطينية في لبنان. وبالرغم من الأثر السيء الذي تركته هذه المحادثات مع بشير على الضباط الإسرائيليين، لم تبد إسرائيل أي تغيير أو توضيحات أساسية للكتائب.

وعاد بشير وحذر: (وجود حكومة مسيحية قوية في لبنان لصالحكم، أو حكومة تعتمد على ائتلاف فستكون مجبرة على مراعاة العالم العربي). وكان هذا رمزاً إلى إسرائيل بأن تقوم أولاً بإخراج الغرباء من لبنان (السوريين).

بالرغم من عدم الاتفاق في الرأي فقد تابعت إسرائيل تحضيراتها، وعين «يانوش» قائداً للقوات التي ستعمل ضد الجيش السوري وبدأ بإقامة قيادة بجانب الجميل، أثر ذلك على الكثير من الضباط واعلن «ايلي غيبع» انتقاداته أمام شارون. ومن كان يتابع سير الأمور تنبأ بوقوع انقلاقل في قمة الأمن الإسرائيلي، وتابع «غيبع» الذي انتدب ليلقي كلمة يمثل بها زملاءه الضباط وقال إن الحرب هي ضد المنظمات ويجب الامتناع عن الاصطدام بالسوريين. وكان رد شارون: الحق معك، أنا اعتقد انه لا يوجد أي سبب للاصطدام بهم!.

في ٢١ نيسان خرقت إسرائيل وقف اطلاق النار وارسلت طائراتها تشن غارات على المقرات الفلسطينية، شمالي الزهراني، وكانت ذريعة الغارة مقتل ضابط إسرائيلي أثر صعوده على لغم في منطقة حداد. لم يرد الفلسطينيون على النار ولكنهم حركوا مدافعهم وانتقلوا إلى المنطقة السورية. أما سورية فقد بدأت بتحريك قواتها جنوباً قريباً من الحدود الإسرائيلية، طلب شارون عدم إذاعة التقدم السوري وبدلاً من ذلك توجه إلى واشنطن لتعمل على ارجاع القوات التي نزلت جنوباً، انتهى شهر نيسان بهذا الحدث.

ووضحت طريقة شارون، خصوصاً عندما اعطى الأمر لتدمير مدينة «يميت» كلياً حتى لا يستغلها المصريون دون أن يأخذ رأي الحكومة في ذلك. ولكن بيغن عرف خطته وصادق عليها، وسنرى في خلال الحرب شارون يقرر، بيغن يصادق، دون أن يكون رد فعل من قبل الحكومة، وحدث آخر كان قرار شارون المنفرد بتطويق هضبة الجولان الدرزية بسبب معارضة السكان هناك التزود بهويات إسرائيلية.

شهر آيار ١٩٨٢ - الحكومة الإسرائيلية وقيادة الأركان العامة يعملان كل على خط، الأولى كانت تناقش ابعاد المخربين عن الحدود الإسرائيلية والثانية كانت تخطط لحرب واسعة النطاق تنتهي بالاتصال مع الكتائب في الشمال. وبعكس بيغن ووزرائه آمن الضباط في قيادة الأركان أن ذلك سيؤدي بالحتم إلى الاصطدام بالسوريين ومن الجدير ذكره ان التقارير التي كانت تصل للحكومة كانت في أغلب الأحيان غير كاملة ولم تعط صورة كاملة لما يدور في الميدان، وأحياناً كانت قرارات قيادة الأركان ووزارة الأمن تسبق قرارات الحكومة في نفس الموضوع. لم يشأ شارون بأن تكون هناك صلة قوية بين الحكومة وقيادة الأركان وحذر

ضباطه من الإفصاح أمام الحكومة بآراء معارضة، وفضل أن يتم ذلك في قيادة الأركان فقط! حتى أن ايتان لم يمثل، أمام الحكومة مع ابتداء المعارك وترك ذلك لشارون وشريك آخر كان «شعي» الذي رغم ابداء معارضته واشتراكه في أغلب جلسات الحكومة اضطر إلى مشاركة شارون بسكوته.

لم يوضح شارون خلال حديثه في جلسات الحكومة مطالبه لأنه عرف أن أمله ضعيف في الحصول على مصادقة لجنة واسعة وتنصيب بشير رئيساً على لبنان، كذلك فقد استمر في غموضه في اجتماعات قيادة الأركان العامة لأن هذه الاجتماعات تسجل وتحفظ، وظهر من اسئلة الضباط ان هذا الغموض يخيفهم من شيء لا يريد شارون الإفصاح عنه... وكانت النتيجة أن الحرب وجهت حسب ما أراد شارون وشريكه ايتان ومثل البعض حكومة إسرائيل كروضة أطفال.

تقرر ابتداء الحرب في ١٧ آيار ولكنها تأجلت بسبب عدم موافقة ٧ وزراء بينهم نائبا رئيس الحكومة «ارليخ وليفي».

في ٩ آيار أغارت الطائرات الإسرائيلية على قيادة المنظمة بالقرب من صيدا والدامور وكانت الذريعة للغارة المتفجرات التي وضعت بالقرب من مدرسة في اسكلون والباص في اورشليم، وهذه المرة وليس كالغارة السابقة فقد ردت القوات الفلسطينية على النار بالمدافع ولكن ذلك كان محدوداً جداً وغير ناجع لأن الصواريخ اخطأت الهدف وظهر فيما بعد أن قيادة المنظمة أرادت بذلك أن تحذر إسرائيل لأنها في المرة القادمة ستقصف المستوطنات.

وفي ١١ آيار استعدت الطائرات لغارة أخرى دون أن تكون ذريعة لذلك، ولكن عيد «الميمون» وتواجد عشرات الآلاف من الناس في جبل ميرون القريبة من الحدود والموجودة، في مدى المدافع الفلسطينية أدى إلى عدم تنفيذ هذه الغارة، ولولا ابطالها فكان من الممكن أن تنشب الحرب في ١٧ آيار. في إحدى جلسات الحكومة التي عقدت قبل الحرب دار النقاش حول مدة العملية فأجاب شارون ٢٤ ساعة، ونسي الجميع أن شارون تكلم في ٤ آيار على مكوث القوات الإسرائيلية لمدة ٣-٦ أشهر. وفي خلال الجلسة حذر تسيبوري من الاستمرار في الغارت الجوية لأن ذلك سيجر إسرائيل إلى حرب شاملة لا يعرف أحد ثمنها ونتائجها، وطالب بتقييم الوضع من قبل وزير الخارجية رئيس شعبة الاستخبارات والموساد! لكن بيغن لم يأخذ. ملاحظات تسيبوري بعين الاعتبار واعتبرها شخصية. جاء دور مساعد شعي، تابع تحذيراته دون جدوى.

١٦ آيار لقاء آخر مع رجال المعارضة قبل العملية المقررة بيوم واحد، اخبرهم بيغن بالغاء العملية، ولاحظ زعماء المعارضة أن بيغن لا يتكلم على عملية واسعة فخفت معارضتهم وسأل رابين شارون إذا كانت العملية تشمل صيدا؟ فخرج شارون وفحص الخارطة وعندما

دخل أجاب بنعم وهكذا خرج الجميع من اللقاء يتوقعون عملية مصغرة دون أن تكون معارضة للحكومة في تنفيذها!.

استمر « شعي » في سكوته خلال جلسات الحكومة ولكنه تابع تحذيراته خلال جلسات قيادة الأركان العامة وكانت توقعاته المبنية على معلومات دقيقة بالتالي هي الصحيحة واعتبرها البعض تنبؤات، فقد قال بالنسبة للعملية انه من الصعب الخروج إليها دون ضرب الصواريخ السورية، وإذا تقدمنا إلى ال ٤٠ كم فلن يقف الجيش السوري مكتوف الأيدي أمامنا، وهكذا كان واضحاً أن سورية ستحارب ولن تهرب ولكنها لن توسع الجبهة إلى هضبة الجولان. أما المسيحيون وبشير فسيفرخون فرحاً شديداً لدخول جيش الدفاع إلى لبنان وسيسرعون إلى شجب العملية ليظهروا مظهر الطاهرين أمام الرأي العام. وتوقع « شعي » الانتصار في ساحة المعركة ولكن ذلك لن يكون القضاء المبرم على المنظمة الفلسطينية ومهما قتل من رجالها فسيكون بمقدورها أن تنظم صفوفها في سورية أو طرابلس ثم العودة إلى لبنان.

من أعمال الذبح التي سيقوم بها رجال الكتائب والتي ستوجه إلى إسرائيل من جراء ذلك، وحين سأل عن رد فعل الدول الكبرى أجاب بأن أميركا معنية بالحفاظ على الهدوء، وهي على استعداد بأن تعترف بحق إسرائيل القيام بهذه العملية إذا وجدت ذريعة كافية لذلك. وستحاول واشنطن منع جيش الدفاع من دخول بيروت. أما روسيا فهي أيضاً معنية بالحفاظ على الهدوء في المنطقة، وطلبت من عرفات أن يتحلى بالصبر ومن دمشق أن لا تخاطر، وفي حالة تعقد الأمور فسيأتي الروس إلى دمشق مما سيؤدي بالتالي إلى اتهام إسرائيل بخلق مشكلة بين الدول الكبرى وسيُطلب منها أن توقف تقدمها وتنسحب من لبنان.

طالب « شعي » أن تقيم العملية من النهاية، وتأسف بسبب عدم وجود وفاق وطني وتنبأ بخسارات فادحة، وقال: « هكذا لا يذهبون الى الحرب »!!.

بعد عودة شارون من واشنطن ولقائه مع هيغ (عندما شرح لهيغ سير العملية لم يشمل حديثه الاصطدام بالجيش السوري) عاد إلى البلاد وقال لبيغن ان الأميركان سمعوا ما يجب سماعه ووجد آذاناً صاغية عند هيغ الذي اعترف بحق إسرائيل في العملية إذا تابعت المنظمة استفزازها، وهكذا بدأت حلقة الحرب بالاغلاق!

حزيران ١٩٨٢ ـ مع اقتراب موعد العملية زاد قلق مقربي رئيس الحكومة بأن يكون بيغن قد توقع العملية بمفاهيم تختلف عن مفاهيم شارون. بعد الحرب فقط تبين أن بيغن فعلاً توقع حرباً أخرى عن تلك التي خططها وزير دفاعه وقائد الأركان! وسيبقى السؤال: هل ضلل شارون بيغن؟ أم وافقه « وهو على علم بكل ما يدور »؟

رأى ايتان ان الحرب تهدف إلى القضاء على المنظمة ولكنه وبعكس رئيس الحكومة عارض عملية مصغرة وأراد أن تصل القوات الإسرائيلية إلى الشمال وتتصل بقوات بشير الذي آمن به وان تقوم بضرب القيادات ومن ثم يقوم بشير وقواته بتطهير آثارهم من لبنان. سورية كانت بالنسبة له في الأفضلية الثانية لأن اصطداماً مبكراً معها سيؤدي إلى ضغط أميركي ـ روسي مكثف لوقف الحرب.

أما شارون فكان عليه أن يفكر في مفاهيم أوسع « فخطته الكبرى » توقعت مسبقاً ان الاصطدام بالسوريين لا هروب منه ولا توجد امكانية لتقليص العملية، ومن ماضيه العسكري توجب عليه ان يعلم أن عملية عكوف الجيش السوري في البقاع ستؤدي إلى الاصطدام بهم، ولكن أراد أن يبعد الحرب عن هضبة الجولان وداخل حدود سورية حتى يضللهم ويمنع تدخل مبكر من جهة الدول الكبرى، ولذلك كان عليه أن يأمر الجيش أن يبدأ بمسلكين: الأول ضد المنظمة والثاني (بتأخير) ضد السوريين، ولهذا السبب كان على استعداد ان يخسر عامل المفاجأة ضد السوريين. ونجح شارون في منع توسع الحرب إلى الهضبة وإبقائها في أرض لبنان ولكنه لم يحصل على أغلب أهدافه، وكان الثمن الذي دفعته إسرائيل أغلى بكثير من كل تقدير!!

الفصل السادس

إلى الفخ بعيون مفتوحة

علم عرفات عن الخطة الإسرائيلية لمهاجمته، وذلك على أثر التحذيرات التي كانت تصله يومياً، فقد رمز الأميركان إليه بشكل غير مباشر بأن يحترس ولا يقع في الفخ، وحذرته المخابرات المصرية على التحضيرات الإسرائيلية، ومن داخل الجيش الكتائبي حصل على معلومات هامة إما بقصد أو عدم حذر من قبلهم. وهكذا علم عرفات أهداف شارون والحرب التي يخطط لها ولكنه لم يستطع معرفة الزمن المحدد وبقي هذا لغزه الوحيد.

أدى التواجد الإسرائيلي على الحدود الشمالية إلى الارتباك في صفوف المنظمة، وعاش عرفات بظل التهديد الإسرائيلي واستنجد بالزعماء العرب مرتين، ولكن الهجوم لم يأت، فخفف من الاستنجاد والتأهب، وفي اليوم الذي كان عليه أن يضرب جرس الأنذار لم ينبس ببنت شفة واستطاع أن يضلل نفسه بالرغم من المعلومات الدقيقة على طاولته.

في آب ١٩٨١ بعد اتفاقية الهدنة طلب عرفات في اجتماع «الهيئة العليا» الاستعداد لحرب أخرى وحذر من تمكين شارون الحصول على أي انتصار حتى لو كان لا يذكر.

لم يرض عرفات من انجرافه إلى مواجهة الطائرات والمدافع الإسرائيلية، وانتظر ٣ أيام حتى أعطى أوامره بالإنضمام إلى القصف الذي تقوم به المنظمات اليسارية والمتطرفة. وفي ٢٤ تموز بقي عنده مدفعان صالحان فقط وبدأ عرفات يخشى الضغط الإسرائيلي وقرر أن لا يرد على الغارات الإسرائيلية ويبدأ بالاستعداد للجولة القادمة. المهمة الأولى كانت تعبئة مخازن السلاح الفارغة. اعتمدت المنظمة على قوة مدافعها حتى توضح لحكومة إسرائيل أن كل إندلاع سيؤدي إلى الخسائر الفادحة في صفوف سكان المستوطنات الشمالية، ولذلك اجتهد في شراء المدافع المتحركة التي تستطيع الانتقال بسرعة بعد القصف. قسمت المدن والمستوطنات بين الفرق المختلفة في المنظمة لقصفها وقت الحاجة على أثر إسماع شعارات سرية تغير مرة في الاسبوع. وكانت الأوامر توجيه القصف إلى النقاط الضعيفة وهي الأماكن الآهلة بالسكان، مراكز القادمين الجدد، شبكة الكهرباء والمياه من أجل شل الحياة اليومية وتخويف السكان.

كشف عرفات أمام القيادة الفلسطينية أن روسيا ترفض إرسال الأسلحة ولذلك أرسل أبو المعتصم إلى عواصم الدول الشرقية لمحاولة الحصول على كميات من الأسلحة، فأشار قدومي التوجه إلى الصين الشعبية ولكن عرفات نصح بالانتظار وكانت روسيا قد وبخت

عرفات لمقابلته كرايسكي ومحاولته التقرب إلى واشنطن وطلبت منه أن يقوي علاقته باليسار اللبناني والجيش السوري. استطاع أبو المعتصم الحصول على وعود للمساعدة وخرج أبو جهاد للاتفاق معهم (المانيا الشرقية، بلغاريا، تشيكوسلوفاكيا، كوريا الشمالية، هنغاريا). وشملت المشتريات مدافع وسفناً حربية ودبابات T ٣٤. القديمة التي اشتركت في وقت لاحق في تمرين للقوات الفلسطينية (سرية الكرامة) بما فيه احتلال مستوطنة إسرائيلية سميت، قرية بيغن. تابعت إسرائيل هذا التمرين عن كثب وتفاجأت من قدرة هذه الدبابات القديمة ولاحظت ان قدرة السرية على العمل ضعيفة وليست بمقدورها أن تشكل خطراً. بعد هذا التمرين تشجع قواد المنظمة وعملوا على بناء «قوة ١٤ كنوا» بسرب طائرات الهيليكوبتر يتم تدريبه في الجزائر والباكستان وسافر أحد رجال المنظمة إلى البرازيل للبحث عن مدافع مداها فوق ٤٠ كم. تم تركيب مدافع ذات أربع قصبات على «تنادر» وفي أقل من سنة زادت قوة المدفعية من ٨٠ مدفعاً إلى ٢٠٠ قسمت إلى ٤ كتائب. وبدأت المنظمة بذلك بتطوير جيش منظم مبتدىء يعتمد على قوة الآليات على حساب الجندي المقاتل. في إسرائيل اعتقدوا أن هذا الوضع أسهل بكثير من الوضع السابق وتابع إيتان غاراته قبل اتفاقية الهدنة مما أدى إلى خلل واضح في عملية التنظيم في صفوف المنظمة.

أبو الوليد قائد أركان المنظمة اعتبر هروب أهل كريات شمونة عام ١٩٨١ انتصاراً وليس المعارك نفسها لأنه لاحظ الكثير من نقاط الضعف في صفوف المدافعين وكان يعلم أنه لو هاجمت إسرائيل فإن قواته ستنهار بسهولة وعندما كان يتكلم أمام قيادة المنظمة، فضل الانسحاب وقت الحرب كي لا تباد قوات المنظمة وعرف ان الحرب قريبة بسبب رغبة إسرائيل اجبار سورية الانضمام إلى محادثات السلام.

«ممدوح نوفل» المسؤول العسكري لقوات «الجبهة الديمقراطية» قدم تقريراً لعرفات طلب منه أن تُنسى الخلافات السياسية والمبدئية بين فروع المنظمة وابتداء العمل على شبكة اتصال واحدة وحسب الحاجيات وليس الخلافات السياسية، كذلك أراد أن تدار المنطقة بيد واحدة تكون مسؤولة على جميع القيادات المختلفة في المنطقة وأضاف «نوفل» أن المخيمات ستكون في حالة الحرب قوة مدافعة، ولذلك نصح بتدريبهم على المدافع والسبل الدفاعية كي يتاح للمحاربين الدائمين التمركز في الخطوط الأمامية. وافق عرفات على تقرير نوفل وبدأت المنظمة بشراء أجهزة لاسلكية، وحفر مخازن للطوارىء وطلب التجنيد الاجباري من سن ١٦-٣٩ سنة. وفي ٢٧ آيار أمر تجنيد أولاد في سن الـ ١٢ ووعدوا بمعاشات (٤٠٠ ليرة لبنانية) شهرياً.

فشلت عملية التجنيد الاجباري وصرح عرفات ان قواته تضم ٣٠٠٠ مقاتل فقط

وبدأ البحث عن امكانية التجنيد في سورية ولكنها رفضت ذلك.

قررت الهيئة العليا للمنظمة توحيد القيادات وان تقف على رأسها منظمة «فتح».

استمرت السيطرة الفلسطينية على الجنوب اللبناني وخصوصاً بعد مهاجرة أعداد كبيرة من الشيعة إلى الشمال. فارتفعت الاسعار وخصوصاً أسعار أراضي البناء بالرغم من الدعاية المسيحية في المنطقة، واستغل ميناء صيدا لإستقبال أرساليات الأسلحة. وأقيمت محاكم انقلابية حكمت بالموت على كل من يقوم بمساعدة إسرائيل (أصدرعزمي الصغير قائد صور الحكم على لاعب كرة قدم بالإعدام لرفضه الاشتراك في منتخب فلسطين) أما «معين» قائد النبطية فقد جبى الضرائب على كل سيارة شحن تصل السوق.

حرص عرفات على أن تقوم الخلايا الفلسطينية بالتسلل لإسرائيل عن طريق الأردن، سورية ومصر، وكان البريغادير «سمير يوسف» الذي اشترك في محادثات الحكم الذاتي ينقل لعرفات جميع ما يدور خلال الجلسات حتى تم كشفه على يد السلطات المصرية فتم القاء القبض عليه والقاءه في السجن.

شعرت القيادة الفلسطينية بأن إسرائيل ستهاجم في ٦ شباط وصرح أبو جهاد أن اتفاقية الهدنة تقيد شارون ولذلك سيتابع تحرشاته، وعلم صلاح خلف أسرار العملية الإسرائيلية المتوقعة ونقل ذلك إلى عرفات. أرسل عرفات برقيات إلى رؤساء الدول العربية يبلغهم أن إسرائيل تخطط لعملية عسكرية واسعة تصل إلى بيروت (تسلم تقريراً بذلك من السفير الفرنسي مارك بول هنري).

فشلت محاولات المصالحة بين المنظمة وبشير الجميل بعد محاولات عديدة بسبب عدم موافقة المنظمة التخلي عن الدامور. رأى عرفات بالموارنة عدواً لدوداً وحذره وليد الخالدي أحد مستشاريه من مغبة فغر هوة كبيرة في هذه الخلافات واعتبر ذلك غلطة تاريخية ستكلف المنظمة غالياً ومن تصرفات عرفات تبين أن الحل الوحيد لمشكلة لبنان هي حل القضية الفلسطينية.. بالرغم من تصريحات عرفات استعداده للاعتراف بإسرائيل بشرط أن تقوم دولة فلسطينية في الضفة الغربية لم يعترف بقرار مجلس الأمن ٢٤٢. ومن جهة أخرى أراد من خلال اتفاقية الهدنة أن يقوي مركزه في واشنطن، ولكنه تابع معارضته لاتفاقية كامب دافيد. وعندما قيل للمنظمة ان الحل السياسي سيمنع عملية عسكرية إسرائيلية وبالتالي هزيمة قواتها أجاب أحد ضباطها، اننا بانتظار شارون وأهلاً وسهلاً به - سيرى من نحن!

تبع عرفات خط بشير الجميل عندما أراد أن تدخل سورية المواجهة وبذلك يخفف الضغط على جنوده مما سيؤدي إلى تدخل الدول العظمى ومحاولة ايقاف الحرب قبل أن ترجح

نهائياً. وهكذا وبالرغم من تضارب المصالح بين المنظمة والكتائب إلتقيا في المشكلة المركزية للعملية - هل ستكون هذه عملية واسعة أم محدودة؟!

اكتشفت الاستخبارات السورية الخطة الفلسطينية فحذرت عرفات من محاولة جر القوات السورية إلى الحرب دون تنسيق مسبق، وطلبت مقابل تدخلها طاعة عرفات التامة وفي وقت لاحق أتهمت سورية المنظمة بإفشاء اسرار عسكرية للعدو. اتهم ممثل عرفات في القاهرة «أحمد صدقي» سورية وإسرائيل انهما تشتركان بمؤامرة مشتركة للقضاء على المنظمة فوعده مبارك بأنه سيحاول دائماً مطالبة إسرائيل بالاعتدال.

بعد مرور شهرين وضعت أمام قيادة المنظمة في بيروت الغربية سيارة مليئة بالمتفجرات والغاز (الطريق الجديدة). وبعد إلقاء القبض على الجانين لم تستطع المنظمة معرفة محرضيهم ولكن أبا إياد عرف أنها عملية إسرائيلية كتائبية. حاول قدومي وأبو أياد اقناع عرفات أن يتنازل في الجنوب اللبناني بدلاً من الشمال ويشترك في محاولات حبيب ودريبرحتى يتم توسيع رقعة القوات الدولية وزيادة الجيش اللبناني هناك وكل ذلك من أجل منع هجوم في المستقبل. حتى أن القدومي اقترح الانسحاب من «البوفور» مقابل تقوية اتفاقية الهدنة كي لا يكون لشارون ذريعة في الهجوم ولكن عرفات رفض ذلك وبدلاً من إخلاء البوفور سمح عرفات لضباط سوريين القيام بالمراقبة على القوات الإسرائيلية.

في شهر آذار بعد أن عاد «شعي» إلى البلاد ارسلت واشنطن شريطاً مسجلاً لعرفات لتهدئة الأمور وان الخطر زال. ولكن نهاية نيسان وبداية آيار اشتعلت المناوشات ثانية ولكنها كانت محدودة. ففي ١ آيار أعطى عرفات أمراً بإطلاق النار وليس لإصابة الهدف إنما للتحذير، وأراد بذلك أن يزيل التوتر في المنطقة.

اتفق عرفات مع قادة الفئات الأخرى أنه على كل غارة جوية يجب الامتناع عن الرد وعلى ضرب مدفعي الرد من المنطقة المضروبة فقط ولخص أبو جهاد الوضع بقوله ان الأمل في الهجوم الإسرائيلي الآن أصبح متوقعاً في كل لحظة! أما أبو مازن فقد اقترح قصف نهارية لأن سكانها من «الاشكناز» وليسوا كسكان كريات شمونة الشرقيين والذين لم يتركوا المدينة على أثر القصف المركز عليها. وافق عرفات رأي أبو مازن واعترف له أن الوضع في بيروت الغربية بدأ يتضعضع وهو يخشى إذا هوجمت بيروت من تدخل الشيعة والدروز ومقاومته. وكان تخوفه هذا قد نبع على أثر الأحداث الأخيرة مع اليسار اللبناني. فقد اصطدم رجاله بمنظمة أمل في بيروت الغربية، وبمنظمة مصطفى سعد في صيدا ،كذلك فقد استمرت المقاومة الشيعية في الجنوب وتوقع عرفات أن الدروز أيضاً سيخونونه وكان السبب حسب رأيه

السيطرة الكاملة للمنظمة في أغلبية المناطق، بعد ذلك ابدى خيبة أمله من العهود الليبية.

توقع عرفات ان إسرائيل ستهاجم حتى الزهراني ولكنه عرف أن قياداته في بيروت ستهاجم ولذلك فقد أصدر أمراً بإخلاء الذخائر من الاستاد الرياضي والدبابات من الجنوب، وقال أيضاً إن الكتائب سيشاركون في الضربة وستضم الحرب القوات السورية في البقاع. وفي آيار تم الاتفاق بين سورية والمنظمة على وثيقة يتم حسبها تنسيق الخطوات الدفاعية. الغيت جميع الإجازات وبدأ العمل على تجنيد المزيد من المقاتلين وعززت القوات الجنوبية بمدافع ١٦٠ ملم واستعدت القوات لمنع التقدم الإسرائيلي. لم يوافق أكثرية الضباط في المنطقة رأي عرفات بأن إسرائيل ستكتفي في تقدمها حتى الزهراني وقالوا ان بيروت هي الهدف الرئيسي لأنه بدون بيروت لا يمكنها المساومة من منطلق القوة وسيكون ذلك بالنسبة لهم خسارة. وبدأ الشك يساور أبو موسى لأن ياسر عرفات لا يعمل ما فيه الكفاية من أجل التنسيق مع سورية حتى يتحرر من نير سورية، وازداد هذا الشك حتى تطور في النهاية إلى حرب دامية بين الفئات المختلفة.

ومما زاد في اطمئنان عرفات وسورية كانت برقية «مرسيل غيومان» المستشار في السفارة الفرنسية الذي أكد لعرفات أن إسرائيل ستهاجم بالطائرات فقط لكي تمنع خسارة في الأرواح مما سيؤدي إلى سقوط الحكومة. مع ذلك فقد حذر المستشار الفرنسي انه من الممكن ان تكون هذه لعبة إسرائيلية للتضليل. وهذا نص المنشور السوري لوحداته:

الجمهورية العربية السورية   سري / للغاية

القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة

الرقم ١٨١٩

التاريخ ١٤٠٢/٦/١٢ هـ. (١٩٨٢/٤/٤)

إلى القطاعات   الفرع ٩٦ :   وردنا المعلومات التالية:

بتاريخ ١٩٨٢/٣/٢٦ قام مرسيل غيومان المستشار الأول في السفارة الفرنسية في بيروت بزيارة وزارة الخارجية حيث اجتمع إلى كسروان لبكي الأمين العام للوزارة، وقد طرح السيد غيومان للسيد لبكي المعلومات التالية:

١ ـ إن لدى الحكومة الفرنسية تأكيداً بأن إسرائيل ستشن هجوماً واسعاً على المراكز والقواعد العسكرية الفلسطينية في الجنوب وبيروت والضواحي وسيكون هذا الهجوم بالطيران.

٢ ـ إن إسرائيل بعد مناقشات في وزارة الدفاع وبقرار من مناحيم بيغن أن العمليات

الحربية البرية ستكلف إسرائيل غالياً والوضع الخاص الذي تمر به حكومة بيغن لا تسمح بتحمل خسائر بشرية لأن هذا سيؤدي إلى سقوطها، إلا أن هذا لا يسقط احتمال العملية البرية، ربما كانت إسرائيل تخدع فرنسا في استبعاد العملية البرية.

ـ (بدا من الكلام الذي قاله المستشار السياسي في السفارة ان الحكومة الإسرائيلية حصلت على موافقة فرنسا للقيام بالعملية العسكرية الجوية).

للاطلاع وأخذ العلم!   قائد القوات العربية السورية في لبنان

تابعت المنظمة استعداداتها واسرعت بشراء مدافع مضادة للطائرات ذات ٤ قصبات S.S.O 23 بكميات كبيرة. وفرقت مخازن السلاح إلى مخازن أصغر وزرعت الألغام (لم تعلم الشرطة)، وتمركزت القوات في مشارف القرى، وعززت القوات الموجودة في البوفور والطرقات المؤدية إلى النبطية. وفي ٢٨ نيسان لخص عرفات ان المنظمة تدفع ثمن ما يجري على الساحة اللبنانية، واننا نخرج لحرب ضد أميركا قبل أن نصطدم بإسرائيل.

وناقشت المنظمة في اللقاء (٢٨ نيسان) طريقة الدفاع وقررتها حسب الفرضية ان جيش الدفاع سيضرب السوريين ولن يتقدم نحو بيروت، توقع عرفات ضربة قوية ولم يعلم ان شارون يرمي القضاء على المنظمة قضاء مبرماً. وبعد الانتهاء من المناقشات أصدر الكولونيل «فخري شقور» أمر بعملية رقم١ ومن اهم ما ورد فيه:

يجب الاستعداد للهجوم الإسرائيلي حتى بضواحي بيروت والذي سيضم هجمات جوية، بحرية ومن اليابسة وبالأخص من الدامور والأخذ بعين الاعتبار هبوط قوات إسرائيلية خلف المواقع الفلسطينية ولذلك فقد أصدر أوامره إلى السرية المدرعة ٤٢٠ بالتمركز في القطاع ما بين الأولي وبيروت لمنع ذلك.

أما عرفات فقد ألغى أوامره بالنسبة لفرق «الرملة الخضراء» الليبية بقيادة الكابتن حمدوني وصرح له بأن ينظم المدافع المضادة للطائرات التابعة للمنظمة، وفي زيارة له للبوفور طلب من المقاتلين الصمود لمدة ٣٦ ساعة فأجابه ضابط الموقع بأن ذلك مستحيل لأنهم سيقطعون خط الرجعة ويهاجموننا.

لخص ممدوح نوفل الوضع وقال ان السلاح الحديث والتنظيم الجديد للمنظمة سيحددان زمن المعركة بالرغم من الاستعدادات الإسرائيلية الكبيرة للعملية، ولكنه لم يستطع أن يوهم نفسه على قدرة قواته منع التقدم الإسرائيلي، ونصح عرفات بتنظيم خلايا تتكون من جنود منتخبين تهاجم القوات الإسرائيلية من الخلف.

في ٥ آيار دعا الحاج اسماعيل إلى جلسة طارئة في مقره في مدينة صيدا واعلن لقواده

أن أميركا اعطت الضوء الأخضر لإسرائيل لبـدء العملية. وأخبرهم ان عرفات طلب منه نقل مدافع ١٣٠ ملم جنوباً والرد على الغارات الجوية فقط إذا صادقت على ذلك الهيئة العسكرية العليا، وفي نفس الساعة طلب من الضباط في كتيبة «الاسطل» تغيير مفاتيح المخابرة وإقامة قيادة حربية مشتركة يتم الاتصال بها خلال المعارك ليتم التنسيق وفهم الوضع.

استمرت الاستعدادات في بيروت ـ الكتائب تحصن مواقعها، المنظمة تزرع الألغام حول المدينة، والجيش السوري أعطى أوامره لقواته بالاستعداد لمهاجة الكتائب.

كان التحذير الأخير من قبل سميح أبو كويك بالنسبة للهجوم الإسرائيلي الكتائبي المشترك وقال أن أميركا ستمد يد العون لإبعاد المنظمة عن لبنان وتنبأ ان الملك حسن سيوافق بعد الحرب على استقبال المقاتلين الفلسطينيين. شك «أبو كويك» منذ مدة طويلة بأن عرفات قد استسلم لواقع الانتصار الإسرائيلي ووضح له ذلك عندما تكلم في اجتماع اللجنة المركزية (في ١ حزيران) وقال بحزن ان الهجوم الإسرائيلي سيغير الخارطة العربية كلياً وسينتج منها قوى جديدة وسيكون علينا الاختيار مع من يجب أن نقف، وهنا تدخل صديق أبو كويك ـ مع سورية، ورد عليه عرفات وقال: «انت رجل سورية وليس من اليوم» فأجابه أبو صالح: «وانت رجل أميركا»، وهكذا انتهت الجلسة بمشادات كلامية واتهامات متبادلة.

من كل ذلك نرى أن المنظمة كشفت العملية الإسرائيلية وبدأت بالاستعدادات اللازمة لمقابلة الجيش الإسرائيلي، والشيء الذي لم تستطع اكتشافه أبداً هو الزمن الذي قررته إسرائيل لبدء العملية!.

تابع عرفات برنامجه اليومي كالعادة والتقى مع السفير السوفياتي سولداتوف الذي أخبره أن الاتفاقية بين سورية وروسيا لا تشمل تدخلاً في المعارك التي تدور في لبنان.

استنكر عرفات محاولة اغتيال «أرغوف»، ونفى مسؤولية المنظمة على هذه المحاولة، غادر عرفات في ٤ حزيران متوجهاً إلى الرياض للمشاركة في لجنة السلام التي تحاول ايجاد حل للمعركة الإيرانية العراقية.

قررت الهيئة العليا للمنظمة اعطاء الأوامر ببدء القصف على المستوطنات الإسرائيلية بعد أن هاجمت الطائرات منطقة الاستاد الرياضي، واتصل عرفات بمكتب المنظمة في نيويورك وطلب انعقاد مجلس الأمن وقال سنعلم إسرائيل هذه المرة درساً لن تنساه أبداً.

يوم السبت ٥ حزيران حاولت المنظمة منع انهيار اتفاقية الهدنة إلا أن إسرائيل تابعت قصفها البحري والجوي.

في صباح يوم الأحد ٦ حزيران إتصل ياسر عرفات بقواته من السعودية وطلب وقف القصف ابتداء من الساعة السادسة وأعلم واشنطن بذلك... وعندما هدأت المدافع الفلسطينية قرر ياسر عرفات البقاء في السعودية ولكنه اضطر إلى العودة في نفس اليوم بعد أن بدأت الدبابات الإسرائيلية بالتقدم شمالاً عبر قياداته.

وصل إلى قيادة «أبو اياد» بعض الضباط الذين يريدون العودة إلى قواعدهم في صيدا ولكن أبا اياد قال لهم ـ لماذا الإسراع إلى هناك؟! فاليهود سيأتون إلى هنا أيضاً!

الفصل السابع

بعد غد سينتهي كل شيء!

بسبب مصادقة الحكومة على عملية مداها ٤٠ كلم كان ينقص «امر العملية» الأغراض والأهداف النهائية. ولذلك فقد تنازل المخططون عن محاولة إنزال قوات خلف موقع المخربين لأن ذلك سيكشف الأهداف التي لم تصادق عليها الحكومة وبدأوا بعملية المهاجمة البطيئة من الجنوب إلى الشمال، كذلك فقد امتنع شارون من انزال قوات على طريق بيروت دمشق حتى يوهم سورية أن الحرب غير موجهة ضدها وعدم اعطاء الفرص للدول الكبرى التدخل لوقف القتال.

لم يتصور دروري ان العملية ستبدأ على أثر تهيؤ مستمر على الحدود إنما ستكون كعملية تتدحرج من مرحلة إلى اخرى، ففي ٤ حزيران بدأت الوحدات بارسال جنودها إلى الإجازة الإسبوعية حين كانت الحكومة تقرر قصف بيروت واصدر إيتان أمراً بالتهيؤ! اعتادت القوات على التهيؤ واعتقدوا أن هذه المرة كالعادة، ولكن قيادة الأركان بدأت تتأكد أن ٦ حزيران هو اليوم الذي سيبدأ فيه تنفيذ العملية.

كان التغيير الرئيسي في الخطة هو دخول القوات يوم الأحد الساعة الثانية عشرة ظهراً مما أدى بالتالي إلى تغييرات سلبية ومعيقة خلال تنفيذ العملية. ووجه آخر للتغيير هو الأمر الذي صدر للقوات الإسرائيلية بالمهاجة عبر قوات «يوتينيل» وذلك لتفادي جسر «الخردلة» الذي زرع بالألغام والتقدم عبر جسر «القعقعية» الذي تجاهلته القوات الفلسطينية خلال الاستعدادت. تقرر أت تقوم القوات التي ستنزل في لبنان عن طريق البحر بالصعود إلى السفن مساء السبت والإبحار دون ان تصل مصادقة الحكومة، ولكن الضباط لم يعرفوا اين سيتم انزال القوات. وقدّر «عاموس يرون» ضابط هذه القوات أن الحكومة ستوافق على الأنزال في منطقة الأولي ومن ثم التقدم نحو الدامور. وفعلاً فقد اعطيت الموافقة للإنزال بين الدامور وصيدا والانتظار حتى تصل آلياتهم مع القوات المدرعة القادمة من الجنوب.

القرار العسكري المهم الذي تم اصداره في اليوم الأول للحرب كان اعطاء أمر لإحدى الوحدات بالتقدم على المحور المركزي مقابل جبال الشوف وجهته ظهر البيدر

للسيطرة على الطريق الرئيسي بيروت دمشق ـ وكان تفسير هذا القرار ـ حرب ضد سورية! مما أدى إلى وقوف سورية أمام أمرين الحرب أو التراجع. ولكن دمشق كانت قد قررت القتال إذا تقدمت قوات إسرائيلية عبر المحور المركزي. آمن بيغن أن سورية لن تحارب وشبه الخطة ـ بخطة هانيبال. وكان هذا القرار مخالفاً لنية الحكومة التي أظهرت جهداً أساسياً في المواضيع العسكرية. أوصى شارون خلال جلسة الحكومة أن توافق الحكومة على تهديد القوات السورية بقطع خط الرجعة عليها وعدم مهاجمتها من المقدمة.. فوافقت الحكومة على نية شارون دون أن تعلم أن هذه العملية ستؤدي حتمياً للإصطدام بالجيش السوري. سأل أحد الوزراء إذا كانت هذه العملية ستمتد أكثر من ٤٠ كم؟ فأجاب شارون: «نعم أكثر»!

وبعد مرور ٨ أيام من المعارك لخص شارون وقال ـ انه كان يشك من البداية في أن الجيش السوري سيقف مكتوف الأيدي! وبذلك يعترف شارون أن خطواته وجهت من الساعة الأولى للحرب لمواجهة الجيش السوري.

وفي الساعة الحادية عشرة وصلت زعامة المعارضة إلى مكتب بيغن في القدس لإبلاغهم قرار الحكومة تنفيذ العملية، ولكنه لم يذكر لهم أن القوات بدأت في التقدم عبر الحدود. حذر بارليب من الاصطدام بالجيش السوري وطلب ان تحافظ الحكومة على الـ ٤٠ كم التي قررتها فأجاب شارون أنه أعطى أوامره بعدم الاقتراب من القوات السورية (٤ كم).

لم يبلغ شارون بيغن حول امكانية مهاجمة الصواريخ لأن ذلك كان مثيراً، وكانوا يتوجهون إليه في اللحظة الأخيرة ويقنعونه أن الوضع العسكري سيء ويطلبون موافقة دعمه للخطوة العسكرية.

احضر لوس رسالة من ريغن في صباح يوم العملية يطلب فيها من بيغن التمهل، وطلب لوس ان توافق على وقف النار لأن P.L.O وافقت على ذلك...وطلب بيغن من لويس عدم مقارنة إسرائيل بالمنظمة الإرهابية فاعتذر لويس.

اعتقد بيغن أن أمامه حرباً قصيرة وتدل على ذلك محادثته في التلفون مع زوجته حين قال لها: «بعد غدٍ سينتهي كل شيء وسنلتقي».

قدر شارون انه وبالرغم من قرار الحكومة كان بمقدوره مهاجمة السوريين «المصادقة موجودة» ولكن شارون فضل التأجيل لمصلحة الخطة العسكرية في المحور المركزي لظهر البيدر وعاليه.

في يوم الجمعة فقط أخبر مناحيم عينان قائد القوة التي تقرر أن تقوم بالمهمة في المحور المركزي بالخطة وأمروه بالتوجه إلى الشمال بعد أن نزل مع قواته للتدريبات قبل بداية العملية

بإسبوع، وكانت مهمته التحرك شمالاً نحو طريق بيروت دمشق. تأخرت قوات «عينان» وأعطيت الأوامر بعدم التقدم عبر جسر الخردلة إنما التوجه نحو جسر «القعقعية» وهكذا بدأت هذه القوات تتحرك خلف القوات التي توجهت لإحتلال النبطية لكي تتقدم نحو المحور المركزي شمال شرق النبطية وبذلك خسرت «ليلة مصيرية» وتأخير ١٢ ساعة أعطت الفرصة للقوات السورية بالتمركز والاستيلاء على مناطق استراتيجية هامة، اعطيت الأوامر للقوات السورية الموجودة بجانب حاصبيا (بقيادة محمد حسين صقر) عدم إطلاق النار على القوات الإسرائيلية إلا إذا اطلقت هذه القوات النار عليهم مباشرة، وزادت عدم رغبة السوريين في الحرب خصوصاً عندما لم تستجب لطلب المنظمة التي استغاثت بها مطالبة اياها تنفيذ وعودها: مظلة جوية، اسلحة والخ... لا بد من ذكر معركتين في الجبهة المركزية والغربية في اليوم الأول للقتال: الأولى الاصطدام بالمخيمات المتاخمة لصور والمعركة في الوفور. لم تتقدم القوات نحو المخيمات إلا بعد أن ضربتها الطائرات والمدافع بالقذائف والصواريخ والتي كانت تنفجر في مواعيد مختلفة، وبهذا منعت المنظمة من نقل الاسلحة والذخائر من المخازن ولتسقط بأيدي القوات الإسرائيلية مليئة وكأنها بدون استعمال. ضمت القوات التي تقدمت نحو المخيمات مظليين وقوات «ناحل» دروز، مدفعية ومدرعات بقيادة ايلي غيبع الذي قاد دبابات «المركافا» ولأغلب الجنود في هذه الجبهة كانت هذه المرة الأولى يدخلون فيها النار تتراوح أعمارهم بين ١٨ـ٢٠ سنة اعيدوا من البيت يوم الجمعة مساء، وبالنسبة إلى الحالة النفسية فقدرت جيدة لأنهم أرادوا هذه المرة إنهاء الحرب والأنتهاء نهائياً من التهيؤات القصوى التي عانوا منها خلال خدمتهم على الحدود الشمالية أما قوات المشاة فقد قادها الضابط تيسلهان مردخاي الذي له ماضٍ حافل بالمعارك وخبرته واسعة في هذا المجال.

عندما عبرت القوات الإسرائيلية الحدود الساعة الحادية عشرة تفاجأت قوات «بونيفيل» ولكن قيادتها اعطت الأوامر بعدم المقاومة واكتفى الجنود بتسجيل عدد الآليات التي تمر ولكنهم سرعان ما تعبوا...

الساعة الحادية عشرة والنصف ضرب اتجاه البداية الإسرائيلية صاروخ R.B.G بالقرب من صور فأعطيت الأوامر بعدم التطهير إنما التقدم بأسرع ما يمكن باتجاه جسر «القاسمية» على نهر الليطاني وترك عملية التطهير للقوات الخلفية.

تركزت القوات الفلسطينية في منطقة المخيمات (حوالى ٢٠٠٠ مقاتل) و٦٠٠ في «المثلث الحديدي» الواقع تحت سيطرة قوات الامم المتحدة، وكانت المعارك مركزة في المخيمات المحيطة بصور: البص، نبي معتوق، البرج الشمالي، الرشيدية، شبريحة. اقترح «غيبع»

عدم مرور القوات داخل المخيمات والمرور بين مخيمي النبي معتوق والبرج الشمالي وشبريحة لكي يمنع اصطدامات تعيق بالتالي تقدم القوات ووافق مردخاي وايتان على اقتراحه.

الكمين الأول نصب للقوات بين البيارات وقتل على أثر ذلك الضابط «شفارتس» وأصيبت إحدى الآليات المدرعة وذلك بسبب توجه القوة إلى الشمال الغربي بدلاً من المتابعة بخط مستقيم شمالاً بين المخيمات، وذلك ما أراد غيبع أن يتفاداه. وخلال الاصطدامات على مفترق البص سقط ضابط القوة «غايتر» في الاسر مع اثنين من جنوده وتبين بعد أيام انهم قتلوه مع أحد جنوده أما الثالث فقد استطاع الهرب اثناء توجه المخربين شمالاً. امتنعت قيادة الجبهة عن استعمال الطيران من أجل انقاذ هذه القوة لأن المنطقة مأهولة بالسكان ولكن شارون قرر ومن أجل انقاذ جنوده أن يعطي أوامره لسلاح الطيران مما ساعد في ترك المخربين لمواقعهم وكانت النتيجة: ٤ قتلى، ٨ جرحى توفي أحدهم متأثراً بجراحه.

تبين بعد أن تقدمت القوات أن المنظمة ليست منظمة كجيش منظم إنما اقتصر النشاط على خلايا صغيرة مزودة بالـ«آر بي جي» ولم يكن هناك أي أمل أمامها سوى وقف تقدم الدبابات الإسرائيلية، ولكنهم برهنوا أنهم محاربون أشداء صمدوا بالرغم من الثمن الغالي الذي دفعوه لقاء ذلك، واعترف بذلك ايلي غيبع حين قال «انهم شجعان ولكن عملهم غير منطقي».

كانت الطرقات نظيفة من الألغام بالرغم من تواجد ألغام بكميات هائلة في مخازن المنظمة، واستطاع جيش الدفاع قطع الاتصال بين قيادة المنظمة في بيروت والقوات المحاربة في الجنوب. عبرت قوات «غيبع» جسر القاسمية بدون مشاكل وتمركزت القوات بالقرب من الصرفند بملعب كرة القدم على شكل دائري مدافعها موجهة إلى ٣٦٠ درجة.

في نفس الوقت بدأت العمليات شمالي صيدا حين تم انزال القوات الإسرائيلية بالقرب من الأولي. ولم يؤمن الحاج اسماعيل قائد المنظمة في صيدا للتقارير التي وصلت عن هذه القوات، فخرج بنفسه ليتأكد ومنذ خروجه لم يعد إلى قيادته وهرب إلى شتورة وادعى بعد ذلك أنه وجد نفسه مضطراً للانسحاب ونقل قيادته شمالاً... ولكن عرفات طلب لجنة تحقيق وإنزاله بالرتبة ولكن رتبته اعيدت إليه بعد شهرين وعين قائداً للقوات الفلسطينية في شمالي لبنان. أدى تقدم القوات الإسرائيلية بهذه السرعة إلى نقاشات ومشادات كلامية بين أبو موسى الذي أبدى خيبة أمله من ضعف وانهيار قواته في الجنوب وعرفات الذي اضطر إلى تفسير الفشل وازالة وصمة العار التي لحقت منظمته.

قلعة الشقيف (البوفور) كانت الهدف الثاني للقوات الإسرائيلية بسبب اهميتها

القصوى واستغلال المنظمة علوها لضرب المستوطنات الشمالية، وقد فشلت جميع المحاولات السابقة التي قام بها جيش الدفاع بمساعدة الطيران بضرب القلعة. اعطيت هذه المهمة لفرقة «غولاني» التي استعدت استعداداً كبيراً لإحتلال القلعة. تقدمت القوات وتركت البوفور من وراءها على أمل ادخال الرعب في قلوب المحاربين وافهامهم انه لا قيمة لإستمرار بقائهم وذلك بسبب التغير الذي حصل في الخطة وهي التقدم نحو جسر القعقعية وليس جسر الخردلة.

كانت الخطة مهاجمة القلعة في الساعة الحادية عشرة ولاسباب لم تذكر تأجلت العملية إلى ساعات ما بعد الظهر المتأخرة، ووصلت القوات بدون الدبابات التي كانت ولكثرة استعمالها قد أصيبت خلال تقدمها بخلل. وتمت العملية وتم القضاء على المخربين وكان الثمن ٦ قتلى، ووقف جنود «غولاني» ولم يستطيعوا أن يتنكروا لقوة أعدائهم وشجاعتهم التي ظهرت في صمودهم حتى الموت. وفي الغد حضر بيغن وشارون وسلموا القلعة «لسعد حداد»، وأعلن شارون أن القلعة سقطت دون قتلى. فأجابه أحد الضباط الذين اشتركوا في العملية:

ماذا جرى لك: ٦ من اصدقائي سقطوا هنا!!

الفصل الثامن

الحرب مع الفلسطينيين

منذ بداية الحرب لم يكن هناك أمل للمنظمة ومقاتليها أمامقوات: يسحاق مردخاي التي تقدمت من الغرب، سلاح البحرية الذي ضرب المواقع بشدة من البحر، كهلاني الذي احتل النبطية وتقدم نحو صيدا، عنيان الذي تقدم باتجاه ظهر البيدر وطريق بيروت دمشق ووقف حاجزاً بين جنوب لبنان والبقاع.

وكان السؤال: كم من الزمن ستصمد القوات الفلسطينية وتعيق تقدم القوات الإسرائيلية؟! وليس من سينتصر! وتبين مدى عدم استجابة الوعود العربية للمنظمة وبالاخص السورية التي اتفقت مع المنظمة على مساعدتها وقت الحاجة وامدادها بما تحتاجه عندما تنشب المعارك وتدخل القوات الإسرائيلية إلى جنوب لبنان.

أما الجزائر صديقة المنظمة فقد ارسلت ٣ طائرات محملة بالسلاح إلى دمشق، ولكنهالم تصل عند الحاجة إليه. والقذافي لم يف بوعوده ولكنه ناشد المحاربين بالصمود حتى الموت... السعودية اكتفت بإرسال أدوية... الأردن الوحيدة التي سمحت «لكتيبة بدر» الفلسطينية بالتوجه إلى بيروت ومشاركة اخوانهم في القتال... الاتحاد السوفياتي لم يحاول انقاذ عرفات واكتفى، بالدعم الكلامي للقضية الفلسطينية! وبذلك تكون المنظمة قد وقفت أمام التحدي الإسرائيلي وحيدة لا تملك القدرة لمواجهة جيش الدفاع الإسرائيلي.

كانت خيبة أمل أخرى بالنسبة لعرفات عدم تدخل الدروز والشيعة لمساعدته في وقف التقدم الإسرائيلي وكان «نبيه بري» قد اصدر أمراً لقواته في الجنوب بقيادة «محمد غدار» بعدم مقاومة القوات الإسرائيلية المهاجمة، أما جنبلاط والقيادة الروحية فقد عارضوا القوات الإسرائيلية ولكنهم لم يتحرشوا بها بالرغم من قدرتهم على زرع الألغام والتشويش في عمليات التزويد للقوات الإسرائيلية فقد نصح مستشارو وليد جنبلاط عدم التدخل في الحرب بين المنظمة وإسرائيل وعدم تقديم المساعدة للقوات السورية المتواجدة في الشوف خوفاً من ردود فعل إسرائيلية تعود بالتالي إلى دمار القرى في الشوف. اخبئت الاسلحة بأماكن سرية وبذلك خاب أمل عرفات من ابن كمال جنبلاط الذي كانت تربطه بعرفات علاقات حسنة، تم خلالها تقديم مساعدات عسكرية للمليشيات الدرزية وتدريبها. بدأت الحرب

وعلمت المنظمة منذ البداية أنه لا أمل لها ولكن القيادة كانت تشجع المحاربين بالصمود لمدة يومين لأن اتفاقية الهدنة ووقف إطلاق النار قريبة، وعندما مرت ٤٨ ساعة ولم يكن هناك وقف إطلاق نار طلب عرفات من قواته الانسحاب إلى بيروت أو إلى البقاع.

قدرت القوات الإسرائيلية عدد المقاتلين الفلسطينيين بـ ٦٠٠٠ مقاتل تركزت كالآتي:

جنوبي الليطاني: ١) المثلث الحديدي، ٢) صور بـ ١٥٠٠ مقاتل بقيادة يوسف النجار.

شمالي الليطاني وحتى ضوحي صيدا: ١) صور ١٠٠٠ مقاتل (بيت المقدس، وشهداء أيلول)، ٢) هضبة النبطية ـ كتيبة الجرمق بـ ١٠٠٠ـ ١٨٠٠ مقاتل، ٣) شمالي شرقي النبطية (العيشية ـ المحمودية) ٥٠٠ مقاتل سرية اليرموك، ٤) «الفتحلاند» (جنوب البقاع اللبناني) ١٥٠٠ مقاتل سرية الكرامة.

الأغلبية الساحقة لهذه القوات كانت فلسطينية زيادة على المتطوعين الذين قدموا من الدول العربية والهند، الباكستان، سيلان، وبنغلادش. أما الأسلحة التي كانت تستعملها هذه القوات فقد كانت تضم عشرات الدبابات، المدافع، الكاتيوشوت، مدافع مضادة للطائرات، وصواريخ كتف (ستريلا) S.A7 وكانت هذه الفترة بالنسبة للقوات الفلسطينية مرحلة انتقال من عصابات إلى جيش نظامي ويكون نواة للجيش الذي سيدافع عن الدولة الفلسطينية التي ستقوم عما قريب.

الضعف الذي عانت منه المنظمة لم يكن الأسلحة إنما القيادة التي هربت قبل بدء المعارك حين شعروا باقتراب القوات الإسرائيلية وهكذا فعل: غازي عطاالله (أبو نجم)، الميجور معين، أبو خلدون. أما عزمي الزغير فقد تابع القتال ولكنه هرب واختبأ في إحدى الفيلات حتى اكتشفته القوات الإسرائيلية وهاجمت الفيلا وقتلته.

كانت الخطة الدفاعية للمنظمة خطة يائسة من البداية إذ لم تقم القوات بزرع الألغام وتفجير الجسور وهربت أغلبية المحاربين حين رأوا أن قادتهم سبقوهم بذلك واتهم وزير الاعلام السوري أحمد اسكندر أحمد المنظمة وقال: «تصورنا ان الحرب في الجنوب ستستمر أكثر من ذلك!».

ومن وجهة إسرائيلية فقد صدق أحمد أسكندر في اتهاماته بالنسبة للنصف فقط من الجيش الفلسطيني، وبرهان على ذلك ان عملية الإتصال مع القوات التي انزلت على الأولي دامت ٧٠ ساعة وليس ٢٤ ساعة كما كانت الخطة، ومع الكتائب بعد اسبوع كامل من بداية

المعارك (١٣ حزيران)، وهكذا اعاقة عملية التقدم فاقت التوقعات الإسرائيلية، وسيمر وقت طويل حتى تنسى الوحدات الإسرائيلية التي حاربت داخل المخيمات مدى الشجاعة والصمود التي أبداها المحارب الفلسطيني، واستمر القتال في مخيم عين الحلوة مدة اسبوع ونصف الاسبوع حتى تم الاستيلاء عليه.

خلال تقدم الجيش الإسرائيلي امتنع الضباط من النشاط العسكري في الظلام وبدأت المعارك صباح اليوم التالي، فوجيء ايلي غبيع عندما تقدم إلى بلدة الصرفند التي سمع عن القوات الفلسطينية المرابطة فيها عندما خرجت النسوة ورشقت الجنود بالأرز، ولوح الرجال بإشارات ٧ ولكن ذلك لم يدم، فحين وصلت مع قواته إلى وسط البلدة هاجتهم قوة مسلحة من خلف الرجال والنساء فقتل على الفور الضابط الذي سار في رأس القوة حين كان يرد التحيات ويلوح بيده، وقتل ضابط آخر وردت القوات الإسرائيلية على النار فهرب السكان وزرع الرعب في نفوس الأطفال والنساء وأصيب من وجد داخل المعركة، وخرجت القوة من القرية تحمل قتيلاً وثلاثة جرحى، وكان هذا الامتحان الأول للحرب في منطقة مأهولة ومبنية وتقدم إيلي غبيع نحو جسر الزهراني والتقى هناك بقوات غولاني. وفي الساعة السابعة وقفت قوات «غولاني» على مشارف عين الحلوة وبدأت المعركة لإحتلال صيدا.

استمر احتلال النبطية ٣ ساعات فقط دون اصابات في صفوف القوات المهاجمة، أما احتلال الرشيدية فقد دام ٤ أيام، برج الشمالي ٣ أيام ونصف، واستعمل جيش الدفاع طريقة الفصل بين أجزاء المخيمات وتهديدهم بمكبرات الصوت والطلب منهم الاستسلام، وكانت الخسائر ٢١ قتيلاً و٩٥ جريحاً.

كانت المخيمات منظمة بشكل مستقل وكل مخيم أخذ على عاتقه عملية الدفاع، وقسمت المنطقة إلى حارات ووزعت المهام على جميع السكان، اتصفت الحرب بالصعوبة نظراً للطرقات الضيقة والتحصينات التي أقيمت فيها (الرشيدية ٧٤، برج الشمالي ٨٠ والبص ٢١٣)، ومما زاد في صعوبة المعارك المدنيون الذين تواجدوا داخل المنظمات مما سهل على المخربين الاختباء بينهم، ولاقت القوات الإسرائيلية صعوبات جمة في اقناع اللاجئين الخروج من المخيمات.

المعركة في عين الحلوة كانت أصعب المعارك، فقد حاصرت قوات «غولاني» وقوات مدرعة المخيم ولكنها لم تستطع اختراقه، وشبهت المعركة في عين الحلوة بمعركة «متسادا» نظراً للبسالة والشجاعة التي أبداها المحارب الفلسطيني في هذا المخيم، واستطاعت هذه القوات أن تمنع تقدم القوات الإسرائيلية في طريق الشاطىء لمدة يومين. في يوم الاثنين تقدمت قوات غولاني، وقوة مدرعة من الشرق، وقوة ايلي غبيع من الجنوب، دارت المعركة في البداية من بعيد، وبعد

منتصف الليل اعطي الأمر «لغولاني» باحتلال صيدا لكي يتم الاتصال مع القوات التي نزلت في الأولي، وفي هذه الأثناء حوصرت صيدا من جميع الجهات.

حاولت قوة من «غولاني» اختراق مخيم عين الحلوة وفصله إلى قسمين ولكنها لم تستطع ذلك، وتبين أن اختراق المخيم يحتم احتلاله كلياً، ورغم جميع المحاولات (بدون اصابات) استطاع المخيم الصمود في وجه الهجمات الإسرائيلية. وفي يوم الثلاثاء بدأت الطائرات والمدفعية بضرب المخيم وطلب في مكبرات الصوت من اللاجئين إخلاء المخيم إلا ان المخربين استغلوهم كرهائن لأنهم عرفوا الأوامر الإسرائيلية التي منعت ضرب المواطنين الأبرياء. ومر الثلاثاء واستطاعت القوات في عين الحلوة الصمود رغم الجهود الإسرائيلية التي بذلت.

تغيرت قوات «غولاني» بقوات أخرى ولكن ذلك لم يساعد، ولم تستطع القوات الإسرائيلية اختراق المخيم وصيدا والتقدم. في هذه الأثناء ظهرت طائرتا ميغ سورية في سماء صيدا محاولة المساعدة. طلب «ايلي غيبع» أن تتقدم قواته عبر الهضاب شرق صيدا واستطاع في صباح الأربعاء الاتصال بقوات عاموس يارون والاشتراك في الهجوم على الميناء. تابع غولاني محاولاته خرق الطريق الرئيسية التي تمر في صيدا دون أن يحاول احتلال عين الحلوة واستطاع ذلك وبدأت القوات بالتقدم شمالاً بسرعة. أما مهمة احتلال عين الحلوة فقد سلمها الساعة الثالثة ليتسحاق مردخاي التي انتهت قواته من احتلال مخيمات صور. ابتداء من يوم الاربعاء لم يعد هناك معنى للمقاومة الفلسطينية في مخيم عين الحلوة لأن الطريق إلى الشمال اقتحمت، ولكن المقاتلين الفلسطينيين تابعوا القتال كأن شيئاً لم يحدث وتبين فيما بعد أن الحاج إبراهيم الذي استلم زمام الأمور بدلاً من قائد المدينة الذي هرب والذي كان رئيس الفئة الدينية «جند الله» هو الذي ادخل روح الحرب والاستماتة في قلوب مقاتليه وشجعهم على الصمود.

في صباح الخميس جددت الهجمات وهذه المرة في آن واحد من اتجاهين، المظليون إلى «القصيبة» وقوات المشاة بمساعدة المدرعات إلى عين الحلوة. أما القوات التي دخلت «القصيبة» فقد تعلمت من أخطاء الجيش السوري فطلب «تيسمان مردخاي» من جنوده التقدم ببطء خلف التراكتورات التي مهدت الطرقات لتسهيل تقدم القوات وأمرهم بقصف كل بيت تطلق النار منه، واستطاع مردخاي احتلال «القصيبة» بعد مرور ٣ أيام دون وقوع إصابات في صفوف وحدته. في عين الحلوة كانت المعركة أشد تعقيداً مرات مضاعفة، فقد تقدمت القوات وأحتلت مسجدين ووصلت إلى المستشفى الذي أطلقت منه النيران وبذلك خاطروا بحياة المرضى والاطباء المتواجدين فيه. أوقفت القوات الإسرائيلية نيرانها وطلبت من

احد الأطباء - كندي الجنسية - (تبين انه مصري ويعمل في صفوف المنظمة) أن يقوم بدخول المستشفى لإقناع المقاتلين بالاستسلام والتوجه إلى شاطىء البحر مجردين من السلاح، وفي اليوم الأول عاد معه ٣ مواطنين وقال «سيتم اخلاء المستشفى في الغد» واعطي له ما أراد ولكنه في اليوم التالي عاد وقال ان الجميع انسحبوا ولم يبق هناك أحد.

بالرغم من وقف اطلاق النار تابعت القوات الإسرائيلية محاولاتها لإحتلال عين الحلوة، وبدأت الطائرات بقصف مواقع المخيم واعطيت الأوامر للقوات بالإنسحاب منه. منذ هذه اللحظة بدأت إسرائيل بإرسال وفود من وجهاء واعيان المنطقة وضباط وجنود «فتح» الاسرى إلى المخيم لإقناع المقاتلين بالاستسلام، ولكن دون جدوى وعادت الوفود ووصفت مناظر مروعة داخل المخيم منها قتل ٣ أطفال أمام والدهم لأنه طلب وقف هذا القتال الميئوس منه، حاولت إسرائيل تهديدهم بتدمير المخيم وأرسلت وفداً آخر دون جدوى. عادت القوات بعد أن تقرر اقتحام المخيم وبدأت بالتقدم واحتلت المستشفى ومن ثم المدرسة.

في يوم السبت عاد سلاح الطيران وبدأ بقصف مركز على الحصن المركزي، واستمر القتال حتى ١٤ حزيران حين سقطت عين الحلوة بعد قتال مرير وعنيف أظهر فيه الحاج إبراهيم ورجاله شجاعة نادرة...

الفصل التاسع

الحرب مع السوريين

لم يدر هيغ حين أعلن لدمشق وللمراسلين بتاريخ ٧ حزيران ان إسرائيل لا تهدف الجيش السوري بعمليتها، ان شارون قد أوضح قائلاً: ان الصورة يجب ان تتم لا مفر من العناية بالجيش السوري! وأراد بذلك الإسراع إلى طريق بيروت دمشق ومهاجمة الصواريخ السورية في الغد.

وخلال تواجد حبيب الذي ارسل لتهدئة الأمور في الشرق الأوسط في فندقه لم يكف عن سؤاله كم ستستمر العملية! وعندما توجه إلى دمشق في الغد نقل مطالب إسرائيل: إبعاد المخربين الذين يعملون في المنطقة السورية إلى ٤٠ كم عن الحدود الإسرائيلية، واخراج الصواريخ من البقاع اللبناني.

لكن شارون لم يعط الفرصة للأسد اتخاذ قرار للمطالب الإسرائيلية كما سنرى في المستقبل. زيادة على انه من يعرف الأسد يعلم ان هذه المطالب لن تنفذ خصوصاً وانه حتى الآن لم يقدم المساعدة العسكرية للمنظمة واصبح موقفه حرجاً.

في اليوم الثالث للحرب ٨ حزيران وصلت القوات الإسرائيلية إلى الـ ٤٠ كم ووقف بيغن ولخص العملية في الكنيست قائلاً: «إن الثمن الذي دفعناه حتى الآن هو ٢٥ قتيلاً، ٧ مفقودين ٩٦ جريحاً، ونحن نشارك جميع العائلات الثكلى مصابها». وعاد بيغن مذكراً الأسد أن الهدف ليس الجيش السوري وناشده عدم التدخل وقدر مواقفه في المحافظة على وقف اطلاق النار... لكن بيغن كان يتكلم في الكنيست والوضع في الميدان لا يلائم خطابه. ففي ظهر ذلك اليوم هاجمت سرية مدرعة إسرائيلية القوات السورية المرابطة بالقرب من جزين واستعدت لمهاجمة قوات سورية أخرى بالقرب من «كفرحونا وعين التينة» واشترك سلاح الطيران بالقصف المركز على الوحدات السورية في المنطقة. وبدأ شارون ورفول بتحضير خطة عسكرية مع قائد الطيران لضرب الصواريخ السورية وطرحها أمام الحكومة.

هل رحب بيغن بخطوات شارون أم لا؟

بدأت الاصطدامات بالجيش السوري في اليوم الثاني للحرب ٧ حزيران، كانت إحدى هذه الاصطدامات مبادرة من إسرائيل والثانية صدفة. أما المبادرة الإسرائيلية فكانت

قصف محطتي رادار، الأولى بجانب الدامور والثانية في أعماق المنطقة السورية بجانب مطار «رياق» شمالي طريق بيروت دمشق. وكذلك فقد تم إسقاط طائرة ميغ ٢٣ سقط طيارها في ايدي الكتائب واعيد في نفس اليوم لسورية. أما الصدفة فكانت إصابة مجنزرة آلية سورية بالقرب من صيدا وتفاجأ الجنود الإسرائيليون من تواجد جنود سوريين (قتلى وجرحى) داخل المجنزرة.

لم تتأكد سورية من مهاجمة جيش الدفاع لقواتها ولذلك لم تعزز قواتها المرابطة في لبنان وحتى في هضبة الجولان بالرغم من قيام إسرائيل بذلك، وأرسلت «علي اصلان» إلى لبنان لتقييم الوضع، وصل إلى دمشق «أمين الجميل» محاولاً منع اصطدامات بين الجيش السوري والكتائب وفعلاً فقد ساد الهدوء بين الجيشين طيلة أيام الحرب. لو أرادت إسرائيل تفادي الحرب مع سورية لكان بمقدورها ذلك، ولكن هدف شارون طرد الجيش السوري من لبنان كان ضمن الخطة. وهكذا كانت خطة شارون حرباً شاملة ضد المنظمة والجيش السوري وتدمير قواعد الصواريخ.

كان تقدم القوات الإسرائيلية على المحور المركزي بمثابة الإنذار للحرب ضد الجيش السوري، إذ لم يكن من المنطق أن يقوم الجيش السوري بعد أن عرف وجهة القوات الإسرائيلية بالسماح لها بالتقدم. ظن بيغن ووزراءه ان الجيش السوري سينسحب من المعركة عندما يرى الجيش الإسرائيلي يتقدم، ولكن «شعي» صور الوضع وقال: «أنها رحلة بظل النار».

صادق الوزراء على اقتراح شارون «محاصرة» القوات السورية وذكر شارون أنه يفضل الآن تأخير الهجوم على الجيش السوري وانه رفض طلب «يانوش» المهاجمة مباشرة.

لم يوضح للوزراء حول القوة السورية المتواجدة بالقرب من جزين والتي بدأت في نفس اليوم بالتوجه إلى الغرب، ولذلك فقد كانت المصادقة عبارة عن بدء الحرب مع الجيش السوري، وفي نظرة إلى الوراء نرى أن الحرب لم تبدأ عندما هوجمت الصواريخ السورية إنما بدأت قبل ذلك بـ ٢٤ ساعة في جزين.

جزين بلدة مسيحية غربي البقاع، اهميتها تكمن في كونها مفترق طرق هام، والسيطرة عليها ستسهل تقدم القوات الإسرائيلية نحو البقاع الجنوبي. شعر السوريون بأهمية المكان وركزوا كتيبة مشاة ٤٢٤ بقيادة الكولونيل يوسف العلي على أمل الدفاع عن البقاع اللبناني.

تقدم مناحيم عينان مع قواته وأمر بأن لا يصطدم بالجيش السوري المرابط في جزين، بعد منتصف ليل الاثنين وصلت قواته إلى جزين وتفادت الجيش السوري، وأبقى هناك

قوات مانعة وتابع تقدمه شمالاً. أما القوات المانعة فقد شاهدت دبابات سورية وبدأت بالقصف عليها دون محاولة اقتحام البلدة.

أرسلت سورية تعزيزاتها لبلدة جزين ولكن الطائرات الإسرائيلية استطاعت إيقافها ومنعها من التقدم دون معارضة الصواريخ السورية.

الساعة ١٣ ونصف وصلت المصادقة لإقتحام جزين وكانت هذه المبادرة الأولى من الجهة الإسرائيلية. ولم تحرك سورية صواريخها ولوحظ مدى محاولتها منع التكهرب في الوضع، ولكن القوات الإسرائيلية اخترقت الدفاع السوري في جزين وسرعان ما جاء رد الفعل السوري الأول إذ أدخلت إلى لبنان ٥ بطاريات صواريخ جديدة من طراز S.A6 وأصبح عدد البطاريات ١٩. وبالرغم من ذلك تابعت دمشق بالرمز إلى عدم نيتها في الدخول إلى المعركة والجدير ذكره ان التعزيزات للجيش السوري وصلت من هضبة الجولان وذلك يكفي لتتأكد من نية سورية.

بعد أن أصبح من المؤكد اقتحام جزين اعطي «يانوش» الأمر في الساعة الثانية بإبداء الهجوم. بدأت العملية بدون تحضيرات وبتسرع ودخلت القوات إلى الشارع الرئيسي وبدت البلدة كأنها نائمة وفجأة في مركز البلدة بدأت القنابل والنيران تنهال من كل حدب وصوب ورغم ذلك استطاعت القوة الإسرائيلية الاستمرار ودمرت ٣ دبابات T 62 التي حسمت طريق الخروج من جزين.

واستمر القتال وسقطت جزين بعد أن سقط ٧ جنود، أما بقايا الجيش السوري فقد انسحبت إلى البقاع. قال شارون في قيادته: ليس من الواضح ماذا سيكون رد الحكومة على مهاجمة السوريين. ولذلك يجب الاختصار وعدم اعطاء صورة واضحة عن الوضع، وطلب الوصول بأقصى السرعة إلى طريق بيروت دمشق لأن الأميركان سيسمحون بثلاثة أيام حرب أخرى، وبذلك طلب الوصول إلى أقصي شمالي بحيرة القرعون (وافق بيغن) وأعطى أمراً بمهاجمة الباروك وفي الصباح ذكر لضباطه انه ما من اهداف أخرى بعد الـ ٤٠ كم والحكومة لن توافق على مهاجمة السوريين، ولكنه في النهاية اعطي أمراً بتحضير خطة هجومية على جزين لمنع القصف منها على المطلة.

فشلت الخطة الإسرائيلية التي قضت بحصر القوات السورية في البقاع بين قوتين (على شكل كماشة) وذلك بسبب اعاقة القوات الإسرائيلية ومرورها عبر جسر القعقعية وليس الخردلة. وتشويشات أخرى حصلت خلال تقدم القوات وهكذا تأخرت القوات الإسرائيلية في تقدمها نحو طريق بيروت دمشق وسبقتها القوات السورية وأصبح بمقدورها صد قوات

عينان المتقدمة.

توجهت القيادة العسكرية يوم الثلاثاء إلى الكتائب لتقوم بإغلاق طريق بيروت دمشق بالقرب من أحيائهم السكنية إلا أنهم رفضوا ذلك، وكان سبب الطلب الإسرائيلي الثقة الكاملة بأن قوات عينان ستصل إلى طريق بيروت دمشق يوم الاربعاء ٩ حزيران.

وكان سبب التأخير كمية الآليات والسيارات التي تقدمت على طريق الشاطىء وأحياناً النقص بالوقود وليس القوات السورية، فقد حاولت سورية أن تعيق التقدم بإرسال قوات «كوماندو» لمعارك خاطفة وكانت النتيجة في أغلب الحالات، الكثير من القتلى والهرب.

تقدمت قوات عينان ووصلت إلى جسر «بسري» وأصدر الأمر بعدم التقدم والانتظار (ربما للمصادقة من الحكومة)، وفي يوم الثلاثاء وصل الأمر بعبور الجسر ومتابعة التقدم. استمرت القوات بتقدمها دون مقاومة تذكر وطلب منها مرة أخرى التوقف بالقرب من كفرنبرخ (على الطريق المتفرعة غرباً نحو الدامور). استمر الانتظار ٤ ساعات وفتحت محطات الوقود المدنية وتزودت الآليات المدرعة بالوقود، في هذه الاثناء ظهرت في السماء طائرة الهيليكوبتر المهاجمة من نوع «غازل» الفرنسية والمزودة بصواريخ «هوط» المضادة للدبابات وهاجمت الطابور الإسرائيلي وأصابت إحدى دباباته، وبدأ الضغط من القيادة بالتقدم وبسرعة نحو عين زحلتا وسبق السوريين إليها.

قيم علي اصلان الوضع في الجبهة وتوقع هجوماً إسرائيلياً على دمشق، فأعطى الأوامر بالاستعداد لصد الهجوم الإسرائيلي وعدم السماح له بالتقدم نحو طريق بيروت دمشق وبدأ يتأكد من ان هذه الحرب ليست عملية صغيرة وإنما حرب واسعة ومن الممكن ان تتوسع إلى داخل سورية.

يوم الثلاثاء ٨ حزيران الساعة الحادية عشرة ليلاً دخلت الدبابات والآليات المجنزرة الإسرائيلية إلى عين زحلتا، وبعد دقائق معدودة بدأت إحدى المعارك الصعبة خلال الحرب والتي استمرت حتى يوم الخميس ومنعت تقدم القوات الإسرائيلية باتجاه طريق بيروت دمشق قبل اتفاقية وقف اطلاق النار، وفقط وبعد مرور عشرة أيام استطاعت القوات الإسرائيلية التقدم خطوة تلو الخطوة حتى وصلت إلى الطريق الرئيسي. استغل شارون هذه المعركة وطلب من الحكومة المصادقة على مهاجمة الصواريخ. في الليلة الأولى فشلت القوات الإسرائيلية ودخلت كميناً سورياً وسقط خلال المعركة ١١ قتيلاً و ١٧ جريحاً وادى ذلك إلى تغيير رأي شارون الذي أراد تأجيل مهاجمة الصواريخ لأنه حتى الآن تقدمت القوات بسرعة وحسب الخطة. ولكن المقاومة السورية والبطء الذي تتقدم به القوات الآن جعلاه يسرع لضرب

الصواريخ زيادة على أن محاولات وقف اطلاق النار قد تنجح خلال مدة قصيرة، وقبل مغادرته للاشتراك في جلسة الحكومة اجتمع شارون مع الضباط: ليفي الكويتيل آدام، وعدد آخر من القيادة الشمالية وكانت طلبات شارون مفاجئة بالنسبة لهم وشعر الجميع أن خطوات الجيش تأتي في هذه الحرب قبل قرارات الحكومة.

وصل دروري إلى عاموس في الجبهة الغربية وطلب منه التقدم باتجاه بيروت وفتح محور الدامور ـ عاليه لتخفيف الضغط عن قوات مناحيم عينان.

وعد ليفي «عينان» بمساعدة سلاح الطيران وفعلاً فقد هاجمت الطائرات الإسرائيلية المواقع السورية الخلفية واسقطت طائرات في معارك جوية بالرغم من الصواريخ السورية.

منذ البداية أحس «عينان» بالنقص في قوات المشاة فأرسل له «كتيبة المظللين» لمساعدته وأوضحت هذه الكتيبة قدرتها حين هاجمت قوات الكوماندو السورية وأنزلت بها خسائر فادحة، مقابل قتيلين فقط! لم يساعد ذلك، ومر يوم الاربعاء ولم تُفتح طريق عين‌زحلتا، ولكن القيادة الإسرائيلية شعرت ان النهاية قريبة ومع قليل من الضغط ستتنازل القوات السورية عن عين‌زحلتا.

جلسة الحكومة يوم الاربعاء، لوحظ استياء الوزراء من تقدم القوات عبر الـ ٤٠ كم المصادق عليها. لم يكترث شارون خلال حديثه إلى مدى تقدم القوات، وحاول شرح موقف القوات الإسرائيلية في عين‌زحلتا وقال انها مكشوفة للمدفعية السورية والتي ستعزز خلال مدة قصيرة، وطالب من الوزراء المصادقة على مساعدة جوية للقوات الإسرائيلية وذكر أن ذلك ممكن فقط إذا دمرت الصواريخ السورية في البقاع.

بعد أن سأل بيغن «عاموس يأير» رجل سلاح الطيران عن كمية الاصابات المقدرة نتيجة لهذه العملية. وحصل على جواب مرضٍ، صوت لصالح اقتراح شارون وتبعه بورغ وتمت المصادقة على هذا الطلب. خرج شارون مباشرة وأمر سلاح الطيران بالهجوم. وكان قسم كبير من الوزراء لم يفهم ان عملية كبيرة على اليابسة ستعقب عملية سلاح الطيران.

في الثانية بدات العملية ضد الصواريخ في ظل الخسائر الفادحة التي ألحقتها الصواريخ الروسية بسلاح الطيران الإسرائيلي يوم الغفران، وكان «دافيد عيري» و«بيني بيلد» قد وعدا بتدمير هذه الصواريخ وتهديم الاسطورة الروسية. وهكذا وقف سلاح الطيران الإسرائيلي أمام أحد امتحاناته الصعبة. كانت المعارك في أوجها حين غارت الطائرات الإسرائيلية وفاجأت السوريين والإسرائيليين معاً، ويبين ذلك مدى السرية التي أحاطت بالعملية، فطلب «يانوش» تفسير أصول هذا الهجوم من القيادة... منذ بداية الحرب تحاول

روسيا الحصول على الاسرار الإسرائيلية وطريقة ضرب الصواريخ، ولكن إسرائيل تحافظ حتى الآن على سرية تامة وهنا ليس المكان لوصف الطريقة.

حاولت سورية انقاذ بطاريات الصواريخ بإرسالها طائرات حربية واشغال الطائرات الإسرائيلية حتى يكون من السهل ضربها. ودارت فوق البقاع اللبناني معركة جوية شملت ٢٠٠ طائرة من الجهتين، فاسقطت ٢٩ طائرة. وشعرت سورية انها بفقدان صواريخها خسرت خطاً دفاعياً استراتيجياً.

خسر سلاح الطيران السوري عشرات الطيارين، وانهار سلاح الطيران السوري وبقي في سماء لبنان سلاح جو واحد، السلاح الجوي الإسرائيلي. ظهر الفرق في التكتيك الحربي، الطيار، التدريبات المتواصلة بالرغم من المساحة الصغيرة التي دارت بها المعارك الجوية ٥٠×٥٠ كم.

وهكذا بدأت الطائرات الإسرائيلية العمل بحرية ومنعت عن سورية تعزيز قواتها فضربت كتيبة مدرعة رقم ٤٧ ودمرتها. قدم حبيب إلى دمشق وحاول لقاء الأسد، ولكن الوضع تغير بعد ضرب الصواريخ، فقد ارسل الأسد وزير دفاعه «مصطفى طلاس» إلى روسيا مطالباً اياها الدفاع عن سماء سورية، لكن روسيا رفضت الاشتراك المباشر ووافقت على إرسال الاسلحة الحديثة والمستشارين الحربيين.

نجح حبيب بإقناع سورية بالموافقة على اطلاق النار بالرغم من الشرط الذي وضعه وهو انسحاب إسرائيل من لبنان وكان ذلك في ١٠ حزيران الساعة السادسة صباحاً.

استغلت القوات المسيحية الحرب واعلن كميل شمعون استياءه من الحرب التي تدور على أرض لبنان بين إسرائيل، سورية والمنظمة، ونسي أنه شجع إسرائيل على مهاجمة بيروت... أما بشير فقد بدأ باستغلال الوضع وتحسين علاقاته بالمسلمين ودعاهم للمفاوضات بدون شروط مسبقة.

توجهت أميركا في صباح الخميس إلى إسرائيل وطلبت منها وقف اطلاق النار ولكن إسرائيل لم تسرع لتنفيذ هذا الطلب لأن الأهداف النهائية كالإتصال مع المسيحيين ووصول القوات إلى طريق بيروت دمشق لم تنفذ حتى الآن.

بعد ضرب الصواريخ أصبح الهدف الرئيسي للقوات الإسرائيلية الوصول إلى طريق بيروت دمشق بالرغم من عدم طرح الموضوع أمام الحكومة. وقيم شارون ان القوات ستصل هدفها حتى منتصف الليل (الخميس ١٠ حزيران)، اقترح يانوش على شارون عدم احتلال بيروت لأن ذلك سيعقد الأمور (عاصمة عربية) وبدلاً من ذلك تدمير فرق الارساليات

السورية واحتلال زحلة وشتورة ومطار «رياق» وتهديد سورية من أجنحتها. ولكن شارون شرح «ليانوش» أهمية الطريق الرئيسية وقال ان من يسيطر عليها سيطر على بيروت.

بدون أي علاقة لكلام يانوش فقد رأى الكتائبيون أن المفتاح لحل مشكلة لبنان هو زحلة وليس بيروت.

ضرب الجيش السوري في لبنان بشدة ولكن لم يقض عليه، فقد اصيبت المئات من دباباته ومئات القتلى، وبالرغم من ذلك تابع الصمود أمام القوات الإسرائيلية ومنعها من السيطرة على القسم الثاني من طريق بيروت دمشق حتى بدأ الحل السياسي ووافقت كل من سورية وإسرائيل على وقف النار.

بالرغم من التضاريس الجغرافية الصعبة فقد استغلت القوات الإسرائيلية الوضع بشكل أفضل من الجيش السوري المدافع، وظهرت براعة الضباط السوريين في السيطرة على القوات عند الانسحاب وخلال الحرب لم يحاولوا المهاجمة ولا مرة واحدة.

جرت يوم الاربعاء معركة غير موفقة بالقرب من «عين التينة» جنوبي بحيرة القرعون، فقد حاولت قوة مدرعة إسرائيلية (دورة ضباط المدرعات) احتلال القرية ووجهت بمعارضة شديدة من قبل القوات السورية المرابطة فيها وكانت النهاية ان سقطت القرية بعد أن أصيبت ٤ دبابات وقتل قائد الكتيبة. واحتلت قوة غولاني يوم الاربعاء «جبل الباروك» دون مقاومة شديدة من قبل السوريين.

يوم الخميس ٤ والنصف صباحاً تابعت القوة الإسرائيلية تقدمها واستطاعت التغلب على الألغام التي زرعها السوريون على الطريق الرئيسية في البقاع، واستعد الجيش السوري نظراً للأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة وخلال ذلك اليوم دارت معارك اشتركت فيها دبابات سورية T62 طائرات هيليكوبتر هجومية وقام سلاح الطيران الإسرائيلي بمساعدة القوات الإسرائيلية ولكن الصعوبة كانت أن المعركة جرت على مساحة ضيقة لا تتسع لهذا الحشد من الآليات والدبابات، وبالرغم من النجاح الذي لاقته القوات الإسرائيلية فقد تركت وراءها ٨ دبابات، أسرى ومفقودين.

على جبهة الحدود السورية وصلت القوات الإسرائيلية حتى ينطا وهناك توقفت لأنها واجهت قوات الخلاص السورية.

اعتبرت المعركة التي جرت بالقرب من «سلطان يعقوب» على المحور المركزي عرقلة بالنسبة لتقدم القوات الإسرائيلية، وكانت هذه المنطقة مهمة جداً لأنه انبثق منها طريق عرضي يؤدي إلى «كامد اللوز» وجب جنين، وسميت هذه النقطة «مثلث طرق». تقدمت

القوات يوم الخميس الساعة ٨ والثلث باتجاه مثلث الطرق ولم تعلم ماذا ينتظرها. فقد استعدت القوات السورية للهجوم الإسرائيلي وانتظمت على رؤوس الجبال المحيطة وانتظرت، ظن «عيرا» قائد الكتيبة المتقدمة باتجاه مثلث الطرق أنه لن يواجه معارضة سورية لأنه من برج المراقبة ظهر المكان وكأنه متروك. تقدمت القوات الإسرائيلية وعلى رأسها «عيرا» وكتيبته ودخلت دون ان تخطط لذلك إلى تنظيمات القوات السورية التي تفاجأت لرؤية طابور مدرع إسرائيلي يتقدم إلى داخل قواتها، وهكذا دخلت قوات «عيرا» إلى كمين دفاعي.

تقدمت القوات ببطء وكانت المعنوية عالية عند الجنود رغم التعب الذي واجهوه خلال المعارك في ذلك اليوم، وعندما رأى «عيرا» عبر منظاره مدرعات سورية طلب أن يسمح له بقصفها إلا أن القيادة رفضت ذلك. طلب يانوش من «عيرا» التقدم بسرعة باتجاه «مثلث الطرق» والتوقف هناك للمراقبة والاستطلاع ولكن عيرا فتش على منطقة سهلة جغرافياً لوضع نقطة المراقبة وبدون أن يشعر تغلغل داخل الترتيب العسكري السوري حتى وصل إلى سفوح هضبة سلطان يعقوب.

بمحاذاة قرية الرفيد وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل خسرت كتيبة «عيرا» أول ٥ محاربين بعد أن أصيبت دبابتهم بشكل مفاجىء. أعطي الأمر بالتقدم وعدم الانتظار ودخلت القوات القرية ولم يكن هناك ما يثير الشكوك. لم تعلم القوات الإسرائيلية بوجود قوة مضادة للدبابات بانتظارهم. وما ان دخلوا حتى بدأت هذه القوة اطلاق صواريخ «الساغر» على الطابور الإسرائيلي، ولكن أغلب هذه الصواريخ اخطأت الهدف بسبب القرب الذي اطلقت منه. اعطي الأمر بالتقدم والقصف على جميع الجهات ولكن الكتيبة انفصلت إلى ثلاثة أقسام وشعر «عيرا» أنه لا يسيطر على جميع قواته. طلب عيرا المساعدة وأرسلت له سرية واحدة فقط لانقاذه خوفاً من كمين أكبر.

حتى الصباح لم تكن الاصابات كبيرة في كتيبة «عيرا» ولكن التعب أخذ منهم وفي الصباح ظهر ان الكمين أصبح أشد خطورة فقد تركزت القوات السورية من الأمام ومن الغرب واستطاعت كذلك ادخال قوة إلى الشمال الشرقي. وظهرت الأفضلية من ناحية المواقع التي حظي بها الجيش السوري، وبدأت الدبابات الإسرائيلية تصاب واحدة تلو الأخرى وتقدمت خلايا من المشاة السوريين وضربت الدبابات الإسرائيلية عن بعد مئات الأمتار فقط.

طلب عيرا المساعدة من قيادته ولكنه لم يعلم أن القيادة على قواته اعطيت لقائد آخر، بدأ يتحرك مع قواته من الجنوب ولم يستطع الوصول إليه حتى الآن، وفهم انه توجد خطة

لتخليصه من الكمين وجميع الوعود للمساعدة الجوية وطائرات هيليكوبتر مهاجمة لم تنفذ. وشعر «اهود بارك» ان هذه الحالة مشابهة لمعركة المزرعة الصيفية في حرب الغفران، ولذلك يجب تحريك الطائرات باتجاه سلطان يعقوب، وفعلاً فقد قصفت القوات السورية ولكن الطائرات أصابت قوات أخرى وليس تلك في سلطان يعقوب. وربما مساعدة المدفعية هي التي ساعدت الكتيبة على الصمود... بدأت الذخيرة تنتهي، وأخبر «عيرا» أن بحوزة رجاله مدافع الهاون بقي فقط ١٠ صواريخ وهناك نقص كبير في الوقود. بعد أن تكلم عيرا مع قائد المنظمة طالباً المساعدة طلب منه الأخيرترك الدبابات والانسحاب مشياً، ولكن ذلك مستحيل لأن قوات كوموندو سورية بانتظارنا وهذا العمل هو عمل انتحاري، أجاب «عيرا» فسأله قائد المنطقة ـ هل هناك حل آخر؟

بعد أن شعر «عيرا» أنه لا أمل خرج وتجول بين رجاله ليقف على وضع جنوده وكمية الذخيرة وخلال تجواله تحدث مع نائبه «ميخا» (طالب في الجامعة) وبحثا الوضع، وقال «عيرا» انه يرى ٣ امكانيات: الحرب حتى النهاية، الانسحاب إلى الخلف، الاستسلام! لكن «ميخا» اختار امكانية الانسحاب. والآن، وبعد أن اتخذ القرار يجب أن يقوم سلاح الطيران بتغطية الإنسحاب بقصف مركز على القوات السورية، ولكن الطائرات لم تأت ولم تكف المدفعية لأن ذلك بامكانه فقط منع الجيش السوري من الاقتحام والمهاجمة!

في ٨,٤٥ بدأت القوات بالانسحاب الخلفي وصراع البقاء... وبسرعة وكان المطلوب ١٦ دقيقة فقط والجنود (اغلبهم من المتدينين هسدير) يصلون بصمت. اصيبت القوة خلال ذلك وقتل ٤ جنود و ١٠ آليات اصيبت وسقط في الاسر الجندي «ليبرمان».

في ٩,٠٦ اعلن «عيرا» انه خارج الكمين!

اندهش عيرا عندما رأى القوات الإسرائيلية المركزة في المنطقة والتي لم تستطع مساعدته وفوجيء أكثر عندما قابل أحد اصدقائه ضابط الاستخبارات والذي أخبره أنه لو كان يعلم أن الكتيبة ستدخل إلى هذا العمق لكان حذره لأنه يعرف كل شيء حول الترتيب العسكري السوري في سلطان يعقوب. أكيلت التهم «لعيرا وميخا» بأنهما فقدا السيطرة على الموقف لكن «يانوش» قال: موقفهما مشرف، أما المسؤولية فتقع علي لأني أنا ضابط القوات في المنطقة.

بقيت في المنطقة ٨ دبابات حوت الكثير من المعدات السرية والتي كان بالامكان اعادتها أو تفجيرها، مما زاد على فشل العملية في سلطان يعقوب.

في الثانية عشرة يوم الجمعة ١١ حزيران بُدىء بتنفيذ وقف إطلاق النار.
انتهت المعركة مع السوريين ولكن الحرب لم تنته.

الفصل العاشر

الاتصال

قضية بيروت أوضحت أن الحرب أصبحت حرباً مضللة بعد أن كانت لسلامة الجليل! فوجئت الحكومة بهذه الخطوة والتي غيرت مجرى الأمور في إسرائيل (الموافقة التامة على الحرب) والعالم... وأنكر بيغن أن جيش الدفاع يتواجد في بيروت (١٣ حزيران) بالرغم من وصف المذيع لشوارع بيروت المليئة بالسيارات العسكرية الإسرائيلية... وقالت الصحف حينها إن بيغن يقف على رأس دولة ولا يعرف ماذا يفعل جيشه!

في ١٢ حزيران منع عن مراسل التلفزيون ارسال تقرير حول تواجد جيش الدفاع في مطار بيروت الدولي! وعندما التقى «حبيب» ببيغن ابلغ الأخير أن القوات الإسرائيلية «لا تنوي دخول بيروت» فرد حبيب بغضب: دباباتكم في بعبدا! وقد أبلغنا بذلك على يد سفيرنا في بيروت!

اتصل شارون بمكتب «بيغن» وكان رده حين علم بلقاء بيغن وحبيب: سنحرك الدبابات!

في ١٠ حزيران عاد شارون وأعلن أنه يفضل عدم دخول بيروت رغم الطلبات غير الرسمية من الدولة اللبنانية لقصف الأحياء في بيروت الغربية. تابع شارون وشرح أهمية طريق بيروت دمشق وأوضح أن طريق الدامور عاليه مهمة من أجل مساعدة قوات عينان في الجبهة الشرقية ولن نقوم بمبادرة للارتباط والاتصال بالقوات الكتائبية إلا إذا هي طلبت ذلك.

عاد شارون في ١١ حزيران في جلسة الحكومة وأوضح، أنه لم يصدر أي أمر للاتصال بالقوات الكتائبية ولم يوافق على استقبال ضباط ارتباط كتائبيين حتى لا يكون بالتالي أي التزام نحوهم. وأضاف انه رفض طلبهم مهاجمة طرابلس...

كل ذلك كان في جلستي الحكومة ولكن ماذا جرى في تلك الاثناء على الساحة اللبنانية؟!

يوم الجمعة بعد الظهر، انضم إلى قوات المظليين بقيادة «يورام يأير» في كفرمتى الضابط «ايلي زايد».

ومنذ الاربعاء ٩ حزيران شعرت القوات الإسرائيلية المتقدمة من الدامور أن الهدف

«بيروت». أعلن أمير دروري بعد أن وافقت الحكومة ان تتقدم القوات إلى طريق «الدامور عاليه» ان الهدف بيروت. وكان يعرف منذ زمن طويل ان ذلك سيحدث...

وصل «كاتس» رئيس مقر القيادة إلى الدامور وبدأ الحديث مع «يارون» و«كهلاني» حول الاستمرار شمالاً باتجاه بيروت وفجأة وللمرة الأولى وقف ايلي غبيع وقال: حتى هنا أنا موافق على الحرب! ولكن كاتس أجابه، ما معنى ذلك؟! أنت جندي، تتلقى الأوامر.

لو علمت الحكومة بالذي حدث في تلك الفترة بين الضباط لكانت بالطبع نظرت إلى تقرير شارون حول الأمر بدخول بيروت نظرة أخرى... فقد بدأ الشك يساور بعض الوزراء بالنسبة لأهداف الحرب وانشغل الجميع بالـ ٤٠ كم التي صادقت عليها الحكومة. وطلب «لبرمان» بسخرية من شارون ان يقول لهم ما يطلبه بعد غد حتى يستطيع أن يدافع عن المطالب التي يطلب المصادقة عليها غداً!

لم تعرف الحكومة انه وبعد إنزال القوات في ٧ حزيران على الأولي كانت قد بدأت بالتقدم إلى الشمال حتى الدامور والتمركز في الجبال المتاخمة لها.

وافقت الحكومة على تقدم القوات باتجاه «عاليه» ولكن ذلك زاد من قلق الوزراء وبدأوا بمضايقة شارون. غضب شارون وشك بوجود ضباط في الجبهة يهتمون بابلاغ الحكومة بكل ما يدور. بدأ سلاح الطيران بتفريق مناشير فوق بيروت تدعو الوحدات السورية إلى مغادرة المدينة وبدأت السفارات الأجنبية بترحيل مواطنيها من بيروت.

بالرغم من تصريح شارون عدم رغبته بالمبادرة في الارتباط مع القوات الكتائبية في جلستي الحكومة (١٠ و ١١ حزيران) فقد خرج بعد ظهر الجمعة ١١ حزيران إلى لقاء بشير الجميل لتلخيص تفاصيل الارتباط بين جيش الدفاع وقوات الكتائب.

دخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ مع السوريين ولم يشمل ذلك الحرب مع المخربين، واتفق ان تدخل القوات الإسرائيلية شرقي بيروت عن طريق قبر شمون وليس عاليه (بسبب تركيز قوات سورية فيها) ظهـر من لقاء بشير وشارون عدم رغبة الكتائب الالتزام بأية عملية عسكرية ضد السوريين أو المنظمة، ولوحظت محاولة بشير ايجاد الحجج للتملص من العمليات العسكرية.

ترك شارون ومرافقاه جونيه بعد ان تم الاتفاق على لقاء القوات الكتائبية شرقي بيروت بالقربْ من «بسابا» في الغد يوم السبت (نفذ ذلك يوم الأحد) وطلب شارون أن يسجل ذلك ويتم التوقيع عليه. كان الشرر يتطاير من عيني شارون وقال حينها: انهم جبناء،

ويتصرفون كالعرب!

تم تحضير الخطة لدخول بيروت، ولن تجد في الوثائق الحكومية ما يشير مباشرة إلى ذلك، إذ تجد هناك بدلاً من «دخول بيروت» الارتباط مع الكتائب، ومكان اللقاء بعبدا، وكأن بعبدا لا تمت بصلة للعاصمة اللبنانية.

بعد ذلك كان تسيبوري دائماً يسأل، متى قررتم دخول بيروت؟! أين سجلتم هذا القرار، فكان شارون يجيب بغضب بينما بيغن وبقية الوزراء لا يفقهون...

في اليوم الثاني للحرب ٧ حزيران وكما ذكرنا فقد تمركزت القوات بالقرب من الدامور، وبقيت قوة أخرى في «يوكستا» للمحافظة على منطقة الانزال. تقدمت القوات مشياً على الأقدام على الهضاب المحاذية للشارع الرئيسي وتقدمت القوات المدرعة من الخلف لمنع المخربين المفاجأة.

٨ حزيران ـ لم تتقدم القوات واكتفت بالسيطرة على جسر الدامور وانتظرت التعزيزات التي كان من المقرر أن تصلها عن طريق اليابسة.

يوم الاربعاء ٩ حزيران ـ سقطت الدامور بمساعدة سلاح الطيران. ومع سقوط الدامور تقرر أن تقوم القوات الإسرائيلية بالتقدم باتجاه بيروت عبر المنطقة الجبلية التي تمر بين القرى الدرزية (باتجاه كفرمتى) (بعد ان كان القرار في السابق عدم استغلال هذه المنطقة حتى لا تكون هناك معارك بين القرى الدرزية). تبين بالتالي أن هذا الطريق كان أفضل، ووصلت القوات (المظليون) إلى شرقي بيروت واستطاعت مفاجأة الكثير من الخلايا التي انتظرت طابور المدرعات، وبالقرب من كفرمتى تم تفريق «كتيبة بدر» الأردنية الفلسطينية (٥٠ قتيلاً).

١١ حزيران: (دخول وقف اطلاق النار) دارت المعركة الأولى مع السرية ٨٥ التي تمركزت للدفاع جنوبي بيروت (أعلن الكتائب أنها انسحبت من بيروت)، واستمر هذا القتال المرير يومين وتوسع على نطاقين: القوات المتقدمة عبر الجبال الشرقية، والقوات المدرعة القادمة على طريق الشاطىء. استطاعت قوات المظليين السيطرة على مفترق «قبر شمون» الهام.

أما القوات المدرعة على الشاطىء فقد أعيق تقدمها، وطلب قائد سرية غولاني أن تتقدم قواته إلى الطريق الرئيسي عبر الدوحة وكفرسيل (وصل إلى المنطقة يكوتيئيل آدام نائب رئيس الأركان، الذي كان له شعور خاص تجاه غولاني ووعد القائد مساعدته على تنفيذ خطته ولم يعد آدام لأنه في نفس اليوم قتل مع هايم سيلع في الدوحة من كمين في أحد البيوت)، وفعلاً فقد صودقت الخطة وبدأت قوات غولاني بالتحرك يتبعها كتيبة مدرعة،

ودارت معركة وصفها قائد الأركان أنها إحدى المعارك القاسية التي دارت خلال الحرب. فقد علم السوريون انه لو استطاعت القوات الإسرائيلية احتلال «كفرسيل» فستكون الطريق مفتوحة أمامها إلى بيروت.

المعركة حول الشارعين الرئيسيين اللذين لا يزيد طولها على كم واحد دامت ١٩ ساعة وانتهى فقط يوم الأحد قبل الظهر، وبذلك تمت السيطرة على المنطقة المطلة على المطار، (طلب سليم الحص إذن من القوات الإسرائيلية مغادرة الدوحة إلى بيروت فوافقت على ذلك).

تقدمت قوات المظليين بعد أن سقطت قبر شمون نحو شملان وفي الساعة الرابعة اقتربت القوات إلى شملان وعلم القائد انه لو تمت السيطرة عليه فان الطريق من عين عنوب المتاخمة للقرية المسيحية «بسابا» قريبة. استطاعت القوات احتلال شملان، ولكن الساعة المتأخرة ١,٣٠ والتعب لم يمنعا التقدم، تقدم القوات باتجاه عين عنوب ومفاجأة السوريين الذين ظنوا ان القوات الإسرائيلية ستتجه إلى عاليه. وسقطت عين عنوب واعلن مختارها أن الجيش السوري ترك القرية هرباً ولم تطلق طلقة واحدة في هذه القرية.

في الواحدة يوم الأحد ١٣ حزيران تم الاتصال بالقوات الكتائبية بالقرب من قرية «بسابا» المسيحية واعلن «يئير» لدروري انه اتصل بالقوات الكتائبية ونال بعض القبلات، فقد استقبل «فادي فرام» القوات الإسرائيلية وثم اتى بشير وبيار الجميل، ومن الجهة الاسرائيلية وصل «رفول» دروري ومن هناك سافروا إلى جونيه.

تابعت القوات الإسرائيلية إلى بعبدا إلى منطقة وزارة الدفاع وهنا ولأول مرة استطاعت القوات الإسرائيلية حسم طريق بيروت دمشق.

وصل جيش الدفاع الإسرائيلي إلى قلب لبنان ومنذ هذه اللحظة أخذت الحرب طابعاً جديداً وفتحت صفحة جديدة للبقية...

الفصل الحادي عشر

الحصار

دخلت القوات الإسرائيلية شرطة بعبدا، ولم يؤمن عرفات بذلك لأنه تأكد ان القوات الإسرائيلية توقفت في «كفارسيل» وذلك حسب تقارير قواته، وحصر خططه الدفاعية فقط في حالة هجوم كتائبي عليه ولم يتصور ان إسرائيل استطاعت حصره بهذا الشكل.

١٣ حزيران وقف عرفات مرتبكاً، وبدأ عدد من الضباط الفلسطينيين التخطيط للهرب من بيروت واحرقت ملفات هامة من ارشيف المنظمة. حاول عرفات ان يعرف ماذا سيكون رد فعل السرية ٨٥ السورية إذا هاجمت إسرائيل بيروت ولكنه لم يتلق اجابة على ذلك، وطلب بشكل سري من «جوني عبده» رئيس الاستخبارات اللبنانية ان يفحص إذا كانت إسرائيل موافقة على خروج المخربين وبأي طريق؟

في مبنى الشرطة في بعبدا طلب «رفيق حسن» من شارون ان يجلس مكانه ولكنه قال للصحفيين ان شارون طرده من المكتب، وطلب الاتصال بسركيس.

سافر شارون إلى جونيه والتقى ببشير ووبخه بشكل غير مباشر وقال له «تصورت ان يكون هناك طابور من المواطنين أمام مكاتب التجنيد وبدلاً من ذلك أرى طوابير لا نهاية لها أمام دور السينما والملاهي والمقاهي!. عرف بشير أنه سيوبخ بعد ان رفض الاشتراك بالعمليات العسكرية وانه من الآن وصاعداً عليه الرضوخ للمطالب الإسرائيلية وبدأ بتنفيذ ما طلب منه شارون.

طلب بشير أن تتمركز القوات الإسرائيلية على الهضاب حول بيروت حتى يستطيع ان يقول للرأي العام ان إسرائيل لم تدخل بيروت ولكن القوات الإسرائيلية ملأت شوارع بيروت الشرقية وسط استقبال شعبي كبير.

اعلن «حبش» ان بيروت الغربية ستكون «ستالينغراد الثانية» ورمز بذلك إلى عدم رغبة المنظمة التنازل بسهولة وبدأ رجال المنظمة بالتحصينات وزرع الألغام وانقلبت احاطة بيروت إلى حصار مستمر.

رأت إسرائيل بالاتصال مع الكتائب النهاية وليست البداية، ومع مرور الوقت

اصبحت قضية حصار بيروت مجادلة علنية مثيرة ولم يوافق شارون على الخطة الموضوعة لدخول بيروت لأن الساعة لم تحن حتى الآن.

أثارت قضية الحصار زعماء المعارضة في إسرائيل وبدأ الوفاق الوطني يختل. ونتج من ذلك نقاش مقصود مع مرور أيام الحصار وتساءل الوزراء في الحكومة لماذا دخلت القوات الإسرائيلية بيروت دون أن تكون مصادقة لذلك؟! ثار «شارون» انكم بأسئلتكم هذه تشكون بثقتي وبالأمانة الموجودة بيني وبين جنودي وهذا خطير!

في ١٤ حزيران طلب شارون من ضباطه تحضير خطة للعناية بالمخربين وقال أنه لا يستطيع ترك بيروت بأي شكل.

لم يندم رئيس الحكومة على الاتصال مع الكتائب، وترك شارون وحده يتلقى الانتقادات، وحاول المقربون إليه الرمز الى انه لم يعلم بالدخول إلى بيروت. وحاول بيغن اقناع الأميركان بدعم خطواته في بيروت إلا ان هيغ لم يقبل الادعاءات الإسرائيلية وسأل بيغن إذا كانت اتفاقية وقف النار مخلوقاً حياً يتنقل من مكان إلى آخر. وفي ١٤ حزيران وعد «بيغن» «حبيب» انه حين يصل بيروت سيقوم جنود جيش الدفاع في بيروت بتحيته تحية عسكرية، ولكن كيف؟! سأل حبيب فأنتم تدعون انه لا يوجد أي جندي إسرائيلي في بيروت!

في جلسة الحكومة في ١٥ حزيران تقرر التوجه إلى بشير الجميل والطلب منه تنفيذ الوعود والاشتراك فعلياً في احتلال بيروت الغربية، وقبل خروج بيغن إلى واشنطن اسند المهمة إلى شارون واعطاه الحرية في التصرف. وذكر ان المهمة هي مهمة المسيحيين وإسرائيل ليست على استعداد لسفك دماء جنودها، واتخذت الحكومة أيضاً قراراً بأن تقوم إسرائيل بمساندة الكتائب بالمدفعية فقط، ووضح رفول أنه لا توجد نية لتطهير بيروت من المخربين.

طلب بشير لرجاله في مقر قيادته عدم التحمس للاشتراك بالقتال بجانب جيش الدفاع الإسرائيلي ولكن يجب استغلال الوضع لصالح لبنان، بدون «تصرفات بربرية واحتدام جميع الفئات السياسية حتى المعادية منها، التصرف كجيش وليس كحزب أما الشعب الفلسطيني فسنجد له مكاناً آخر خارج لبنان» أضاف ولم يفصح. على أثر ذلك دار نقاش حاد بين قيادة الكتائب بالنسبة للمبادرة: «جان نادر» وانطوان نجم تكلما عن «لحظة تاريخية» من الواجب استغلالها، أما «اطبين ساكر» فقد طالب بارسال قوات منتخبة إلى الشمال في منطقة الأرز حتى يتم جر الجيش الإسرائيلي إلى هذه المناطق حتى تكون العملية كاملة. ثم طالب جوزف هاشم وصديقه جورج عدوان بدخول جبال الشوف الدرزية وبالأخص على قرى لم

يصلها جيش الدفاع حتى الآن.

١٩ حزيران – التقى شارون ببشير وجوني عبده وابدى استعداده للمساعدة ولكنه سألهم ماذا سيعطون بالمقابل؟!

اقترح بشير ان تقوم قوات الكتائب بمهاجمة زغرتا واهدن على الهضاب المتاخمة لطرابلس، إلا أن شارون رفض ذلك لأن ذلك سيجبر جيش الدفاع على التحرك شمالاً والهدف الآن هو بيروت وقال لبشير – بدونكم لا نستطيع دخول بيروت. رفض بشير الالتزام ولكنه أرسل سرية إلى احدى القرى الدرزية وضربها بالمدافع لمدة ٤٨ ساعة بقصد احتلالها حتى قدمت قوة عسكرية إسرائيلية وقامت بالمهمة (لم يسمع شارون بهذه المعركة).

بعد مرور ٤ أيام دعي بشير ومرافقاه إلى فندق هيلتون في القدس وهناك طلب منه الاشتراك في مهاجمة بيروت ولكن المهم أن يبدأوا هم بالهجوم ووعد بأن جيش الدفاع سيتحمل القسم الكبير من هذه المعركة وسينضم للحرب خلال ساعات من بدء الهجوم.

بالرغم من تراجع بيغن مساعدة الكتائب بالمدفعية فقط، وعد بشير بانزال جيش الدفاع إلى المعركة، تابع بشير معارضته المبدئية وتملص بحجة «مستقبل لبنان الموحد» وماذا سيكون موقفه عندما تنسحب إسرائيل وهل ستكون إسرائيل كفيلة له ولأمنه؟!.

لم يسكت زعماء الكتائب وتابعوا التمسك بادعائهم «إن مصلحة إسرائيل تكمن في عدم تدخلنا»، وافقت إسرائيل في النهاية على ترك بشير وعدم ظهوره كحليف لإسرائيل وحافظت على زياراته إلى «الكوليج» بالسر وكان يعدهم دائماً بعد الانتخابات اتركوا بيروت لي.

مع ذلك لاحظ بشير خيبة أمل الإسرائيليين منه وخشي أن تتوقف ثقة إسرائيل به. وفي ١٦ حزيران أعطى أوامره لإحتلال بناية كلية العلوم في الحدث ونجح في ذلك بعد ان قتل ضابط سريته و ١٥ مخرباً.

بتشجيع من حبيب استطاع سركيس أن يركب «شبكة للانقاذ الوطني» تتألف من أشخاص ومن جميع الطوائف والأحزاب السياسية حتى يتم وضع صيغة مشتركة لاتفاق موحد من ابعاد المنظمة من بيروت، وبناء حكومة جديدة يكون أساسها الوفاق الوطني.

بموافقة إسرائيل احضر وليد جنبلاط الزعيم اليساري من بيته بسيارة مدرعة تابعة للسفارة الأميركية، والتقى ببشير الجميل، في هذه المقابلة قال جنبلاط لبشير انه من الممكن ان تكون انت المستفيد الوحيد من دخول جيش الدفاع الإسرائيلي ولكن الوضع الراهن لا يلائم لاستغلاله للحصول على انجازات سياسية. ورد بشير بقوله – من الممكن ان استفيد

من ذلك وأقوم بانجازات سياسية ولكني في النهاية سأتلقى الضربات نتيجة الهجوم الإسرائيلي، ولم أنس تجربتي مع سورية حين ظن الجميع انها دخلت لمساعدتنا وبالتالي انقلبت ضدنا واستفدتم انتم...

انتظر الجميع جلسة «بيغن ريغن» في البيت الأبيض. توجه حبيب بواسطة الوزان إلى عرفات وطلب منه اخلاء المدينة، لكن عرفات أراد المفاوضة مع حبيب وجهاً لوجه وبذلك يحصل على نصر سياسي بدل الهزيمة العسكرية لأن الذي سيعمل على المفاوضة سيضطر إلى مراجعة القضية الفلسطينية منذ ١٩٤٨. واختار عرفات ان يبقى مطوقاً في بيروت، ومما زاد في ثقته تصريحات بيغن المهدئة والتي صدرت في واشنطن واظهرت مدى الصعوبات التي تواجه مهاجمة بيروت الغربية.

طلب بيغن من فندق «شرتون» الكف عن قصف بيروت إلا أن شارون اخبره أن جنوده في خطر فوافق بيغن على اجتماع الحكومة لتقرر وسيكون القرار مقبولاً عليه حتى في غيابه. تم لقاء بيغن وريغن، وطلب ريغن نسيان الماضي والعمل على اخراج جميع القوات الأجنبية من لبنان واقامة حكومة ثابتة ومستقرة، لوحظ اقتراب أميركا من بشير الجميل وأملها (كما تأمل إسرائيل) أنه سيخلص لبنان ويعيد إليه الاستقرار والطمأنينة. أما نتيجة الاجتماع فقد شجعت شارون على تقوية الحصار على بيروت الغربية.

اعتقد وزير الدفاع الإسرائيلي أن جيش الدفاع الإسرائيلي يجب أن يبعد السوريين عن بيروت ويزيل الخطر عن القوات الإسرائيلية المحاصرة لبيروت، ولكن اتفاقية وقف اطلاق النار كانت رادعاً لشارون ولكن ذلك لم يمنع شارون من اعطاء الأوامر لضباطه بالزحف من هضبة إلى أخرى من جسر القاضي شمالاً وطالب بحقه كي لا تظن سورية أن ذلك تهديد لها.

انكشف أمر الزحف إلى اعضاء الحكومة وجابه معارضة شديدة من قبل «دافيد ليفي» ومردخاي تسيبوري، خاصة وان الحكومة لم تبلغ بذلك، وذكر شارون دفاعاً عن موقفه أن الوضع في الميدان اجبره على القيام بهذه العمليات دون الانتظار لمصادقة الحكومة.

منذ عمليات الزحف بدأ الشك يساور أعضاء الحكومة في أقوال شارون وتفسيراته أمام الحكومة، وعلى ذلك علق شارون: «في الصباح احارب في الجبهة وفي المساء أعود إلى القدس لاحارب الحكومة» حتى ان الشك بدأ يساور الجنود في الجبهة فقد حاول الضباط اقناع الجنود على متابعة المعركة لتوسيع رقعة السيطرة على طريق بيروت دمشق وبدأوا يتساءلون: لماذا تخرق إسرائيل وقف اطلاق النار؟ ولماذا تحاول إسرائيل السيطرة على طريق

بيروت دمشق وهل هذه نهاية المعركة! وفي ٢٣ حزيران تحول الزحف إلى هجوم مركز اشتركت فيه طائرات إسرائيلية ومشاة من قوات « غولاني » وكان القصد القضاء على قوات الكوماندو التي تعيق تقدم القوات الإسرائيلية.

في ٢٤ حزيران وفي السادسة مساء وعند عودة بيغن من واشنطن صادقت الحكومة الإسرائيلية على قرار المهاجمة النهائية على طريق بيروت دمشق وتحركت القوات من بعبدا باتجاه الجمهور وغربي عاليه، واستعملت القوات الإسرائيلية مكبرات الصوت وطلبت من الجيش السوري الهرب وترك مواقعه، وفعلاً فقد بدأت القوات السورية بالتراجع والتقت خلال تراجعها بقوات إسرائيلية التي بدأت بالتقدم من بحمدون باتجاه عاليه ولكن الغريب ان اللقاء كان دون اطلاق النار أو أي اصطدام، وخلال المعركة فقدت قوات المظلات ١٠ من محاربيها وجرح ٣٠.

وخلال زيارة نائب قائد الأركان « موشيه ليفي » للقوات المهاجمة توجهت إليه القيادات باسئلة كثيرة منها: هل طريق بيروت دمشق هو سلامة الجليل؟!. من هو العدو؟! ولماذا يذكر الناطق بلسان الجيش أن السوريين هم الذين بدأوا باطلاق النار؟ آمن الجميع ان عمليات الزحف أدت إلى خسائر فادحة بالنسبة للجيش.

في ٢٥ حزيران وعند اعلان وقف اطلاق النار استقال « هيغ » الذي كان سبباً في نجاح زيارة بيغن وقال شمير: ان هذا اليوم هو « الجمعة الحزينة » لأن هيغ تفهم خطوات إسرائيل وكان وسيطها أمام ريغن وعلى أثر استقالته اعلن الحكم الأميركي انه لن يطيق أي خرق لأتفاقية وقف اطلاق النار بعد اليوم..

ادعى شارون ان عرفات يحاول كسب الوقت وآمن ان المخربين سيبقون في بيروت طالما لم يضغط عليهم عسكرياً، وطالب الحكومة ان تصادق على دخول القوات الإسرائيلية إلى الأحياء الشيعية بعد ان وعد « نبيه بري » وغيره من القواد الشيعيين انه لن تكون هناك أي معارضة. ولكن الحكومة خشيت من هذه العملية لأن ذلك سيؤدي إلى معارك في أماكن مبنية، وحرب استنزاف ولا يمكن معرفة ردود فعل الحكم الأميركي على هذه العملية.

تابع شارون خلال جلسات الحكومة ولجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست أقواله ان إسرائيل لن تدخل بيروت الغربية وان من سيقوم بذلك سيكون بشير ورجاله، وأما بيغن فقد كان يقول « ان المسيحيين لهم الآن شأن بتحرير عاصمتهم ولنا بالقضاء على المخربين ».

أعطت الحكومة الإسرائيلية الفرصة لحبيب، ومحاولته لايجاد اتفاقية بعد أن وعد أن ذلك سيتم خلال ١٠ أيام. وبالرغم من تهديده لعرفات بأن جيش الدفاع سيدخل بيروت

كان عرفات يجيب « لن يتجرأ على ذلك ». كذلك رفض عرفات اقتراحات شارون بالخضوع، في ٢٧ حزيران اقترحت حكومة إسرائيل على المنظمة الانسحاب دون مقاومة ولكن دون جدوى.

حتى الآن آمن شارون ان الدول العربية لن تتركه وحاول كسب الوقت خلال محادثاته مع حبيب. فمن جهة ظهر كأنه قرر ترك بيروت حتى ينال ثقة القادة المسلمين في بيروت ومن جهة أخرى وضع شروط صعبة لتنفيذ ذلك.

عارض الكثير من قواد المنظمة الانسحاب من بيروت وآمنوا انهم يستطيعون الصمود لمدة ٦ أشهر وكان على رأس المعارضين أبو موسى وخالد اليمن، وكان عرفات يشجع رجاله بقوله « اننا لوحدنا نشغل ١٠٠ ألف جندي إسرائيلي فكيف لو تدخلت الدول العربية ؟! » وطلب منهم عدم الاصغاء للدعايات أو ما يدور خارج بيروت وإنما الاستمرار في تعزيز المواقع وبناء التعزيزات. واتهم سورية بأنها سبب فشل قمة « فاس » ومعارضة « مشروع فهد ». وبذلك أصبحت الهجمة الإسرائيلية متوقعة ومنعت المحادثات بينه وبين واشنطن حين كانوا جميعهم يتحدثون معها! وليد جنبلاط كان أول رجل سياسي يتوجه إلى عرفات لاقناعه بقبول اقتراح حبيب والانسحاب، ثم حاول صائب سلام وبري فعل ذلك وكان رد عرفات -اذا كنتم تعتقدون أن ساعات رحيلي قد حانت، سأرحل غداً »!

بعد ذلك استقال جنبلاط من « لجنة الانقاذ الوطني » لكي لا يكون شريكاً في اخراج المنظمة. أما نبيه بري فقد أعلن انتهاء عهد البندقية الفلسطينية، وحين طلب من صائب سلام بشجب تصرفات جنبلاط أسرع مساعدوه وطالبوه بالتراجع لكي لا تنكسر صورة الوفاق إلى الخارج! منذ اللحظة التي اعلن فيها جنبلاط، بري وسلام عن ضرورة انسحاب المنظمة آمن حبيب ان اشراك السعودية في المحادثات أصبح ممكناً...

في البداية جرى النقاش حول الانسحاب في مرحلتين، الأولى: تركيز المخربين في المخيمات وتسليم اسلحتهم الثقيلة للجيش اللبناني، وفي الوقت نفسه انسحاب القوات الإسرائيلية إلى بعد ١٠ كم من بيروت. وفي المرحلة الثانية اخلاء قوات المنظمة من بيروت وابقاء مكتب للاعلام و ١٠٠ جندي تحت اشراف القوات اللبنانية حتى يتم الانسحاب السوري الإسرائيلي.

لكن هذا الاقتراح لم يدخل حيز التنفيذ بسبب معارضة الكتائب وسركيس، واقتناع شارون بذلك. في ١ تموز قام بشير بزيارة المواقع التي تم تطهيرها من المخربين بعد أن رفض القيام بذلك من على ظهر طائرة هيليكوبتر إسرائيلية لأنه لم يشأ ان يقوم بزيارة بلاده بواسطة

جيش اجنبي. بعد عودته التقى بشير مع داني « روزليو » رئيس لجنة الكنيست لشؤون لبنان ورفض بشير خلال جلسة معه ان يعطيه تفاصيل عن الحسابات التابعة للمنظمة في بنوك بيروت وصيدا خوفاً من النتائج الاقتصادية لذلك، وعاد بشير وذكر ان المنظمة ليست مشكلته وإنما المشكلة هي العالم العربي.

وخلال وجبة الطعام اعتذر بشير وقال انه مدعو للسعودية (الطائف) للاشتراك في مؤتمر ٦ وزراء الخارجية هناك. حاول « نادر » اقناعه بالعدول عن قراره إلا أن بشيراً رأى في هذه الدعوة نهاية المقاطعة بالنسبة للكتائب وخاصة بعد ان رفضت لجنة وزراء الخارجية في تونس اقتراحات الحكومة اللبنانية.

عند عودته من السعودية قال بشير للاسرائيليين « إن السعوديين ضغطوا من أجل انهاء القضية وهم غاضبون من تصرفات عرفات وسيفرحون إذا قمتم باخراجهم بالقوة، سيحتجون، ولكنهم لن يفعلوا أي شيء ».

في ٣ تموز اخبر سفير أميركا في إسرائيل « سام لويس » بيغن ان ريغن وافق على ارسال قوات من « المارينز » للمساعدة في « الاخلاء » وأيضاً قوات فرنسية، وسيكون ذلك على أساس ورقة العمل التي حضرها حبيب والتي تحوي ٩ بنود، إلا ان شارون وكمحي عارضا البند الذي يقضي ببقاء مكتب لتمثيل المنظمة في بيروت ووحدة فلسطينية تحت إشراف لبناني وطالبا بعدم احضار « المارينز » طالما لم تنسحب المنظمة من بيروت.

وخلال المحادثة في « اليرزة » سمعت القذائف فسأل حبيب شارون: هل هذه مدافعك؟ فأجاب شارون ـ كلا، هذه مدافعنا...

طالب حبيب ومن أجل مصلحة المحادثات أن تقوم إسرائيل بتجديد توريد المياه لبيروت الغربية بعد أن أمر شارون بقطعها لزيادة الضغط على المنظمة.

قدم الأمير سعود وعبد الحليم خدام إلى واشنطن لبحث النتائج التي ستعقب الاخلاء وكانا يعلمان ان الاخلاء ينقصه الكثير بعد أن رفضت الجزائر استقبال المخربين، وعدم الموافقة على ارسال مقاتلي المنظمة إلى ليبيا خوفاً من قيام القذافي باستغلالهم لمصالحه وابطال بشير للأذن الذي اعطي لإبقاء مكتب للمنظمة في بيروت واعلان بيغن انه لن يسمح لمقاتلي « فتح » بمغادرة بيروت إلا بأسلحتهم الشخصية (كلاشينكوف).

طالب الأمير السعودي بضمانات أميركية بعدم قيام إسرائيل بمهاجمة الدول العربية التي ستلجأ إليها المنظمة وان تقوم أميركا باعطاء الوعد للفلسطينيين بأنهم سيعودون إلى موطنهم في نطاق اتفاقية لحل المشكلة الفلسطينية نهائياً.

أما خدام فقد طالب أن تقوم إسرائيل بالانسحاب في نفس الوقت الذي تنسحب به المنظمة وكان السؤال الذي وجهه « شولتس » إلى أين ستتجه المنظمة ورجالها ومكاتبها؟!.

كان رد خدام لسؤال « شولتس » بالنسبة للدول التي ستوافق على استيعاب محاربي المنظمة أن سورية لن توافق على نقل المشكلة من لبنان إلى سورية لتبدأ بالتالي التفتيش على من سيساعدها في حل المشكلة.

أعلن ريغن انه سيرسل حبيب إلى بعض العواصم العربية لفحص مدى استعدادها لاستيعاب المخربين، أما بالنسبة لعودة المنظمة للبنان فستكون هذه مشكلة لبنان وحكومته المسؤولة على الدفاع عن حدودها ومنع دخول جيوش أجنبية أرضها.

رفض خدام استيعاب المنظمة في سورية وطالب الأمير سعود بفك الحصار وانسحاب إسرائيل وبقي الحل الوحيد الآن انسحاب المنظمة إلى شمال لبنان حتى يجد حبيب عواصم عربية تكون على استعداد لاستقبال المنظمة.

في ٩ تموز أعلن شارون في مكتبه « يجب أن ندخل بيروت.... وربما مع الكتائب ».

وفي ١١تموز بدأ النقاش الأول بحضور قائد الأركان وقسم من الضباط المهمين بينهم اهرون يريب الذي عين مستشاراً لأمير دروري قائد المنطقة الشمالية، اسرع شارون وأعلن انه لن ينتظر أكثر من ذلك وسيقوم بالهجوم في الاسبوع القادم بعد أن يطرح الأمر أمام الحكومة يوم الأحد. وخلال حديثه لم يذكر « مخيمات لاجئين » إنما حولها إلى « مخيمات مخربين » ربما لكي لا يعير انتباه سامعيه إلى تحدثه عن أحياء آهلة بالسكان، وأضاف ان الجهة الجنوبية من بيروت يجب أن تطهر ويقضى على المنظمة هناك قضاء مبرماً.

ذكر شارون ان بشيراً على استعداد لادخال قوة كبيرة إلى بيروت إلا أن دروري ذكره بأنهم لم يستطيعوا احتلال قرية درزية فكيف تريدهم أن يهاجموا بيروت؟!.

وخلال النقاش ظهرت ٣ مواقف: ١) الاستمرار في الانتظار، ٢) قصف المدينة، ٣) الهجوم. وأكد شارون أهمية تواجد جيش الدفاع في المخيمات حين تتم اجراءات اخلاء المخربين ولذلك ضغط على مهاجمة جنوبي المدينة والوصول إلى الفاكهاني.

وافق بيغن في جلسة الحكومة على اقتراح شارون مهاجمة بيروت بقوتين واحدة من جهة الشاطىء والثانية من كورنيش المزرعة وضرب بيروت بكميات كبيرة من القذائف والنيران قبل الاقتحام.

سميت العملية « ابناء العم ». « انضم إلى « تسيبوري » معارض شارون القديم كل من بورغ، هامر، بن فورات، أوزان، ليفي، اريدور. وقال بورغ لبيغن: ان الحكومة تتألف

من أحزاب ائتلافية. وهي غير مبنية على « افراد » وفشل بيغن احضار الاقتراح للتصويت أمام الحكومة بعد أن أصبحت المعارضة تضم أكثرية الوزراء في الحكومة.

وخلال اجتماع شعبي من أجل مساندة الحكومة في تل ابيب صرح شارون انه على استعداد لاستيعاب المخربين في إسرائيل، فسأله « حبيب » هل أنت جاد في ذلك؟! « طبعاً » أجاب شارون. لم تجد عملية الحصار ولم تلاحظ نتائج، وكان القصف الإسرائيلي المركز يتوقف غالباً حين يطلب ذلك حبيب ويهدد انه سيترك المنطقة ولن يعود ولذلك لا يعتبر القصف وسيلة ضغط ناجعة أما قطع المياه والكهرباء فكان أيضاً حبيب يطلب من مرة لأخرى تجديدها حتى تسهل عملية المفاوضات. وشوهدت « فتيات بالبكيني » يسبحن على شاطىء رأس بيروت بالرغم من القصف على الاحياء الجنوبية على بعد ١ كم جنوباً. واستمرت التنقلات بين شقي المدينة وامتلأت بيروت الغربية بالفواكه الإسرائيلية « تفاح الجليل » وجرائد إسرائيلية عبرية نقلت لهم المناقشات الداخلية في إسرائيل.

عارض « شعي » الحصار وقال ان « ذلك غير مجد » ما دمنا قد قررنا القضاء على المنظمة في لبنان لأن عرفات مستعد للحصار لأن لا خيار أمامه فهو غير مستعد للتوجه إلى دمشق خوفاً من سيطرة سورية عليه وعلى المنظمة ولن يذهب إلى مصر حتى لا يلتزم بقرارات « كامب دافيد ». لذلك طالب « شعي » ان يكون هناك « حسم » للعملية لأن بقاء المنظمة في بيروت يعتبر فشلاً ذريعاً. خلال اجتماع الضباط مع دروري لمناقشة « خطة الهجوم » لغربي بيروت، طالب « ايلي غيبع » ان يقوم درووري باحضار الهيئة السياسية لمناقشة الوضع وتقييمه، وأضاف أن هذه المعركة لا تخص إسرائيل. كان غيبع يسأل نفسه: ماذا أفعل هنا؟! وعارض الاصطدام بالجيش السوري. قرر « غيبع » إضاءة النور الأحمر عندما شعر ان مهاجمة بيروت اصبحت قريبة...

في البداية طالب بالتنازل عن قيادة سريته المدرعة وابقائه قائد دبابة، إلا أن شارون رفض ذلك. ثم طلب الانضمام إلى طاقم طبي ولكن لم يستلم رداً لطلبه. بعد مقابلتين مع رفول لم يستطع قائد الأركان اقناعه بمتابعة مهمته، طالب غيبع لقاء شارون، وفي لقائه مع شارون شرح له موقفه وبمبادرة من شارون أرسل غيبع للقاء بيغن، دام لقاء بيغن وغيبع أقل من نصف ساعة، وخلال ٤٨ ساعة أقيل غيبع من منصبه ومن خدمته في الجيش. ولم يسمح له بتوديع جنوده ورفضوا اعطاءه وظيفة في خدمة الاحتياط.

وفي بيته عندما أزال بزته العسكرية قرأ غيبع رسالة لأحد الضباط جاء فيها: « المشكلة هي انكما تطيران في علو يختلف كلياً، أيضاً أنت وأنا فشلنا في التوضيح له ماذا تفكر أغلبية

الناس، هو لا يفهم ان الذي سيقتله هو ليس المنظمة وإنما الجيش الذي سيفقده بعد بيروت وماذا سيحدث عند اليهود »...

بدأ الجنود في أحياء بيروت الشرقية بالنظر إلى الخلف! وكانت الصور المريعة لأطفال ونساء بيروت.الغربية بعد كل قصف إسرائيلي تثير التساؤلات: هل هذا هو جيش الدفاع الإسرائيلي، أين طهارة السلاح؟!. ومما زاد من حدة النقاش عدم وجود وفاق وطني لهذه الحرب، فالكثيرون من الجنود لم يوافقوا عليها وزادت اسئلتهم، ما الفائدة من طرد المنظمة؟!. وأين وعود شارون؟ ٤٠ كم، والحرب مع سورية...

لاحظ شارون عدم استقبال الجنود له في الجبهة بالشكل الذي اعتاد عليه، وبدأ بتقليص زياراته للوحدات المختلفة على الخطوط الأمامية وبدأ باتهام الصحافة وحزب « العمل » بتحريض الجنود.

ظهر في بيروت التناقض بين مقتضيات الحصار والقيم القتالية التي يتحلى بها جيش الدفاع، فطريقة الحصار قضت بانهاك المخربين بواسطة قصف مستمر والتضييق قدر الإمكان على المدينة وذلك جاء مقابل التنازل على القواعد الاساسية في الدفاع عن المواطنين الابرياء. وعلم الجنود ان التناقض سيزيد عندما يصدر الأمر بالهجوم.

لم تنجح إسرائيل في ابعاد المواطنين عن بيروت الغربية واصبحت عرضة للانتقادات في وسائل الاعلام في جميع انحاء العالم وصور « عرفات » زعيم المضطهدين مقابل « بيغن » الذي سماه « حيوان يدب على رجليه »، أما الصحافيون في بيروت فقد لبسوا « فانيلات » عليها عبارات مختلفة مثل ـ لا تطلقوا النار ـ نحن صحافيون » أو « بيغن وجوقته الشعبية حفلات صوتية وضوئية كل مساء ».

هرب عرفات من دار إلى أخرى كل يوم وأحياناً كان ينتقل مرتين خلال اليوم، وكان يعقد جلسات في ساعات الليل في أماكن سرية. ضغطت إسرائيل على قمة المنظمة التي شعرت بالخطر المحدق. ولكن الحظ كان على يمينها كل مرة حاول بها طيار إسرائيلي قصف القيادة المتواجدين فيها.

في تلك الأيام جلس صحفي لبناني برفقة أبو اياد عندما قرع جرس التلفون وكان على الخط نبيل رملاوي ممثل المنظمة في لندن الذي طلب محادثة أبو اياد، إلا أن أبو اياد طلب من الصحافي ان يخبر رملاوي انه اتصل بمكان خطأ. وشرح سبب ذلك « خوفه من الوكلاء والجواسيس » وتوقع خلال ثوان قصف المكان إذا رد على التلفون.

كتب عرفات في يومياته في ١٧ تموز لدينا معلومات ان العدو يحضر لعمليات عدوانية

خاصة ضد قادة المنظمة في بيروت، ولذلك فهو يحضر قوات كوماندو لهذه المهمة وطلب الحذر.

خلال القصف الجوي لم يصب أي قائد من قواد المنظمة عدا «أبو العباس» الذي اطلقت عليه رشة من رشاش إسرائيلي في فخذه إلا انه نجا.

ياسر عرفات عانى من المر في ظهره بعد أن سقطت عليه خشبة خلال القصف الإسرائيلي إلا ان ذلك لم يمنعه من متابعة مهامه اليومية، أما أبو اياد فقد صرح «لن أخرج إلا وأنا على نقالة».

وصف عرفات القصف الإسرائيلي على بيروت بأنه أكبر بمرتين من القصف على «هيروشيما» واعتقد الكثيرون انه يفتش عن ذريعة للهرب من بيروت ولذلك كان يغالي في وصف القصف الإسرائيلي.

حاول صائب سلام ترتيب لقاء بين بشير الجميل وياسر عرفات إلا أن بشيراً رفض ذلك. أما أمين الجميل فقد كان يلتقي بشكل دائم مع ابو اياد حتى يبين له أنه لا علاقة بين الهجوم والحصار الإسرائيلي والكتائب. خاب أمل المنظمة من الاتحاد السوفياتي وكف عرفات عن زيارة السفير «سولداتوف» بعد أن اقترح عليه رحيل المنظمة على متن سفينة حربية روسية وزيادة على الدول العربية التي لم تحرك ساكناً، ضم عرفات بريجنيف إلى لائحة الاصدقاء الذين لم ينجحوا في الامتحان.

في البداية حاول عرفات اجراء المفاوضات من أجل كسب الوقت إلا أنه وفي منتصف «يوليو» بدأ الوضع يختلف وأصبحت آماله في الصمود ضعيفة ولكنه أصر على الحفاظ على كرامة المنظمة وضمان استمراريتها، وهدد إسرائيل بواسطة حبيب أنه لو حاولت دخول بيروت فإنه سيفجر ٣٠٠ مخزن سلاح وسيجعل الخسارة فادحة للجميع...

أثر الضغط الأميركي على بيغن وامتنع عن مهاجمة المدينة، إلا ان شارون اختار طريقة اخرى لتضييق الحصار على المخربين. فبدأ بالزحل غير الملموس في جنوبي المدينة زيادة على غارات جوية مكثفة. شك شارون بحبيب بأنه يحاول تضليل إسرائيل بالنسبة لخروج المنظمة من بيروت وتقدم المفاوضات، وكانت العلاقات بينهما متوترة. شعر الإسرائيليون أن «دريفر» مساعد حبيب عدو لهم أيضاً، أما ديلون سفير أميركا في بيروت فقد رأوا به لا سامي واضح وكان همه تحرير «ريغان» من التأثير اليهودي حتى يستطيع ردع إسرائيل.

بعد ان هدد «ريغن» إسرائيل حسب طلب حبيب بعدم خرق وقف اطلاق النار قررت الحكومة في «اغسطس» انها مستعدة لوقف اطلاق النار بشرط أن يكون ذلك متبادلاً

وإذا خرقت المنظمة الاتفاق فسيكون الرد الإسرائيلي واسع النطاق.

لكن إسرائيل تابعت حتى ٥ أغسطس «بقضم» الاتفاقية فاحتلت القوات الإسرائيلية حي «السلم»، الأوزاعي، الترمنيال والمطار والمتحف. وهكذا أصبحت القوات الإسرائيلية محاذية للمخيمات جنوبي المدينة ويمكن القول ان برج البراجنة تم تطويقه من ثلاث جهات.

أصدر شارون أوامره بالتقدم دون مساعدة سلاح الطيران ولم تجابه القوات المتقدمة أية مقاومة تذكر، ولكن المدفعية الفلسطينية كانت تستيقظ حين تتوقف القوات عن التقدم وخسرت القوات الإسرائيلية ٢٠ قتيلاً خلال ذلك مما أثار الغضب عند الكثير من الضباط الإسرائيليين الذين ادعوا ان التقدم بدون تغطية جوية يشكل خطراً كبيراً على الجنود.

وأرسل بيغن «ليفهان» رسالة قال فيها: «حرب هدفها القضاء على زعيم الارهابيين في غربي بيروت مثلها كدخول برلين للقضاء على هتلر».

زاد الانشقاق بين إسرائيل والولايات المتحدة بعد أن رفض بيغن الرجوع إلى خط اغسطس وفي المحادثات مع دبلوماسيين أميركان يمثلهم «براون» وعد شارون انه لا ينوي تقسيم المدينة إلى قسمين ولكنه حذر انه يخطط لتقدم القوات إلى الامام... وفهم براون القصة ووعد انه سيبلغ واشنطن على التقدم الإسرائيلي.

سمعت قيادة المنظمة من المواطنين القادمين من بيروت الشرقية ان إسرائيل تدرب قواتها في كفرسيل استعداداً لخوض معركة في اماكن مبنية ومأهولة بالسكان، ولم تحافظ إسرائيل على السرية وادخلت قيادة الكتائب في سر الامور ولكن العملية تأجلت أكثر من مرة بعد ان كانت القوات مستعدة على مجنزراتها وآلياتها للهجوم.

لم يدر عرفات ماذا يدور في الجانب الإسرائيلي، فبعد ان وعد قائد الأركان ان الهجوم سيشمل قوات نظامية فقط. بدأت في ٤ اغسطس (على أثر محادثة شارون وبراون) عمليات التجنيد لسرية المظليين الاحتياطية، ولكن هذه العمليات واجهت صعوبات كبيرة خصوصاً معارضة الجنود القيام بمهاجمة بيروت وتم التجنيد فقط في ٦ أغسطس وبعد النقاش مع قائد الأركان أرسلوا إلى بيوتهم للراحة استعداداً للعملية. اتهم شارون انه وبسبب الخلافات السياسية لا يستطيع تجنيد سرية احتياط مما أثار الجنود ومطالبتهم اياه بالرجوع في اقواله. لم يخبر شارون رئيس حكومته بيغن حول عملية التجنيد.

خلال عملية التجنيد عاد سلاح الجو وقصف المدينة (٩ أغسطس) واستمر ذلك حتى ١٢ أغسطس (الخميس الأسود) وكان الهدف من ذلك التمهيد لدخول بيروت واجبار عرفات على التراجع عن شروطه لإخلاء بيروت.

طلب شارون القصف بقذائف صغيرة. ولكن ذلك زاد من القتلى والمصابين في صفوف المواطنين فقامت زوجة الوزان بالإضراب عن الطعام وبدأت الزعامة الإسلامية بنقل التقارير المريعة للسفارة الأميركية حول ما يحدث من جراء القصف الإسرائيلي مطالبة إياها المساعدة ومد يد العون.

تفاقم وضع شارون في الحكومة على أثر القصف وقطع إمدادات المياه عن السكان في بيروت الغربية إلا أن بيغن وقف بجانب شارون. أمر شارون بارسال قوات إلى جونيه لمنع الأميركان من انزال قوات دولية فرنسية قبل إخلاء عرفات وقال انها حيلة من قبل حبيب، وعندما حاولت طائرة الهيليكوبتر الأميركية الهبوط بدأت سيارات «الجيب» الإسرائيلية بالسير على مدرج المطار فاغضب ذلك «دريفر» الذي توجه في الحال إلى الضابط الإسرائيلي المرتبك وقال له: «انك تثير المشاكل وما تفعله سيؤدي إلى فضيحة كبرى لأن الطائرة التي تمنعها هي طائرة حبيب». وبعد ساعات اخرج شارون قواته من جونيه، ولكن الوحدات الإسرائيلية استمرت في التواجد على طول الشارع الرئيسي حتى «جبيل» في الشمال.

اعتبرت دمشق المفتاح لحل مشكلة المنظمة في بيروت بعد أن رفضت في الماضي هي ومصر استقبال المحاربين الفلسطينيين بعد الاخلاء. تابعت دمشق تحضيرات إسرائيل وتوجهت إلى حبيب وابدت تخوفها من هجوم إسرائيلي على قواتها في البقاع، حاول حبيب استغلال المخاوف السورية لتغيير موقفها تجاه الاخلاء. توجه خدام إلى السفير الروسي وطلب منه تفسير موقف موسكو في حالة هجوم إسرائيلي على سورية، ووعده السفير الرد على ذلك خلال ١٥ ساعة، اتصل خدام بواسطة السفارة الأميركية بحبيب المتواجد في القدس واخبره ان الأسد غير رأيه وانه مستعد لاستقبال ٤٠٠٠ محارب فلسطيني لم يجد لهم مأوى حتى الآن.

في ١٢ أغسطس أعطى شارون أوامره بالقصف، وفي جلسة الحكومة وجد نفسه وحيداً لأنه لم يستشر بيغن على استمرار القصف وثار اعضاء الحكومة ضد شارون بما فيهم بيغن الذي رفع صوته أمام شارون ولأول مرة حين طلب منه التكلم بصوت منخفض لكي يكون واضحاً من يدير جلسة الحكومة. اتخذت الحكومة قراراً بعدم التقدم باتجاه جنوب بيروت كما اقترح شارون وايتان، كما لخص بيغن انه لن تكون هناك عمليات قصف جوية، بحرية، مدفعية دون استشارته وموافقته.

في الليلة ما بين ١٢-١٣ أغسطس وبعد تفتيش مضن عثر عرفات على حبيب وتكلم معه في التلفون، وكان الموضوع موافقته على الانسحاب من بيروت!

استطاعت واشنطن اقناع تونس باستقبال المحاربين الفلسطينيين واعترف أبو موسى ان

قصف ١٢ أغسطس كان القشة التي قصمت ظهر الجمل وعرفت قيادة المنظمة ان الانتظار للدول العربية والاصدقاء «غير مجد».

انسحب جيش الدفاع من ميناء بيروت وطلب عرفات من رجاله حلق ذقونهم ولبس البزات العسكرية النظيفة والمكوية كي يظهروا بمظهر لائق وسدد ديون المنظمة نقداً لجميع المستحقين.

وفي يوم السبت ٢١ أغسطس الساعة الثالثة بعد الظهر تم اخلاء الدفعة الأولى من المخربين على متن السفينة اليونانية «سول غيورغوس».

احتفل وزير الدفاع مع حبيب بهذه المناسبة ولكن ذلك لم يمنع صداماً آخر بينهما خلال عملية «الإخلاء» عندما وصلت القوات الفلسطينية إلى الميناء وحاولت ادخال سيارات «الجيب» التابعة لها. أمر شارون بوقف عملية الاخلاء حتى يتم انزال السيارات من السفينة، وتأزمت الأمور حين اعطى «البنتاغون» أمراً لسفينتي حرب أميركيتين بدخول الميناء ومرافقة السفينة اليونانية، ومما زاد في التوتر التهديد الأميركي بإطلاق النار على الإسرائيليين إذا حاولوا معارضة السفينة الموجودة تحت حمايتهم.

تنازل بيغن وسمح للسفينة بالاقلاع. وهكذا تم خلال ١٢ يوماً اخلاء ١٤,٣٩٨ محارب فلسطيني وسوري، ٨١٤٤ عن طريق البحر و ٦٢٥٤ بينهم السرية السورية وجيش تحرير فلسطين عن طريق بيروت دمشق.

خلال الانسحاب وقفت الجماهير المسيحية جانب الطريق وودعوا القافلة بالشتم وعندما وصلت القافلة إلى القرى الدرزية استقبلت بالهتافات والترحيب ورد المحاربون الفلسطينيون بإشارات ٧.

أما في الدول العربية فقد استقبلت المنظمة وأرسل رجالها إلى مخيمات اعدت خصيصاً لهم، وهكذا خسرت المنظمة أحد أقوى مراكزها ولكن خلال إخلائهم يلاحظ على المحاربين الفلسطينيين اليأس والانهيار وطالب بعض الإسرائيليين «شارون» بأن يقوم بتصريحات جديدة حول القضية الفلسطينية واعطاء فرصة ملائمة لهؤلاء الذين اختاروا الحلول السلمية والسياسية ولكن هذه المطالب رفضت. وبالرغم من ٦٠,٠٠٠ قذيفة على بيروت لم تدفن المنظمة...

الفصل الثاني عشر

المستنقع

آمن بشير أنه بدون مساندة إسرائيلية هادئة سيكون من الصعب عليه تجنيد أكثرية ثلثي البرلمان لانتخابه رئيساً للجمهورية حسب الدستور اللبناني فقد كان بحاجة لإسرائيل لكي تقنع الاعضاء الشيعة من الجنوب على انتخابه. كان بشير متفائلاً أمام الإسرائيليين ولكن الواقع كان يختلف، فقد جابه صعوبات جمة خلال عملية الاقناع التي سبقت الانتخابات وكانت مشكلته الكبيرة مقاطعة الزعامة الإسلامية في بيروت الغربية له واعضاء البرلمان في طرابلس وقسم من الاعضاء المسيحيين الموالين لسليمان فرنجية، فقد وعد هؤلاء بأنهم لن يشتركوا في جلسة الانتخاب تحت ظل المدافع الإسرائيلية.

كميل شمعون الذي يسيطر على ٦ اعضاء لم يعلن تأييده علناً وحاول مقربوه يائسين اقناعه من أجل انتخابه رئيساً للجمهورية لأنه الماروني الوحيد الذي ينال الدعم الاسلامي وتوحيد لبنان ثانية.

زيادة على ذلك فقد حاولت بعض الفئات المارونية العمل من أجل انتخاب « سعيد عقل » إلا ان محاولته مقابلة « بيغن » لم تنجح. حاول « جان نادر » اقناع بشير بالانتظار سنتين أو ثلاثة حتى لا يجد بشير نفسه مجبراً على ايفاء دينه لإسرائيل وخلق مشاكل داخلية جديدة، أما « انطوان نجم » فقد حث بشير على أخذ السلطة بالقوة والغاء الانتخابات.

وصلت إسرائيل إلى النتيجة انه لا مكان لخلق المشاكل مع بشير على الرئاسة اللبنانية خصوصاً وأنه وعد على متابعة العلاقة المتينة والعمل من أجل السلام بين إسرائيل ولبنان.

حاولت إسرائيل اقناع شمعون اعلان دعمه لبشير وتقول الدعايات ان بشيراً ورجاله بقيادة البستاني، دفعوا مقابل الأصوات الناقصة لانتخابه حوالى نصف مليون دولار نقداً.

لكن الدعم الإسرائيلي لم يظهر على بشير فقد كانت تصرفاته أحياناً مبالغة لدرجة العداوة لإسرائيل. وكان يستغل عدم مهاجمته لبيروت حين وصلت القوات الإسرائيلية للدامور لإقناع المسلمين انه لا دخل له في العملية الإسرائيلية، أم أمام « هاني الحسن » ممثل المنظمة فقد كان يصرح أنه لن يوقع على اتفاقية سلام مع إسرائيل.

وكان واضحاً نه في حالة فشل بشير في الانتخابات القانونية فستقوم قيادة الكتائب

بجعل سركيس يوقع على وثيقة يعين بموجبها بشير الجميل رئيساً للبنان، وعندها. وحسب الدستور سيستلم بشير جميع الصلاحيات التي يتمتع بها الرئيس دون ان يتمتع باللقب (كل ذلك بشرط أن يوقع سركيس قبل ان تنتهي مدة انتخابه).

في ٢٣ أغسطس انتخب بشير بأغلبية ٥٧ صوتاً من بين ٦٢ نائباً وصلوا إلى البرلمان تحت حراسة كتائبية شديدة وواحد على الأقل طلب من مرافقيه الكتائبيين وضع مسدس في ظهره لكي يظهر أنه لم يأت عن طيب خاطر، وعند اعلان النتائج ثارت الفوضى في القرى والمدن المسيحية وبدأت الاحتفالات واطلاق النيران، حتى ان رجال الموساد اطلقوا نيرانهم احتفالاً لاعتقادهم انهم وصلوا إلى النهاية.

لكن المفاجأة كانت حين وصل إلى « بكفيا » ممثل إسرائيلي للقاء بشير فقد قال بشير: « على الصعيد الشخصي سأكون دائماً معكم، ولكن على الصعيد السياسي فلن أزيح عن « خط أبي ».

وهكذا لم تتحقق نبوءة شارون من كانون ثان ١٩٨٢ حين قال ان « بشير سيستقل عن أبيه ».

في نفس الفترة سافر جوني عبده وجان عبيد إلى مراكش لإشراك بشير في القمة العربية في « فاس » إلا ان عرفات رفض حضور الاجتماع في حالة قدوم بشير إلى فاس، أما عبد الحليم خدام فقد أوضح ان دمشق لا تعترف بقانونية انتخاب بشير رئيساً للجمهورية وان الأسد لم يلتزم باخراج قواته من لبنان ودار نقاش حاد بين أبو خطار « الممثل اللبناني » وعبد الحليم خدام حول التواجد الإسرائيلي في لبنان. فقال أبو خطار: نحن نقول لا لسورية ولا لإسرائيل. أما خدام فقد أبدى استعداده للركوع أمام كل حكومة لبنانية يكون بامكانها اخراج الجيش الإسرائيلي دون التوقيع على اتفاقية سلام.

في ١ أيلول قدم بشير إلى نهاريا للقاء بيغن. قدم بيغن إلى اللقاء بعد أن استلم من السفير الأميركي خطة ريغن التي هدفت إلى حل نهائي للمشكلة الفلسطينية وإقامة كيان فلسطيني مربوط بالأردن، وهكذا بعد أن توقع بيغن تقوية موقف إسرائيل في الضفة الغربية بعد انهزام المنظمة أتى ريغن، واستغل الوضع لجهود معاكسة لموقف إسرائيل ربما لكي يرضي الأردن والسعودية على أثر الجهود التي بذلوها من أجل اخلاء المخربين من بيروت وهكذا دخل بيغن للقاء بشير وهو يستشيط غضباً. وصف بشير اللقاء عند عودته « استقبلت كطفل » وقص على صائب سلام وسركيس مخاوفه من ردود الفعل الإسرائيلية وعن شعوره بأن بيغن بدأ يفقد ثقته به وأنه يخشى بأن تقوم إسرائيل بتعزيز تمركزها في الجنوب

بدلاً من مساعدته.

الصفحة الأولى من المذكرة التي أرسلها «فلمون» بن الكفاه إلى وزير الدفاع في تاريخ ١٩٨٢/٨/٥.

الموضوع ـ اقتراح خطوط سياسية موجهة بالنسبة للبنان.

عام: المذكرة تحوي أفكاراً مشتركة للموقعين عليه.

فرضيات:

١ ـ لا أمل ببناء حكومة مركزية ثابتة في لبنان بسبب المشاكل الطائفية السياسيه، الاقتصادية، الشخصية لهذه الدولة. وجود حكومة ضعيفة بالنسبة لنا وضع مريح تعطينا الحرية في نشاطنا السياسي.

٢ ـ لا أمل في اتفاقية سلام مع أي حكومة في لبنان نظراً للعلاقة الاقتصادية التي تربط لبنان بالدول العربية.

٣ ـ لا توجد امكانية لإخراج الجيش السوري والمنظمات من لبنان إلا إذا كانت هناك عملية عسكرية واسعة النطاق وبقاء الجيش الإسرائيلي مدة طويلة في المناطق المحتلة.

٤ ـ لإسرائيل مصلحة في الحفاظ على علاقات حسنة مع الدروز في لبنان حتى ولو من أجل منع تدهور العلاقات مع دروز إسرائيل وهضبة الجولان.

٥ ـ المصلحة الأمنية لإسرائيل تحتم السيطرة على خط ـ راشيا الوادي ـ نهر الأولي.

٦ ـ يجب العمل على ايجاد واقع لبناني يخدم المصلحة الإسرائيلية على المدى البعيد حتى بعد خروج إسرائيل من لبنان.

٧ ـ يجب الاستمرار في الدعم للكتائب كفرقة دينية، سياسية معنية بربط علاقات حسنة مع إسرائيل.

٨ ـ «الكتائب» ليسوا الحلفاء الوحيدين في لبنان لأنهم لا يستطيعون قطع علاقتهم بالدول العربية.

بالرغم من وعود بشير حول مستقبل حداد ولقائها، ارسل بشير «بجو اده» إلى الجنوب في محاولة للتغلغل في رقعة حداد بحجة التفتيش عن المخربين (B.3) مما أثار السخط بين سكان صيدا وحداد، فقد عاملت القوات اللبنانية السكان بصورة وحشية وفي مخيم «المية ومية» ساعد سكان القرية المجاورة المسيحيين على طرد اللاجئين الفلسطينيين بحجة حاجتهم لأرض المخيم إلا ان الضباط الإسرائيليين أوقفوا العملية ودعوا المخاتير المسيحيين ووبخوهم على اعمالهم.

في ٨ تموز تبين أن بشيراً هو الذي يعطي الأوامر لطرد الفلسطينيين إلى شمالي لبنان ووصل تدخل بشير في الجنوب إلى شكل توجب اتخاذ قرار نهائي بهذا الشأن. ضغطت قيادة اللواء الشمالي لصالح حداد ووافق شارون على اقتراحاتهم بعد أن قرأ تقريراً مفصلاً حول أعمال القوات اللبنانية وتدخلها في الحياة اليومية والسياسية بشكل غير مرض. في النهاية أصدر الأمر «لجو اده» بنقل قواته إلى شمالي الأولي وبضغط من دروري سمح لقوات حداد بالسيطرة حتى الأولي. أراد شارون بذلك الضغط على بشير أن يمزج قوات حداد بقواته رغم معارضة ايتان الذي رأى ببشير الأقوى، وشك في قدرة حداد السيطرة على مساحة واسعة كهذه.

بدأت إسرائيل ابعاد الفكرة التي نادت «بلبنان جديد» وحلف مع بشير لصالح محاولة انقاذ شؤونها في الجنوب اللبناني، وسمح لحداد بفتح موانىء صيدا وصور لتخفيف تعلقه بالشمال كما وطالب حداد بربط الجنوب بشبكة الكهرباء الإسرائيلية والشيء الوحيد الذي منع منه هو جباية الضرائب حتى لا ينقلب التنظيم العسكري إلى عزلة سياسية.

ظهرت في إسرائيل مجموعة ثالثة نادت بالاعتماد على الشيعة الذين يشكلون ٨٠٪ من السكان في الجنوب، وهكذا بدأت القيادة العليا التي عالجت موضوع لبنان بالانشقاق كلما زاد التعمق في مشاكل لبنان الداخلية. ومنذ اللحظة التي تغلب حداد على بشير في السيطرة على الجنوب نادت المجموعة الثالثة بالعمل من أجل بناء السيطرة الإسرائيلية على حركة أمل الشيعية لأن الشيعة لن يوافقوا على سيطرة حداد اليوناني الكاثوليكي. اقيمت حركة «أمل» في بداية السبعينات من أجل المطالبة بحقوق الطائفة الفقيرة والمظلومة في لبنان، بدأت في البداية بقيادة موسى الصدركجسم ديني ثم انتقلت في وقت لاحق إلى «مليشيا» مسلحة بتشجيع من سورية والمنظمة الفلسطينية، ولكنها لم تتدخل في الحرب لأنها لم توافق على سلوك المخربين في الجنوب وآمن قوادها ان عرفات هو الذي أصدر الأمر بخطف موسى الصدر واغتياله.

جند حداد الكثير من الشبان الشيعة إلا ان قادة المنظمة لم يباركوا ذلك لأنهم رأوا بذلك محاولة للقضاء على صلاحياتهم وحل منظمتهم.

حاول «محمد غدار» من الغازية قائد «أمل» في الجنوب اقناع القادة الإسرائيليين بعدم مصادرة الأسلحة من أعضاء المنظمة نظراً للأخطار التي واجهوها في الماضي. استمرت اللقاءات والمناقشات بين «الغدار» والقادة الإسرائيليين دون انقطاع. وتدخلوا لصالحه حين حاولت القوات الكتائبية قطع المياه ومصادرة سيارات تابعة للمنظمة ولكن المخاوف الإسرائيلية وخوف القيادة العليا للمنظمة من العمل بشكل علني مع إسرائيل أديا إلى التخبط

دون تقدم.

وبالرغم من انضمام الكثير من القرى الشيعية «للحرس الوطني» لم تنتج قوة يمكن الاعتماد عليها بعد الانسحاب الإسرائيلي من الناحيتين ـ القدرة والأمانة، ودليل على ذلك الأعمال العدوانية التي تكاثرت مع استمرار التواجد الإسرائيلي في الجنوب.

كان أحد الأهداف الرئيسية للحرب والذي لم يعلن عنه أبداً ابعاد قسم من السكان الفلسطينيين من الجنوب حتى لا تستطيع المنظمة العودة ثانية، واعتمادها على المخيمات في ذلك.

خلال الحرب أصدر رئيس الحكومة تعليماته بعدم السماح في انعاش المخيمات وبنائها من جديد، واعلن أحد القواد في جلسة مع ضباطه في النبطية ان السياسة الموجهة من الحكومة تقضي بعدم السماح للذين خرجوا من المخيمات العودة إليها واعطى الأوامر بشق طرق واسعة داخل مخيمات الرشيدية، البص وعين الحلوة. وتبين ان القسم الكبير من المخيمات أصابه الدمار بعد الحرب عندما بدأت القوات الإسرائيلية بتفجير مخازن السلاح وبيوت المشتبهين. أما حداد فقد وضع نصب عينيه ابعاد الفلسطينيين من الجنوب لأنهم لا ينتمون للبنان وأرسل بشير لجنة «غاما» بقيادة «موني عرب» إلى الجنوب لوضع التخطيطات لترميم القرى المسيحية التي تهدمت خلال المعارك والتواجد الفلسطيني.

اقترحت إسرائيل في البداية اعطاء «مأوى موقت» لـ ٣٠٠ ألف فلسطيني من الذين فقدوا بيوتهم تم نقلهم إلى احياء جديدة وحل أكبر عدد ممكن من المخيمات، إلا أن بشيراً وقادته رفضوا الاقتراحات الإسرائيلية لإيجاد الحلول لمشكلة الفلسطينيين لأنهم بالتالي سيطردون من لبنان ولذلك لا حاجة لبناء احياء جديدة لهم، حتى بعد ان اطلعتهم إسرائيل على الضرر الصحي الذي تسببه هذه المخيمات، إلا ان حادثة «صبره وشاتيلا» غيرت الهدف الرئيسي وبدأت إسرائيل بمبادرة جديدة فبنت «ميليشيا» مسلحة من المخيمات ومدتها بالسلاح حتى تستطيع الدفاع عن نفسها من المحاولات الانتقامية التي قامت بها القوات اللبنانية الكتائبية. وهكذا وخلال شهور معدودة انقلبت السياسة الإسرائيلية رأساً على عقب من طرد إلى دفاع.

كانت المشكلة المعقدة بالنسبة لإسرائيل في جبال الشوف معقل الدروز!

هنا لم يتوقع شارون ومخططو الحرب قوة الدروز والدور الذي توجب ان يلعبوه في كل محاولة لإعادة النظام إلى لبنان، وهذا سيكلف إسرائيل الكثير من الدماء وسيؤدي إلى تشويش العلاقة بين إسرائيل والكتائب.

تفاجأت إسرائيل من العظمة العسكرية الدرزية والأفضلية التي تمتع بها المحارب

الدرزي على الكتائبي وتنظيمهم المرتب، فقد علمت الاستخبارات الإسرائيلية القليل عن الميليشيا التابعة للحزب التقدمي الاشتراكي بقيادة وليد جنبلاط والتي بدأت عام ١٩٧٦ بشكل سري، وتجاهلت الخلافات القائمة بين الطائفتين الدرزية والمارونية.

كان الشوف قبل الحرب خالياً من الكتائب وكانت هناك خلايا لا تذكر للمنظمة الفلسطينية. أما الجيش السوري فقد تواجد بقوات ضئيلة ومن هنا فقد تمتع الدروز في الجبل بحرية العيش والتنقل.

اعتبر جنبلاط حليفاً للمنظمة ومقابل هذا الدعم امتنع عرفات عن التغلغل إلى داخل القرى الدرزية.

لكن ذلك تغير تماماً حين دخلت القوات الإسرائيلية بعد ان تقدمت القوات الكتائبية خلف الجيش الإسرائيلي باتجاه القرى الدرزية.

حاول بشير السيطرة على الجبل وتقليص نفوذ جنبلاط ووافقه على ذلك شارون الذي سمح له بالدخول إلى المناطق التي يسيطر عليها جيش الدفاع الإسرائيلي.

في البداية وصلت القوات الكتائبية من أجل المساعدة على اكتشاف مخازن السلاح والتفتيش عن المخربين ولكنهم وبسرعة بدأوا بالتمركز بصورة دائمة وسمح لهم بوضع ٢٠٠ جندي بالقرب من بيت الدين، وسيطرت وحدة كتائبية على جسر القاضي الذي يربط جبال الشوف بقرى الدروز في ضواحي عاليه. كما وسيطرت قوات كتائبية أخرى على الأحياء الغربية من عاليه وعلى مفرق سوق الغرب.

بدأت القوات اللبنانية بنصب الحواجز على الطرقات وازعاج الدروز في المنطقة فخطفوا مسافرين قتلوا فيما بعد وظهر التهديد الكتائبي على الدروز في ظل الجيش الإسرائيلي وخصوصاً عندما بدأت أعداد كبيرة من المواطنين المسيحيين الذين طردوا من قراهم في الشوف العودة إليها وخشي الدروز ان بشيراً يحاول تغيير التوازن الجغرافي في المنطقة.

«اننا لا نحتل الشوف، إنما نعود إلى بيوتنا المهجورة» هذا ما صرحه بشير. أقنع بشير شارون بضرورة السيطرة على الشوف وطالب بأخذ السلاح من الدروز لأنهم مؤيدو المنظمة والجيش السوري وبالرغم من الشكاوى التي وجهت للقادة الإسرائيليين من الدروز بشأن التحرشات الكتائبية والأعمال البشعة التي يقومون بها لم يتغير الوضع. ادعى بشير انه يستطيع جر مؤيدي ارسلان من الدروز وتقليص التأثير الذي تمتع به وليد جنبلاط.

وليد جنبلاط ضبط نفسه حين صادرت القوات الإسرائيلية مخزن سلاحه الرئيسي في مزرعة الشوف. وعندما وصل إليها مبعوثون إسرائيليون استقبلهم ببرود، وخاب أمل كل من

آمن انه يئس وهو على استعداد للمفاهمة. ولأحد المؤلفين ذكر انه سيسلك طريق المعارضة غير الفعالة. وبالرغم من القصص حول إدمانه على الشرب وضعف شخصيته وعدم قدرته متابعة خط والده ما زال وليد جنبلاط ينال الدعم الواسع لكونه ينتمي للعائلة الجنبلاطية التي تعتبر المبادرة للأفكار الاشتراكية في لبنان.

عندما انتقل وليد إلى بيروت توجه قائد «الميليشيا» «أنور الفطايري» إلى قائد القوات الإسرائيلية ووجه إليه ٣ اسئلة:

١ ـ كيف ترى إسرائيل مستقبل الدروز في لبنان؟.

٢ ـ لماذا تساعد إسرائيل الكتائب؟.

٣ ـ ما هي مخططات إسرائيل في لبنان؟.

انتظر «الفطايري» الرد إلا ان الجواب لم يصله لأن الضابط الإسرائيلي لم يعرف الأجوبة! وخلال حديثه مع أحد المبعوثين الإسرائيليين أبدى «الفطايري» تساؤلاته: لماذا تعملون ضدنا؟ هل لأنكم شركاء للكتائب! لم ترسلوا دباباتكم لمحاربتنا لأننا لن نعطكم الذريعة لذلك ومع ذلك فأنتم ضدنا؟ لماذا سمحتم للكتائب ببناء معسكر لهم في بيت الدين؟ لم يكن بمقدورهم فعل ذلك لولا حمايتكم لهم إذ أنهم لم يتجرأوا أبداً دخول هذه المنطقة»!

وتابع الفطايري:

دخلتم إلى لبنان للقضاء على المنظمة الفلسطينية ونجحتم بذلك؟ ولكنكم تعملون ضد مصالحكم وعليكم الامتناع من الاعتماد على المارونيين لأن السوريين يستطيعون العودة إلى بيروت إذا طلب منهم المارونيون ذلك!. ساعدتموهم في الانتخابات، وكلنا يعرف أن أغلبية النواب احضرت للبرلمان تحت التهديد ولولا ذلك لما انتخب بشير، هل هكذا تريدون الحصول على اتفاقية سلام؟! فطريقكم هذه أدت إلى معارضة الجميع لكم؟!

واختتم الفطايري محاضرته وقال: لقد جئتم إلى لبنان لتغيير الخارطة السياسية في المنطقة والوصول إلى اتفاقية سلام مع سورية ولكني لا أعلم إذا سيكون بمقدوركم تحقيق ذلك!

وبعد أسابيع قليلة من هذه المقابلة هرب «الفطايري» إلى الجانب السوري وبدأ بقصف بيروت من جبال المتن، وعندما انسحبت القوات الإسرائيلية قاد القوات التي دخلت لمساعدة الحزب التقدمي الاشتراكي واخضعت القوات الكتائبية في المنطقة.

حاذرت المليشيا الدرزية من البدء بمعركة ضد الكتائب واكتفت بزرع الألغام ونصب كمائن قليلة. ومع ذلك لم تستطع القوات اللبنانية بسط سيطرتها والتمركز في الجبل.. وتبين خلال شهـر ان بشيراً لا يستطيـع حتى بمسـانـدة إسرائيـل السيطـرة على الجبـل،

واختلف الوضع بعد ان اغتيل بشير عندما قرر الدروز المقاومة واخرجوا سلاحهم من المخابىء. فشلت الخطة الكتائبية زرع الانشقاق في صفوف الدروز وانضم ارسلان وبقية معارضي وليد إلى صف واحد وتحت قيادة واحدة.

وفي النهاية استطاع الدروز ابعاد المسيحيين الكتائبيين عن الكثير من مواقعهم وعزل تحصينات أخرى. في عاليه هاجمت القوات الدرزية وتحت مراقبة الجيش الإسرائيلي قاعدة عسكرية تابعة للكتائب فهربت أغلبية الجنود دون مقاومة، وفي بعض القرى بادر الدروز إلى ذبح مواطنين مسيحيين. وفي إحدى المرات طلب «دكتور» إسرائيلي من شبان دروز يلعبون برأس انسان كرة قدم ان يعطوه اياه لقبره فرفضوا.

بدأت الزعامة الدرزية الإسرائيلية برفع صوتها وتوجيه اتهاماتها لشارون مما ادى بالتالي إلى رفض السماح للكتائب بارسال ١٠٠٠ مقاتل إلى الشوف.

«حرب الجبل» أدت إلى معارضة وحقد شديدين وخصوصاً من الجهة المسيحية بعد أن اتهموا إسرائيل بميلها إلى الدروز بعد ان اتضح لها انها لن تحصل على اتفاقية، وبدأت القصص الكتائبية لتبرير الفشل في الشوف تتهم إسرائيل ومساندتها للدروز. وعندما حفرت إسرائيل مدرج الطيران في الدامور ادعى الكثير من الكتائب ان هذه بداية الاستعدادات لاستقلال الدروز. اصبحت جبال الشوف بالنسبة للجيش الإسرائيلي مستنقعاً يتخبط فيه دون هدف محدود وانعدام أي أمل في الحصول على نتيجة مفيدة من ذلك.

مع انقلاب الوضع في الشوف زادت اللقاءات والمناقشات بين إسرائيل والدروز في لبنان وطلب وليد من إسرائيل السماح له بإدخال المدافع التي اشتراها والموجودة في المنطقة الواقعة تحت السيطرة السورية إلى الشوف، وقال إن مصلحة إسرائيل تكمن في تقوية الدروز في الشوف لأن الدروز لن يسمحوا للمخربين بالتسلل إلى إسرائيل عبر جبال الشوف.

مبعوثون من قبل جنبلاط قدموا إلى إسرائيل وبوساطة شخصيات درزية إسرائيلية من الكرمل والجليل اقترحوا اقتراحات مبالغة مضمونها مساعدة إسرائيلية هادئة لإقامة حكم ذاتي للدروز في لبنان مقابل تأمين رقعة امن من الجنوب وحتى بيروت شمالاً. المسؤول العسكري للمليشيا الدرزية هشام ناصر الدين قدم إلى اورشليم لإقناع شخصيات إسرائيلية بعدم النظر إلى العقبة التي تشكلها الطائفة الدرزية إنما إلى القوة التي تملكها!

لكن إسرائيل خشيت من اعطاء التزامات للجهتين وفضلت البقاء على حياد، وبذلك أثارت شكوك الكتائب والدروز معاً!

حافظت القوات اللبنانية على سرية الإحصاء الذي قامت به في لبنان إلا ان «فادي

فريم» كشف ان المسيحيين يشكلون ٣٥٪ فقط من سكان لبنان بينما يشكل الشيعة ٥٥٪

عندما عاد بشير إلى لبنان بعد مقابلته مع بيغن في نهاريا منع رجاله من مقابلة شخصيات إسرائيلية ورفض مرة تلو المرة مقابلة شارون إلا أنه دعا رئيس الموساد «حوفي» لحفلة وداع وبعدها فقط وافق على لقاء شارون.

خرج شارون من اللقاء بعد أن سوى الأمور بين بشير وإسرائيل، واعتذر بيغن أمام بعثة من المسيحيين عن سلوكه مع بشير خلال لقائهما في نهاريا وعلل ذلك باللقاءين المصيريين اللذين كانا في يوم واحد!

اتفق شارون وبشير على التعاون في القضاء على قواعد المنظمة وحرث المخيمات الفلسطينية. واتفقا أيضاً على اقامة لجنة مشتركة لتقوم بتنسيق مفصل لتطبيع العلاقات والترتيبات الأمنية إلا أن بشيراً وبعد مرور ٤٨ ساعة لم يكن بين الاحياء ومع زواله زالت الآمال الإسرائيلية لتحقيق الخطة الكبيرة.

ففي ١٤ أيلول وفي الساعة الخامسة، بعد الظهر كان من المقرر أن يلتقي بشير بمجموعة من رجال الاستخبارات الإسرائيلية إلا أن اللقاء لم يخرج إلى حيز التنفيذ لأن حبيب طانيوس شرتوني والبالغ من العمر ٢٦ عاماً والذي ينتمي إلى «الحزب القومي السوري» استطاع تفجير مقر القيادة في الأشرفية فوق رأس بشير وعشرات الفتيات اللواتي اشتركن في دورة لنشيطات الحركة الشابات. رفض الجميع ان يصدقوا «ذهاب بشير» وصرخ محاربو الكتائب يوم تشييع جنازته: «بشير حي - بشير حي» وعاشت الاسطورة - أنه ذهب ليعود إليهم عما قريب».

الفصل الثالث عشر

«المجزرة»

حذر رئيس شعبة الاستخبارات «شعي» من نية عرفات إبقاء الكثيرين من المخربين في بيروت للمقاومة السرية، وتوقع دخول الكتائب لتصفية الحسابات القديمة ورغبتهم في القضاء على القيادة الشيعية. ثم قال ان جميع مصوري العالم سيكونون في بيروت لنقل ما يحدث وفي النهاية ستوجه الاتهامات إلى إسرائيل. نصح شعي بعدم البقاء في بيروت والخروج من هناك والمراقبة من الخارج حتى تكون إسرائيل نظيفة من جميع الاتهامات.

طالبت إسرائيل بضم «المرابطون» إلى المنظمة خلال الاخلاء وترحيلهم عن بيروت إلا أن ذلك لم يتم واقترح ليفي (نائب قائد الأركان) ان يقوم جيش الدفاع الإسرائيلي بتطهير بيروت منهم ومن بقايا المخربين والاستعانة بالكتائب في هذه العملية.

طالب «شعي» من شارون ابلاغه بما يدور وقال له انه الشعب في إسرائيل «يعيش» على أخبار صوت لبنان ولكن شارون لم يسمع تحذيرات «شعي» وبدأ «الزحل» الإسرائيلي باتجاه احياء بيروت الجنوبية رغم معارضة ايتان لذلك، فقد أراد شارون تقديم القوات الإسرائيلية إلى محاذاة المخيمات الفلسطينية من أجل حماية القوات اللبنانية التي ستقوم بتطهير المخيمات كما اتفق مع بشير في ١٢ أيلول.

كانت خطة عرفات ابقاء ٢٠٠٠ محارب فلسطيني في بيروت بهويات لبنانية ونظم قبل اخلائه جميع الترتيبات لذلك تحت قيادة غازي خوري، شفيق الحوت وتوفيق صفدي. اختار عرفات محاربين يعيشون في بيروت ومن الصعب التعرف عليهم وكان أمله ان تكون هذه الخطة النواة لإعادة المنظمة إلى بيروت في المستقبل واختير لهذه المهمة «يوسف رجب».

إلا ان الخوف من الانتقام الكتائبي أخاف الكثيرين من محاربي المنظمة فطلب عرفات ان يزيد عدد المحاربين المغادرين بـ ٧٠٠ مقاتل وهكذا خف عدد الباقين إلى ١٥٠٠ محارب قدرت إسرائيل ان أكثر من نصف الباقين عاشوا في الاحياء الشمالية خارج المخيمات، وكان البند الرابع حسب اتفاقية حبيب وعرفات يقضي بعدم المس بالمواطنين الفلسطينيين في بيروت. وضمنت الحكومة الأميركية من جهتها ان تمنع إسرائيل القيام بأي عمل عدائي ضد المواطنين الفلسطينيين الابرياء. ووعدت الحكومة اللبنانية من جهتها أن تتوسط عند الفئات اللبنانية

بضبط النفس وترك الفلسطينيين الابرياء أحراراً.

يمكن القول أن خطة مهاجمة بيروت الغربية حضرت قبل الاخلاء، فقد اهتمت المنظمة بترك مخازنها للفئات المسلحة الموالية لها في المدينة أما الكتائب فقد كشفوا عن نواياهم للقضاء على المخيمات الفلسطينية وطرد السكان منها، ومن جهة أخرى بدأت القوات الإسرائيلية ترحل لتحسين مواقعها. شعرت أميركا بما يدور ولكنها فضلت سحب «المارينز» من بيروت.

لم يخف قادة الكتائب نواياهم عندما يدخلون غربي بيروت فقد تكلموا بصراحة على الانتقام المنتظر. وقال «جيسي سافر» لأحد المؤلفين «الاغتصاب مسموح لمن هي فوق الـ ١٢. وعندما حذره من مغبة ذلك قال: هنا ليست سويسرا ولا الدانمارك».

آمن الكثير من المسيحيين انه لا يمكن بناء حكم ثابت في لبنان طالما يتواجد في لبنان أكثر من نصف مليون فلسطيني وكان هدف حراس الأرز «لكي لا يبقى أي فلسطيني في لبنان».

علمت إسرائيل ان الكتائب اعتقلوا حوالى ٥٠٠ فلسطيني اختفت آثارهم، وكان هناك شك انه قضي عليهم فقد إنشغل المسؤول عن الاستخبارت الكتائبية «ايلي حبيقة» في المدة الأخيرة بعمليات تصفية هادئة في ضواحي صيدا وصور للأشخاص الذين اشتبه انهم تعاملوا مع المنظمة ومع سورية. وخاصة من السكان الفلسطينيين القاطنين في منطقة الشاطىء.

دخلت قوات «ميشيل عون» اللبنانية الشرعية إلى برج البراجنة بناء على أمر بشير وطلب إسرائيل للاعتقالات والتفتيش عن مخازن ومخابيء السلاح وتم اخراج ٢٣٠ رجلاً وهدم مبان اعتبرت غير قانونية.

في ١٤ أيلول طلب دروري تعجيل عملية التطهير والتنقيب من «ميشيل عون» ولم يعرف عن التفجير في قيادة الكتائب في الاشرفية إلا عند عودته إلى قيادته وقبل ان يعرف مصير بشير اتخذ الاجراءات لتعزيز القوات الإسرائيلية في بيروت استعداداً للتطورات التي من الممكن ان تعقب ذلك.

ومن هنا بدأت الأمور تسير بشكل سريع:

يوم الثلاثاء ٩ مساء تقريباً: أمر شارون قائد الأركان بإدخال القوات الإسرائيلية للسيطرة على المفترقات والمناطق الاستراتيجية في بيروت الغربية (أما زئيب زخريبه رئيس مكتب قيادة الأركان فقد شهد في لجنة التحقيق ان شارون قرر ان الكتائب هم الذين سيدخلون إلى المخيمات).

تبين بعد شهر على أثر مذكرة صيغت في وزارة الدفاع انه على أثر مقتل بشير ساد الشعور ان الكتائب لن يفوا بالتزاماتهم دخول بيروت ومن الممكن ان تدخل القوات الدولية وتحمي بقية المخربين ولذلك يجب الإسراع في تنفيذ عملية سريعة للقضاء على المخربين في بيروت.

يوم الثلاثاء التاسعة مساء: الأمر لتنفيذ عملية «المخ الحديدي» اصدر وكان الهدف السيطرة على بيروت الغربية. مشاركة الكتائب لم تذكر في هذا الأمر. وتبين فيما بعد أنه لم تصدر أي تعليمات حول طريقة النشاط الكتائبي في المخيمات، وقال بيغن في حينه في حديث مع ايتان أنه يتوجب الدفاع عن المسلمين من الانتقام الكتائبي المتوقع. كذلك حذر «شعي» شارون من الانفكاك في صفوف الكتائب أو عمليات انتقامية من جهتهم.

يوم الثلاثاء ١٠,٣٠ مساء: وصل خبر وفاة بشير وعلى أثر ذلك سمح بيغن لشارون بإدخال جيش الدفاع إلى بيروت منعاً للفوضى والبلبلة. لم تجتمع الحكومة لاتخاذ القرار حتى أنهم لم يُخبروا بذلك. كان ذلك بالنسبة لجميع الوزراء مفاجأة كبرى. شارون لم يخبر بيغن ايضاً عن نيته اشراك الكتائب في العملية.

يوم الثلاثاء منتصف الليل: تسليم «دروري» الأمر بالتقدم مع الفجر لداخل بيروت الغربية. تمت المصادقة على جميع التخطيطات السابقة والجاهزة لدخول بيروت وانتظر الجميع وصول التعزيزات لمواجهة القوة الباقية من المنظمة واخذت الفئات اليسارية بعين الاعتبار ولم يعرف إذا كانت ستشترك في القتال أم لا.

قرر ايتان انه لن يدخل المخيمات في البداية وسيكتفي بتأمين القوات المتقدمة على المحور المجاور للمخيمات كما واصدر أمراً بعدم قصف بيروت جوياً والاكتفاء بتحليق منخفض فوقها.

ويذكر أحد الذين حضروا الجلسة في كفرسيل ان «ايتان» ذكر خلال حديثه انه يترك المخيمات للكتائب فيما بعد.

يوم الاربعاء ٣,٣٠ صباحاً: طلب ايتان ودروري من فادي فرام الاعلان عن منع التجول في جميع انحاء لبنان وتجنيد رجاله والاستعداد وخاصة في زحلة لمواجهة هجوم سوري على أثر مقتل بشير.

وافق قادة الكتائب أخذ احتلال المخيمات على عاتقهم ورفض ايتان مساعدتهم بالدبابات والمدفعية، وطلب «فادي فريم» مهلة لمدة ٢٤ ساعة لتجهيز رجاله وبقي في قيادته أحد رجال الموساد ليكن ضابط ارتباط.

يوم الاربعاء الخامسة صباحاً: بدأت القوات الإسرائيلية بالتقدم إلى داخل بيروت الغربية تقدمت القوات التابعة «ليارون» إلى المدينة من الجهة الجنوبية على محورين موازيين للمخيمات. أما قوات «مردخاي» فقد تقرر ان تبدأ تحركها بعد الظهر في الجهة الشمالية للمدينة من جهة الميناء غرباً باتجاه الاحياء السكنية التابعة لرأس بيروت. تقدمت القوات بحذر وببطء وكان الهدف ربط القوتين الشمالية والجنوبية دون الانشغال بالتطهير أو التغلغل إلى داخل الاحياء المختلفة. استقرت قيادة «يارون» على سطح بناية تتألف من ٦ طبقات مطلة على مخيم «شاتيلا» غربي الطريق الذي تقدمت عليه قوات المظليين إلى كورنيش المزرعة، وراقب ايتان المعركة من نفس المكان.

يوم الاربعاء التاسعة صباحاً: رفض شارون اقتراح «شعي» قطع الصلة مع الكتائب الآن. وعاد على أمره السابق ادخال الكتائب إلى المخيمات تحت المراقبة الإسرائيلية.

نسق شارون مع بيغن فحوى بلاغ الناطق بلسان جيش الدفاع الإسرائيلي على العملية التي تهدف «تأمين الهدوء» وقيل في البلاغ انه لا توجد مقاومة.

يوم الاربعاء ٩,٤٥ صباحاً: أعلن صوت لبنان الحر الكتائبي ان محاربين فلسطينيين وشيوعيين يقومون بنشاط من داخل المخيمات صبرا وشاتيلا.

يوم الاربعاء ١٠,٣٠ صباحاً: في اجتماع للقيادة الكتائبية مع شارون، شعي، ممثل الموساد حث شارون المسيحيين الاسراع والسيطرة على الموقف قبل ان يستغله الآخرون وتعيين رئيس للجمهورية يتمتع بصلاحيات الرئيس حسب الدستور اللبناني حتى تتم السيطرة الكتائبية على جيش لبنان الشرعي. تهرب زعماء الكتائب من طلب شارون وطلبوا مشاورة «بيار الجميل»، واقترح أحدهم لشارون عدم الاسراع لتنفيذ الاتفاقيات مع بشير. والمهم هو ان تسيطر القوات الإسرائيلية على بيروت.

ووعد شارون ان ذلك سيتم ولكن بمساعدة الكتائب وطلب منه الاتصال مع دروري لتنسيق هذه العملية. اسرع شارون إلى بكفيا للاشتراك في تشييع بشير وأعطى أمراً لسلاح الجو بالتحليق فوق المنطقة لمنع أي قصف خلال الجنازة. ارسلت برقية إلى رئيس الموساد ابلغ فيها ان الكتائب سيدخلون بيروت خلف الجيش الإسرائيلي ولكنه لم يذكر انهم سيدخلون إلى المخيمات.

يوم الاربعاء ١١,٣٠: يلتقي المبعوث الأميركي «دريبر» مع رئيس الحكومة ووزير الخارجية في ألقدس. تحفظ «دريبر» من العملية الإسرائيلية والتي نفذت دون استشارة واشنطن وبخرق تام لاتفاقية حبيب. وذكر «دريبر» فيما بعد انه لو كان يعلم بدخول

الكتائب لعارض ذلك وأنه تفاجأ من وسع العملية لأنه كما فهم من اللقاء ان العلمية تهدف فقط إلى وضع حاجز لمنع الفوضى والبلبلة.

يوم الاربعاء ١٣,٤٥: ذكر دروري عندما التقى بشارون في محطة للوقود في بيروت انه يتوجه إلى قيادة الكتائب لبحث دخول القوات الكتائبية إلى المخيمات.

يوم الاربعاء ١٤,١٥: وصل دروري إلى مقر القيادة فلم يجد أحداً من الضباط بسبب جنازة بشير. ولم تكن هناك خطة كتائبية جاهزة ولم يتم التنسيق.

خلال تقدم قوات يارون قتل ضابط وجرح ٢٠ جندياً وقطعت يد أحد الجنود «حاييم بيني» وتم الاعتناء به وخلال ذلك نزع الممرض العسكري ملابس «حاييم» ورماها جانباً، وكانت تحوي أوراقه العسكرية. وصلت هذه الأوراق لاطفال صبرا وشاتيلا ومن هناك إلى أحد الأميركيين الذي استعملها كبرهان ان جنود إسرائيليين تواجدوا في المخيم خلال المجزرة.

يقدر بعض الإسرائيليين الذين اشتركوا في القتال ان عدد المخربين الذين اطلقوا النار من داخل المخيمات لا يزيد على ٢٠٠ محارب.

من خلال الحديث مع سكان محليين في «شاتيلا» اتضح ان المخاتير في المنطقة حاولوا منع المحاربين من اطلاق النار لأن ذلك سيؤدي إلى خسائر فادحة في صفوف المواطنين ولكن نشوة الفرح بموت «بشير» شجعتهم ولم يستجيبوا للطلبات.

يوم الاربعاء ٤ بعد الظهر: اتضح «لموشه ليفي» من خلال حديثه مع مساعد رئيس شعبة الاستخبارات ان المسلمين يريدون دخول جيش الدفاع الإسرائيلي دفاعاً عنهم من الكتائب.

يوم الاربعاء ٦ مساء: أضاف مكتب الاستخبارات ان القوات الإسرائيلية تساعد على الدفاع والمحافظة في بيروت الغربية من عمليات انتقامية كتائبية متوقعة.

يوم الاربعاء ٨ مساء: تقرر في اجتماع بين دروري وقادة الكتائب ان القوات الكتائبية ستدخل من جهة مخيم شاتيلا، وطالبهم دروري التصرف كجيش مقاتل وان لا يصيبوا المواطنين. رفض ممثل الجيش اللبناني طلب دروري أخذ المهمة وقال انه تلقى الأوامر من الوزان بإطلاق النار على الجنود الإسرائيليين.

من تحرياتنا تبين انه اقترح اشتراك الكتائب في شمالي المدينة أيضاً إلا ان «مردخاي» رفض طلب «رفول» بذريعة انه لا يريد المسؤولية على «وحدة» غير تابعة له بالرغم من النقص في العدد البشري الذي عانى منه. وطلب من قواته وضع الحواجز ومنع الكتائب دخول بيروت الغربية. لم تأخذ لجنة التحقيق أقوال «مردخاي» ومساعديه.

يوم الخميس ١٦ أيلول: في ساعة متقدمة من الصباح أصدر شارون أمراً للقوات الإسرائيلية بالتوقف وعدم التغلغل في المدينة ولكنه عاد وغير رأيه واستطاع الصمود أمام الضغط الأميركي.

يوم الخميس ١٠ صباحاً: رفول يبلغ شارون في مكتبه ان الهدوء التام يسود المدينة وان القوات الإسرائيلية تحاصر المخيمات وإذا رغبت القوات الكتائبية أو اللبنانية دخولها سنوافق على ذلك. أخبر شارون بيغن ان الأمر انتهى وعلق أيتان على الوضع في بيروت وقال: يريدون الانتقام واني اعتقد انه ستكون هناك أنهار من الدماء.

يوم الخميس ١٠,٤٠ صباحاً: اجتمع الضباط الإسرائيليون مع قادة الميليشيات اليسارية لإقناعها بعدم المقاومة.

يوم الخميس ١١ صباحاً: ممثلو الكتائب يصلون إلى قيادة دروري للتنسيق معه، واتفقوا ان يلتقوا بيارون فيما بعد. وكان ذلك بعد أن صادق «الجميل» على العملية (قال فيما بعد أنه أراد بذلك اثبات وجود الكتائب وعدم محوهم).

في المنطقة الشمالية اعتقلت القوات الإسرائيلية الكثير من الرجال بجانب فندق «هوليداي إن» وحققت معهم حول أماكن اختباء رجال المنظمة ومخازن السلاح.

وهكذا تحول الهدف من احلال الهدوء والسكينة في غربي بيروت إلى عملية «تنظيف» واسعة في انحاء بيروت الغربية.

وقال شارون ان مقتل بشير لم يغير من اهداف دخول بيروت بل زاد من الاسراع في تنفيذها واضطر جيش الدفاع القيام بما كانت ستقوم به القوات اللبنانية.

خلال العشرة ايام القادمة تم اخراج ٥٢٠ طن ذخيرة، ١٢ مدفعاً، ٨ مدافع هاون ثقيلة وآليات حاملة صواريخ كاتيوشا، من بيروت...

يوم الخميس ٤ بعد الظهر: قدم «ايلي حبيقة» لتنسيق أخير مع «يارون» وطلب منه يارون الدخول مع ١٥٠ مقاتلاً وعدم الانتظار وحذره بعدم الاساءة إلى المواطنين. أشار يارون «لحبيقة» على المناطق التي يتواجد بها المخربون.

راقب يارون العملية برفقة «جيسي سوخر» وطلب من جنوده الإصغاء لأجهزة الكتائب اللاسلكية. شعر الضباط الإسرائيليون بالإرتياح مع قدوم الكتائب للقيام بالمهمة لعدم رغبتهم بتنفيذها...

يوم الخميس ٥ بعد الظهر: رجال الموساد يتباحثون ولكن «دخول الكتائب» لم يطرح على مائدة البحث! وفي مكتب وزير الدفاع التقى في تلك الأثناء «دريبر» ولويس مع شارون،

ايتان، شعي وطمير، ولم يكشف للأميركيين ان القرار بدخول الكتائب قد اتخذ. قوات «حبيقة» التابعة للاستخبارات الكتائبية ضمت محاربين تخصصوا في الحرب ضد المخربين،انتظرت بجانب محطة وقود مهجورة على الطريق المؤدي من جهة البحر إلى قيادة يارون والمخيمات. حث الضباط الإسرائيليون حبيقة على الاسراع في العملية قبل نزول الظلام.

.استمر النقاش بين شارون ودريبر - واتهم دريبر إسرائيل بعدم الوفاء بوعودها، وطلب من شارون ان يدع مهمة «تنظيف» بيروت من المخربين للجيش اللبناني. إلا أن ايتان شرح له الوضع القائم في هذه الأثناء في لبنان وقال انه من الأفضل ان تكون هناك القوات الإسرائيلية. لمنع أعمال الذبح والشغب وخصوصاً وأن الرغبة في الانتقام واضحة من جهة الكتائب.

خلال التفتيش صدر أمر رقم «٦» من فرقة العمليات في نفس العمارة بالنسبة للعملية في بيروت الغربية وأوضحت ولأول مرة ان الكتائب هم الذين سيدخلون المخيمات ويمشطونها.

يوم الخميس ٦ مساء: راديو المنظمة من صنعاء في شمال اليمن يعلن عن عمليات عسكرية حول مخيمات اللاجئين، زعماء اليسار اعلنوا انهم سيدافعون عن بيروت حتى الجندي الأخير.

حاول شارون بعد ان أصبحت اسئلة دريبر ولويس تضايقه التملص بذريعة اشتراكه في جلسة الحكومة إلا ان لويس لم يتركه وقال له: اريدك ان تعلم اننا وعدنا الحكومة اللبنانية استناداً إلى وعود حكومتكم، إلا انكم خرقتم هذه الوعود دون استشارتنا، ولن نقبل ذلك!.

رجال «حبيقة» بدأوا دخول المخيم بقيادة «ميشيل زوين» و«مارون مشعلاني» وضابط آخر عرف باسم «بول». اقتحموا المخيم وهم يطلقون النار لكل جهة ولم يعلم ضابط الاستخبارات الإسرائيلية ان قوات اخرى تابعة للكتائب تسللت لداخل المخيم دون اخباره بذلك. اشتعلت المعركة وطلب «جيسي» المساعدة في «القنابل المضيئة» وحصل على ذلك ثم اشتركت طائرات إسرائيلية فيما بعد في عملية الإضاءة.

كانت التعليمات بعد عملية التطهير تجميع الرجال داخل الاستاد الرياضي للتحقيق والتشخيص. في تل ابيب قاربت الجلسة على الانتهاء وابدى شارون استعداده لدخول الجيش اللبناني إلى صبرا وشاتيلا، وانه لن يعارض ذلك.

يوم الخميس ١٨,٥٠: تمت الجلسة وخرج وزير الدفاع إلى جلسة الحكومة في القدس.

بعد ذلك بعشر دقائق بدأت تظهر نتائج العملية الكتائبية. فبعد ساعة على دخولهم بدأت عمليات القتل، وعندما سأل أحد الضباط الكتائبيين من داخل المخيم ما العمل مع ٥٠

طفل وأمرأة؟! أجابه «حبيقة» انها لآخر مرة تسألني أنت تعرف ما عليك عمله!.

اسرع أحد الضباط الإسرائيليين الذي سمع الحديث إلى اخبار «يارون» بما يجري، وعاد يارون وطلب من حبيقة عدم المس بالمواطنين وايذائهم.

وتبين فيما بعد ان حبيقة شرح لرجاله ان الهدف جعلهم يهربون ولذلك عليهم قتل جميع الشبان في المخيم. هذا ما قاله أحد اللبنانيين الذي اشترك ابنه في عملية صبرا وشاتيلا وأضاف ان الضابط الإسرائيلي شدد أمامهم على عدم المس بالمواطنين.

يوم الخميس ٧,٣٠ مساء: السخط خيم على جلسة الحكومة ووجهت الاتهامات إلى شارون لعدم ابلاغ الحكومة بقراره دخول بيروت الغربية.

يوم الخميس ٨ مساء: رجال حرس الحدود اوقفوا عملية اعتقال كتائبية لشبان شيعيين في الاوزاعي بعد ان شكوا في نية الكتائب على اعدامهم في كسارة مجاورة.

يوم الخميس بعد الثامنة مساء: تكلم شارون عن عملية بيروت الغربية أمام الحكومة إلا انه لم يذكر اشراك الكتائب بها.

الاستمرار في عمليات القتل «وجيسي» يبلغ الضباط الإسرائيليين ان عدد القتلى وصل إلى ٣٠٠ ثم عاد وصحح العدد إلى ١٢٠ فلسطينيا. عاد يارون وحذره ووعده «جيسي» بأنه سيعمل لمنع القتل في صفوف المواطنين.

يوم الخميس ٨,٤٠ مساء: يارون يجمع رجاله لجلسة عمل في قيادته، أوضح ضابط الاستخبارات ان مخيم صبرا يخلو من المخربين وان القوات الكتائبية لا تدر ما العمل مع النساء، الاطفال والشيوخ وابدى تخوفه من النتيجة بناء على ما سمعه من «جيسي»، إلا أن يارون هدأه وقال انه لا خطر عليهم.

يوم الخميس بعد التاسعة مساء: ترك «شعي» جلسة الحكومة بسبب التعب الذي نال منه، وخلال الجلسة اخبر «ايتان» الحكومة بإشراك الكتائب في العملية ودخولهم إلى اطراف مخيم صبرا وأوضح أن جيش الدفاع لن يدخل المخيمات، انما الكتائب هم الذين سيفعلون ذلك ويحاربون بطرقهم الخاصة، وسيساعدوننا بعد ذلك في جمع الأسلحة والذخائر من بيروت. تابع شارون وشرح أهمية وجود جيش الدفاع لمنع القلاقل والمذابح المتبادلة بين الفئات المختلفة في لبنان.

الوحيد الذي دل على التناقض بين رغبة الكتائب في الانتقام وارسالهم إلى المخيمات كان دافيد ليفي، وتوقع ان الاتهامات ستوجه إلينا لأنه لا يوجد أحد في العالم من يصدق ان الكتائب دخلوا من أجل احلال النظام في غربي بيروت!.

لم تكن هناك ردود فعل على ملاحظة شارون وقال رئيس الحكومة انه كان مشغولاً في تحضير نص القرار.

في الليلة ما بين الخميس والجمعة وصلت المعلومات حول ما يقوم به جنود الكتائب في المخيمات إلى ٤ قيادات إسرائيلية، قيادة يارون، قيادة اللواء الشمالي الميدانية، قيادة عينان في بحمدون، وشعبة الاستخبارات/ ابحاث في تل ابيب. ولكن هذه المعلومات اعتبرت اشاعات ولم يقم أحد من القواد باستدعاء «دروري» وفي شعبة الاستخبارات في تل ابيب تقرر عدم ايقاظ شعي من نومه. وادعى «شعي» ان ضباط الاستخبارات في عاليه وقيادة عاليه بعد ان سمعا أقوال «جيسي» كان عليهما التوجه إلى ساحة الميدان للتأكد بأنفسهما من ذلك.

والسؤال الذي سيطرح نفسه دائماً: هل كانت الأمور ستدور بشكل آخر لو استلم «شعي» التحذيرات في منتصف الليل من عاليه؟! هل تدخل يارون كان سيمنع الكتائب؟ لماذا لم يخبروا دروري؟! خلال الليل طلب «جيسي» من قائد العمليات في قيادة «يارون» إضاءة المخيم إلا انه رفض ذلك لأن الكتائب يقتلون المواطنين الابرياء، غضب يارون على حبيقة وحذره وطلب منه الاسراع في تنفيذ العملية دون المس بالمواطنين، وشوهد «جيسي» وهو يتكلم مع زملائه في اللاسلكي بغضب وعصبية وتبين ان نقاشاً حاداً يدور حتى بين قادة الكتائب حول طريقة العمل داخل المخيم.

اعتقد سكان المخيم كما اتضح فيما بعد ان القوات الإسرائيلية هي التي ستدخل بعد ان شاهدوا الجنود الإسرائيليين حول المخيم ولذلك لم يهرب قسم كبير منهم، وذكر اثنان من الفلسطينيين في «معتقل انصار» ممن مكثوا في شاتيلا خلال المذبحة انهم لم يشعروا بالمذبحة ومثلهم الكثيرين!.

يوم الخميس ١٢,١٢ بعد منتصف الليل: اعلنت الاذاعة العسكرية الإسرائيلية ان مهمة تطهير المخيمات القيت على عاتق الكتائب. وهذه المرة الأولى التي يعلن فيها عن اشراك الكتائب.

يوم الجمعة ١٧ أيلول ٥,٣٠ صباحاً: بلاغ ضابط الاستخبارات من القيادة في عاليه وصل إلى رئيس مكتب الاستخبارات «موشي حبروني».

يوم الجمعة ٦,١٥ صباحاً: حبروني يخبر «شعي» عن الـ ٣٠٠ قتيل. خلال الصباح يطلب «شعي» تقصي الأمر ولكنه لم يحصل على معلومات اخرى. وفي لجنة التحقيق ادعى «شعي» انه لم يعلم حول نية شارون ادخال الكتائب إلى المخيمات إلا ان الحكام لم يصدقوا ذلك.

وخلال التحقيقات جرت مناورات بين شعي وشارون ووجهت اتهامات متبادلة.

يوم الجمعة ٧,٣٠ صباحاً: اعطي الامر في شعبة الاستخبارات الاستمرار في بحث صحة أخبار القتل في المخيمات.

يوم الجمعة ٧,٥٠ صباحاً: سمع «زئيف شيف» مراسل هآرتس العسكري من احد مصادره في قيادة الأركان العامة حول عملية «الذبح» ولأول مرة خرجت المعلومات عن النطاق العسكري. وبعد ان نفت المصادر العسكرية ذلك، توجه شيف إلى «تسيبوري» إلا انه لم يجده فتوجه إلى «كوردوس» لكي يصغي إلى محطات الإذاعة اللبنانية دون أن يخبره لماذا!.

يوم الجمعة ٨,٣٠ صباحاً: محطة الاذاعة التابعة لفرنجية تذيع خبر الدخول إلى المخيمات ولكن تقريرها لم يكن صريحاً فقد ذكرت هذه المحطة ان القوات الإسرائيلية احتلت مخيم صبرا وأمروا سكانه باخلاء المكان تحت حماية الجيش اللبناني. وكان هذا الخبر الوحيد الذي أذيع خلال اليوم حول الاحداث في المخيمات.

يوم الجمعة الثامنة صباحاً: الضابط «اي غروبويسكي» من القوات المدرعة المرابطة بجانب المخيمات يشاهد أعمال الكتائب داخل المخيم. فقد شاهد جنوداً كتائبيين يطلقون النار على رجلين حاولا المقاومة ثم على ٥ نساء وطفل. واخبره جنوده انهم ابلغوا القيادة بما يدور وكان الجواب: ذلك لا يعجبنا، لا تتدخلوا!. وعندما مر بالقرب منهم أحد الكتائبيين سألوه لماذا يقتلون النساء والاطفال فأجاب: «النساء تلدن أطفالاً سيصبحون فيما بعد مخربين.

يوم الجمعة ٩ صباحاً: انتهت عملية الذبح في «صبرا وشاتيلا» ولكن الاخبار لم تصل بعد إلى خارج المخيمات، وشك الضباط الإسرائيليون ان الكتائب لا يقومون بالتطهير والتمشيط لأنه لم تسمع طلقات نارية من المخيمات. على الحيطان كتب الجنود الكتائبيون «طوني مر من هنا»، «الوطن - العائلة - الكتائب، المشعل مر من هنا»، «لن ننسى ولن نسمح»، «قوات فرن الشباك». وتبين في وقت لاحق ان الكتائب منعوا المواطنين في المخيمات الهرب فنصبوا الحواجز ووضعوا الحراس، ورأى أحد مصوري التلفزيون الدانمركي كيف ان جنود الكتائب يعتقلون النساء الباكيات ولم يعرف انه على بعد عشرات الإمتار منه ملقية جثث القتلى. من بين العائلات التي هربت في المساء حاول البعض منهم الرجوع إلى المخيم فألقي القبض عليهم وقتلوا.

يوم الجمعة ٩ صباحاً: قائد العمليات الكتائبية فؤاد أبو نادر يصل إلى قيادة «يارون» واخبره انه جهز قوة أخرى لدخول المخيمات واعلمه ان معركة حامية الوطيس تدور في المخيمات وان الكتائب خسروا بعض الجنود والجرحى. أراد «يارون» بعد أن وصلته بعض الأخبار عما يفعله رجال حبيقة استبدالهم بقوة اخرى فأعطى أبو نادر خارطة مصورة

للمخيمات ودله على طريقة تنفيذ العمليةواتفق مع «أبو نادر» ان يعود وقت الظهر لطرح خطته.

تقرر في «الكرنتينا» في مقر قيادة الكتائب إرسال ١٧ بولدوزر لهدم المباني في المخيمات. بينت التحقيقات انه حتى هذه الساعة لم تعلم قيادة الكتائب حول المذبحة التي دارت في المخيمات. بدأت الشرطة العسكرية الكتائبية بوضع اللافتات والتجهز لدخول المخيمات وبدأت القوات النظامية بالوصول مع معداتها الكاملة إلى مطار بيروت الدولي وتولى المراقبة كل من «بوسي» قائد منطقة بيروت «جو اده» قائد القوات في الجنوب وفؤاد أبو نادر.

خلال التعليمات التي اعطيت للقوات الجاهزة على مدرج المطار حاول أحد المصورين الإسرائيليين الذي يعمل لإحدى الشبكات الأميركية ان يسجل هذه التعليمات إلا ان ضابط الكتائب ابعده وأوقف محاضرته، وكان فحوى تعلماته تطهير البيوت بالنار وعدم التغلغل في زقاقات المخيم.

يوم الجمعة ١٠ صباحاً: ممثل إسرائيلي يلتقي مع شمعون لبحث موضوع الرئاسة ولم تطرح العملية التي قامت بها القوات الكتائبية للمناقشة، وخلال الحديث وصل أمين الجميل لإقناع «شمعون» كي يدعمه، ذكر أمين فيما بعد انه لم يعلم حول دخول الكتائب إلى المخيمات.

يوم الجمعة ١١ صباحاً: وصل دروري إلى قيادة يارون. اخبر يارون دروري ان الكتائب «بالغوا» في اعمالهم واقترح ايقافهم وعدم السماح بدخول التعزيزات الجاهزة في المطار. وافق دروري وطلب أن يلتقي مع بعض ضباط جيش لبنان. اسرع يارون وأمر ضباط الكتائب بوقف تقدمهم والبقاء في أماكنهم. أكثر من مرة حذر يارون حبيقة من قتل النساء والأطفال موبخاً «جسي سوخر» على أعمال القتل.

يوم الجمعة بعد الحادية عشرة صباحاً: في مكتب وزير الاتصال «تسيبوري» يلتقي زئيف شيف مع الوزير ويخبره بشأن المذبحة ويطلب منه فحص الحقيقة.

طلب تسيبوري من شمير فحص الأمر لمصلحته وانتظر الرد لكن دون جدوى. وتبين فيما بعد ان شمير لم يطلب من موظفيه فحص الموضوع ونفى في لجنة التحقيق ان تسيبوري، خلال حديثه، حذره بوضوح. لم يعلم شمير ان «شيف» سمع حديث تسيبوري معه وخلال التحقيق أدلى شيف بشهادته وقبلت لجنة التحقيق شهادة تسيبوري.

يوم الجمعة ١٢,٣٠ ظهراً: في مكتب وزير الخارجية يلتقي «دريبر» مع شمير، شارون، شعي ولم يبحثوا موضوع المذابح في المخيمات، وخلال الاجتماع تلقى شعي بلاغاً من مكتبه ان الاستخبارات/ ابحاث ألغوا تقريرهم حول القتل في المخيم.

يوم الجمعة ١٣ ظهراً: مبعوث إسرائيلي يلتقي مع أمين الجميل ويخبره ان إسرائيل قررت دعمه. في هذه الساعات وافق يارون على ادخال قوات الكتائب الجاهزة في المطار على «شاتيلا» لإستبدال قوات حبيقة إلا ان ذلك لم يتم وبدل الاستبدال حصل تعزيز لهذه القوات.

يوم الجمعة ٣ بعد الظهر: التقى دروري مع نائب قائد الأركان اللبناني عباس حمدان وحثه على اقناع الوزان الموافقة على دخول القوات اللبنانية الشرعية إلى المخيمات.

وصل «ايتان» المطار وانضم إليه دروري ويارون ومرافقوه وتوجهوا إلى مقر قيادة الكتائب في «الكرنتينا».

يوم الجمعة ٤ بعد الظهر: مراسل التلفزيون الإسرائيلي «روبين يشاي» يأتي إلى المطار لإرسال مواد مصورة للتلفزيون الإسرائيلي فسأله أحد الضباط الجالسين في الطائرة: هل سمعت الأعمال التي يقوم بها الكتائب داخل المخيمات؟ فأجابه «بن يشاي» **لا! فعاد** بن يشاي وسأله إذا كان رأى ذلك بعينيه. ولكن الضابط نفى ذلك وقال: انهم يقومون بأعمال فظيعة! فتركه بن يشاي وشأنه. على المدرج شاهد بن يشاي القوات الكتائبية الجاهزة وكتب بعد ثلاثة أيام إلى رئيس الحكومة: علمنا من ضباط الكتائب انهم يدخلون المخيمات بالتنسيق مع القوات الإسرائيلية من أجل طرد المخربين من هناك. وأوضح بعض المقاتلين للصحافيين وبضمنهم أنا انهم سيقتلون المواطنين الابرياء دون شفقة. وكانت حركاتهم وطريقة كلامهم تدل بدون شك على نواياهم.

حاولت في المطار معرفة ما يدور داخل المخيمات ولكن الضباط سكتوا وهزوا رؤوسهم، وكما يظهر انهم يعرفون ما يدور ولكنهم غير متأكدين من ذلك.

يوم الجمعة الرابعة بعد الظهر: ٣ صحافيين يخبرون السفارة الأميركية (روبرط بارط) ان الكتائب داخل المخيمات وتم اعلام «دريبر». اتصل رجل السفارة الأميركية مع أمين الجميل وسأله عن ذلك فأجاب انه لا يعرف حول ذلك شيئاً، ولكنه اتصل فيما بعد وأكد الخبر ووعد انهم سيخرجون في أقرب وقت.

يوم الجمعة ٤,٣٠ بعد الظهر: يلتقي قائد الأركان «ايتان» ومرافقوه مع قيادة الكتائب في جو هادىء في «الكرنتينا». تكلم حبيقة عن العملية وقال ان قواته فقدت قتيلين و ٤٠ جريحاً. ووصف المعركة وقال ان المخيم يخلو الآن تقريباً من المواطنين ولم يذكر عمليات الذبح. أما «فادي فريم» فتكلم عن الضغط الأميركي وطلب المساعدة الإسرائيلية في المعدات والأدوية.

لم يحاول الطاقم الإسرائيلي المعرفة إذا كانت عمليات الذبح صحيحة أو لا!.

طلب قادة الكتائب استعارة تراكتورات لهدم المباني في المخيمات فسمح ايتان بعد ان أقنعه رجل الموساد بذلك بإعطائهم تراكتورا واحداً أعيد فيما بعد لعدم معرفتهم استعماله.

وتبين فيما بعد ان حبيقة أراد التراكتورات لدفن مئات الجثث داخل المخيمات إلا أن ذلك لم يكن واضحاً لأغلبية قادة الكتائب في ذلك الوقت.

في داخل المخيمات بدأ رجال الكتائب بجمع المواطنين وفصل اللبنانيين عن الفلسطينيين رجالاً ونساء استعداداً لعملية التشخيص.

يوم الجمعة ٦ مساء: ضابط المظليين «يأير» يخبر يارون ان النساء والاطفال يهربون من المخيمات شمالاً ويتكلمون عن الأعمال الفظيعة التي تقوم بها القوات الكتائبية.

جمع يارون ضباطه وأمرهم بعدم السماح لجنود الكتائب بالتجول في المناطق خارج المخيمات ريثما يتم اخراجهم في الصباح.

يوم الجمعة ٦,٣٠ مساء: «دريبر» يتصل بأمين الجميل ويحتج على عدم إخراج الكتائب حتى الآن.

يوم الجمعة ٨ مساء: يتصل «دريبر» في ممثل وزارة الخارجية في بيروت «بروس تشدان» ويخبره ان استعمال الكتائب في بيروت الغربية سيجلب نتائج مروعة. بعد أن اتصل «كشدان» بمدير عام وزارة الخارجية «دافيد كمحي» قيل له ان الكتائب اخترقوا المخيمات عن طريق الحواجز التي يقيمها الجيش اللبناني.

يوم الجمعة ٨,٣٠ مساء: «رون بن يشاي» في غرفة التلفزيون الإسرائيلي في بعبدا يتكلم مع ضباط القوة المدرعة التي رابطت بجانب المخيمات:

تكلم جميع الجنود والضباط وقائدهم عن أعمال القتل التي قامت بها القوة الكتائبية وذكر قائدهم انه لو رأى ذلك لكان أخبر قائد اللواء الشمالي بذلك وفي نيته فحص الأمر وصحته غداً مع جنوده (عيد رأس السنة العبرية).

في هذه الساعة عملت التراكتورات داخل المخيمات على تغطية الجثث.

يوم الجمعة ١١,٣٠ مساء: بن يشاي يتصل بشارون في مزرعته ويخبره عما سمعه من اعمال ذبح وقتل داخل المخيمات، أصغى شارون لمدة ٤ـ٥ دقائق لوصف بن يشاي ولم يعلق على ذلك. في صباح يوم السبت ١٨ أيلول بدأت الأخبار تتناقل عن أعمال الذبح في المخيمات بين قمة القيادة العسكرية الإسرائيلية إلا انهم لم يتعمقوا في بحثها نظراً للمشاكل الأخرى التي واجهوها خلال عملية القوات الإسرائيلية في غرب بيروت.

المعلومات التي تراكمت عند القيادة العسكرية لم تكن مركزة وضاعت في طريقها إلى القيادات المختلفة. حتى تدخل شيف وبن يشاي لم يؤد إلى تدخل الوزيرين شارون وشمير.

السبت ٦,٣٠ صباحاً: راديو صوت «الأمل» يعلن عن دخول القوات الكتائبية إلى المخيمات لتطهيرها من المخربين وان المقاومة ما زالت مستمرة.

السبت ٦,٣٠ صباحاً: يارون يتدخل لإطلاق سراح الأجانب الذين عملوا في مستشفى «غزة» بعد أن اتهمهم الكتائبيون انهم ينتمون إلى جماعة «بادر ميناهوف»، وقد مثل ٣ منهم أمام لجنة التحقيق للادلاء بشهاداتهم.

السبت حوالي السابعة صباحاً: يارون يحث «أبو نادر» على الإسراع في الخروج من المخيم، ويطلب منه جميع المواطنين في منطقة الاستاد للقيام بعملية التشخيص.

السبت الثامنة صباحاً: يارون بن يشاي يصف في رسالته لبيغن ما رآه في المخيمات وقال له انهم حاولوا منعه من التصوير وطردوه من جوانب المخيم. أحد الضباط الإسرائيليين أوقف طابور المواطنين وطلب إعادة النساء والاطفال إلى البيوت وأمر المليشيات المسيحية بترك المكان.. وهكذا انتهت عملية «الذبح».

وزعت القوات الإسرائيلية الحليب والطعام على المواطنين وقامت بعملية التشخيص وتم التحقيق مع ٤٤ رجلاً لم يذكر أحدهم أي شيء حول عملية الذبح.

ذكر بيغن ان ايتان لم يخبره بما يدور خلال حديثه معه في التلفون اعتقد ان المقصود هو قطاع غزة وادعى انه تواجد في الكنيس معظم ساعات اليوم.

تبين فيما بعد ان مكتب رئيس الحكومة لم يسجل المكالمات التلفونية بشكل منتظم.

السبت العاشرة صباحاً: «دريبر» يتصل «بكشدان» ويطلب منه ابلاغ شارون بـأيقاف عملية الذبح في المخيمات وان إسرائيل هي المسؤولة لأنها تسيطر على المنطقة. وفي قيادة عاليه اخبر ان العمليات قد توقفت وتم منع الكتائب من الدخول.

استلم شارون في الواحدة رسالة «دريبر» واتصل ببيغن إلا انه كان في الكنيس.

بدأ الصحافيون دخول المخيمات وتصوير الجثث وفهم الضباط الإسرائيليون أن العملية أكبر بكثير مما توقعوا. طلب دروري عدم دخول قوات إسرائيلية إلى المخيمات واتصل بقائد الأركان.

لم تكن حتى الآن الصورة واضحة واعتقدوا في البداية ان المقصود هو عشرات القتلى فقط، وكان من الصعب للجيش الإسرائيلي التأكد بسبب الأمر الذي أصدره دروري، فقد سمع ممثل الموساد في بيروت عن المذبحة فقط عندما اتصل به ولده من إسرائيل...

انصرف ضباط الكتائب من المنطقة ولم يستطع جيش الدفاع الإسرائيلي اقتفاء أثرهم.

سمع بيغن من «البي بي سي» في الخامسة حول المذبحة واتصل بشارون، فطلب الأخير من قيادة الأركان تقديم تقرير مفصل حول ذلك وبدأ يساوره الشك بعدم اتخاذ الاجراءات اللازمة لمنع هذه الأعمال من قبل القوات الإسرائيلية، ونفى شارون أمام السفير الأميركي علاقته بالعملية الكتائبية.

عندما بدأت وسائل الاعلام الاعلان عن المذبحة اسرع الكتائب بنشر ادعاءاتهم قبل ان تقوم إسرائيل بذلك.

السبت ٦,٣٠ مساء: «راديو صوت لبنان» يعلن ان قوات حداد دخلت مخيمي صبرا وشاتيلا واعتقلوا بعض الشبان وقتلوا قسماً منهم وفي اطراف المخيم هناك جثث ملقاة. كانت هذه أول محاولة كتائبية للتملص من العملية وتوجيه الاتهامات إلى إسرائيل.

أما الجهة الإسرائيلية فقد ادعت ان الكتائب دخلوا من «الشرق» دون التنسيق مع إسرائيل، وحاول الإسرائيليون اسكات الفضيحة أو التملص منها ولكنهم لم يعرفوا حتى الآن مدى الخسائر في الأرواح داخل المخيمات.

السبت في ١٠,٤٥ مساء: أذاع صوت لبنان الحر نفياً قاطعاً لعلاقة الكتائب أو وجودهم في المخيمات وطالب الاذاعات الأخرى فحص المعلومات التي تصلها قبل اذاعتها.

وفي نفس الوقت من اذاعة النفي دخلت القوات اللبنانية إلى المخيمات.

في صباح الغد توجه ايتان إلى بيروت للقاء «فادي فريم» وهناك وبخه وطالبه الاعتراف أمام الرأي العام انهم المسؤولون عن عملية الذبح، إلا ان «فادي فريم» (أصابه الخجل) قال لا ننوي التملص من ذلك، إلا ان اعترافنا سيأتي بعد الانتخابات لرئاسة الجمهورية. أما أمين فقد أعرب عن أسفه إزاء العملية في المخيمات واستنكر مثل هذه الأعمال، إلا انه لم يذكر من الذي قام بذلك. حاول بعض قادة الكتائب اقناع القيادة باصدار بلاغ آخر يذكر ان إحدى الوحدات الكتائبية لاقت معارضة شديدة في المخيمات وخلال ذلك قتل الكثير من المواطنين، خوفاً من تدهور وانهيار العلاقات مع إسرائيل، إلا ان حبيقة لم يوافق وادعى ان رجاله لن يكونوا «كبش الفداء».

أما الجميل فقد قرر عدم الاعتراف لأن ذلك سيقضي على آمال «أمين» في الانتخابات لرئاسة الجمهورية، أما الكتائب الذين شوهدوا في المخيمات فهم وكلاء إسرائيليون لم يرضخوا للاوامر.

مرت سنة كاملة حتى اعترف فادي فريم ان العملية تمت على أيدٍ لبنانية

كانت هناك بعض الأقوال ان عمليات القتل استمرت حتى يوم الأحد ١٩ أيلول، وشوهد بعض المواطنين يهربون إلى خارج المخيمات باتجاه مسجد عبد الناصر، فتوجه قائد المظليين «يأير» إلى داخل مخيم صبرا بسيارته، ولكنه لم يشاهد أي أثر لمذبحة.

تسائلت لجنة التحقيق فيما بعد إذا كانت لم تغادر في حينه قوات الكتائب بأكملها المخيمات! ولم تصل لنتيجة لهذه التساؤلات.

في مساء عيد رأس السنة العبري (١٩ أيلول) اجتمعت الحكومة واعترف شارون، رفول،، دروري ان الكتائب دخلوا المخيمات بالتنسيق مع جيش الدفاع الإسرائيلي ولكنهم أكدوا حين علموا بما يجري أنهم أمروا بإخراجهم، واعتقد ايتان ان قادة الكتائب فقدوا السيطرة على رجالهم. كان قرار الحكومة محاولة لتغطية العلاقة الإسرائيلية بعمليات الذبح، فقد ذكر في البلاغ الرسمي ان قوات لبنانية دخلت المخيمات بعيداً عن المواقع الإسرائيلية.

في ٢٠ أيلول كتب بن يشاي إلى رئيس الحكومة رسالة شخصية ذكر فيها:

اني اعتقد ان الجهات المختصة والمسؤولة كان بامكانها وقف عملية الذبح واني اتهمهم بشكل غير مباشر ليس فقط بذبح الفلسطينيين إنما بتلطيخ سمعة إسرائيل أمّام الرأي العام العالمي.

كمواطن فمن واجبي اطلاعك على حقيقة ما جرى حتى تبادر وتستوضح إذا كان وزير الدفاع ليلة الجمعة تحرك وحاول منع العملية! إذا لم تفعل ذلك فستضر بالطهارة والسمعة الطيبة التي يتمتع بها جيش الدفاع إذا بدأ الشك يساور جنود جيش الدفاع في مواقفنا وحقنا فسيؤدي ذلك إلى زوال الطموح والرغبة لأن الطموح الذي اتكلم عنه هو الذي يقف حاجزاً بين بناتي الثلاث وبين ملايين العرب الذين يريدون محونا عن الخارطة العالمية فالدبابات،الطائرات والمدافع ما هي إلا قطع حديدية إذا انعدم الطموح. وبدون الحياة بطهارتنا وصدق مواقفنا ينعدم الطموح. كمواطن إسرائيلي لا أريد أن اقف بديلاً لهؤلاء من الحرب العالمية الثانية وحتى لو أردت ذلك لا استطيع!

التشابه بين رأس الطفلة المذبوحة وابنتي كبير! فلا يمكن ان يقف أي انسان يهودي مكتوف الأيدي ازاء ذبح أي مواطن دون النظر إلى هويته...

اقترح يشاي على بيغن اقالة شارون من منصبه بالرغم من انه أحد القواد الكبار الذين قاموا لأسرائيل، لأن فائدته أقل بكثير من الأضرار التي جلبها!

كانت المذبحة «نقطة تحول» عند الشعب الإسرائيلي فقد اجبرتهم على النظر من جديد إلى أهداف المعركة وطرقها، وبات الجميع يتخبط في القيم الإسرائيلية وحتى أكبر الموافقين

على حصار بيروت اعتبروا المذبحة «الخط الأحمر» الذي عبرته إسرائيل.

ووصلت المعارضة الشعبية إلى الأوج بعد ان بدأت الصحف بكشف حقائق المذبحة والعلاقة الإسرائيلية بها واجتمعت الآلاف من الناس في تل ابيب لتندد وتطالب بلجنة تحقيق رسمية. تأزمت الأمور وبدأت تتغلغل في صفوف الجيش حتى ان «عمرام متسناع» أحد الضباط الإسرائيليين طلب الخروج إلى عطلة مستمرة احتجاجاً على تصرف شارون، وطلب «يأير» قائد المظليين مقابلة بيغن، أما شارون فلم يأت إلى بيروت وفقط وفي الاربعاء ٢٢ أيلول أعلن ولأول مرة ان دخول الكتائب تم بالتنسيق مع جيش الدفاع الإسرائيلي.

منع شارون عن «يأير» مقابلة بيغن وقال: أنا سأخرج لمقابلة هذا الضابط مع «الحارس الشاب» (منظمة استيطان إسرائيلية)، طالب «يأير» بعدم إلقاء التهم على جيش الدفاع الإسرائيلي وطلب من شارون ان يكون مستعداً لتحمل المسؤولية. وعده شارون بأن التهم لن تلقى على الضباط وأنه سيرتب له لقاء مع بيغن في القريب (اللقاء لم يتم حتى الآن).

الضغط الجماهيري أجبر بيغن أخيراً على الموافقة على اقامة لجنة تحقيق (٢٨ أيلول).

أعضاء اللجنة ـ رئيس محكمة العدل العليا ـ يتسحاق كوهين، عضو محكمة العدل العليا تراك. وضابط الاحتياط ـ يونا افرات ـ مساعدون في جمع المواد ـ درويت بنيش، عدنة اريل، الكس ايش تالوم، حاول الحكام زيارة المخيمات إلا ان حاجزاً للجيش اللبناني الشرعي منعهم من ذلك.

تبين من التحقيق:

- الطائرة بدون طيار التي حلقت في سماء المخيم حلقت في زاوية لا تسمح لها بتصوير ما يدور في المخيم.
- وحدة الاصغاء لم تستطع تسجيل مكالمات كتائبية.

تم جمع شهادة أكثر من ٢٠٠ شاهد وظهرت التناقضات الكثيرة في أقوالهم.

استطاعت اللجنة الحصول على شهادة «فادي فريم» وبعض ضباطه بسرية تامة، وخلال ذلك اعترف باشتراكهم في عملية الذبح وادعوا ان ذلك لم يكن مقصوداً وان القتل كان نتيجة لمعارك قاسية وان المخربين قاموا بقتل سجناء لبنانيين سيطروا عليهم (ولإثبات ذلك قاموا بطرح تقرير «أسعد جرمانوس» الذي أوكله أمين الجميل للتحقيق في المذبحة). وتم قتل السجناء قبل هرّبهم لكي يستطيعوا استعمال هوياتهم...

بالنسبة لعدد القتلى فقد قدرت الاستخبارات الإسرائيلية أن العدد حوالى ٧٠٠ـ ٨٠٠. أما الهلال الأحمر الفلسطيني» فقدر الخسائر بـ ٢٠٠٠ قتيل، ومن الواضح أنه تم

اصدار ۱۲۰۰ شهادة موت ويشك بذلك لأن اصدار «شهادة موت» كان سهلاً ويكفي احضار ثلاثة شهود على الموت. أو اختفاء أحد من ابناء العائلة.

حتى الآن لم يوجه عرفات والزعامة الإسلامية الاتهامات المباشرة للكتائب، انما ما زالوا يدعون ان إسرائيل هي التي قامت بذلك بمساعدة مرشدي طرقات من قوات حداد، وعندما سأل صائب سلام: لماذا لا يصدق الحقائق؟ قال: يقولون انه من الممكن القتل في سبيل الوطن، فكيف يكون من الممنوع الكذب من أجله!

أما بالنسبة للبنان فقد عمل الجميع على اخفاء الدلائل على مشاركة الكتائب في العلمية منعاً للانشقاق واشترك في عملية محو الأثار كل من سورية، الكتائب، القيادة الإسلامية، منظمة التحرير ولذلك لم يسمح «لجرمانوس» ان يدعي مواطنين لبنانيين للشهادة كما ومنع عن مقاتلي الكتائب الادلاء بأية شهادة وخشي الكثير من الفلسطينيين المثول أمام جرمانوس للادلاء بشهادتهم. الوحيد الذي وافق على الادلاء بأقواله كان «ميخائيل حروق» الذي ظهر في التلفزيون الإسرائيلي وقال: «انه لم يكن مهرب مما حدث» وبعد الحديث التلفزيوني اختفت آثاره ويقال أنه تمت معاقبته على يد القيادة الكتائبية.

ضرورة المشاركة الإسرائيلية الكتائبية رغم «المذبحة» استمرت وفي محادثات خاصة اعترفت قيادة الكتائب انها ارتكبت خطأ عظيماً إلا انهم رفضوا الادلاء بذلك أمام الرأي العام.

حتى انه وخلال التحقيقات توجه بعض قادة الكتائب إلى «شارون» وقالوا له انهم بحاجة إلى نصر عسكري، وطلبوا السماح لهم بمهاجمة «قرية درزية» إلا ان شارون رفض ذلك واقترح عليهم ان يجربوا حظهم أمام السوريين.

أما القادة الكتائبيون مثل: حبيقة، جيسي سافر، ميشيل زوين، ومارون مشعلاني فلم يعاقبوا على اشتراكهم بالعملية. أما القوات الكتائبية اللبنانية فقد دخلت المخيمات واستمرت في الاعتقالات وطردت من يجب طرده وعاد قسم كبير من المواطنين إلى المخيمات وبدأوا بترميم بيوتهم... وهكذا فشلت خطة «الطرد الجماعي» للشعب الفلسطيني من لبنان...

في أعقاب العاصفة التي ثارت بسبب المذبحة تم الاسراع في اخراج القوات الإسرائيلية من بيروت الغربية واعيدت القوات الدولية إلى العاصمة اللبنانية. وعادت العاصمة اللبنانية وانشطرت إلى قسمين ـ شرقية وغربية.

في ۷ شباط ۱۹۸۳ انتهت لجنة التحقيق من عملها وكانت النتيجة الرئيسية التي وصلتها:

مسؤولية غير مباشرة تقع على إسرائيل بسبب عدم تقييمها للخطر الكامن في إدخال الكتائب إلى المخيمات وخصوصاً بعد مقتل «بشير» زعيمهم المحبوب، كذلك عدم القيام بمنع عمليات الذبح بعد ان وصلتهم الأخبار عن ذلك.

أما المسؤولية الغير مباشرة بالنسبة للمذبحة التي تقع على أميركا، الحكومة اللبنانية وجيشها والمنظمة الفلسطينية فبقيت ـ مفتوحة!

بعد صراع عنيف اضطر شارون «ترك» وزارة الدفاع ولكنه بقي عضواً في الحكومة، وتبين ان الحرب التي كانت سترفعه وتجعله وريثاً لبيغن أدت إلى سقوطه...

لم يغفر شارون لزملائه الوزراء، واستمر بصحبة ايتان مهاجمة الهيئة القضائية واعلنوا انهم لم يقولوا كلمتهم النهائية بعد...

أهم ما جاء على لسان شارون أمام لجنة التحقيق

٢ ـ قصة التعاون المتبادل مع الكتائب:

أ ـ من أجل تنظيم ورعاية قوة لبنانية داخلية تستطيع في المستقبل استغلالها للمصلحة الإسرائيلية قررت دولة إسرائيل في السنوات ٧٥ـ٧٦ اقامة علاقة مع الكتائب واسنادهم.

ب ـ الكتائب ـ أو «القوات اللبنانية» فيما بعد يعتبرون اطاراً سياسياً مارونياً تتبع لهم ميليشيا مسلحة. علاقتهم المتوترة مع الطائفة الإسلامية بسبب كونهم أقلية في لبنان مهدت الطريق للتفاهم مع إسرائيل.

جـ ـ التعاون الذي بدأ عام ١٩٧٥ بدأ يقوى ويتعزز:

١ ـ امدادهم بالسلاح، بمعدات عسكرية، اجهزة اتصال.

٢ ـ تدريبات وارشادات ابتداء من سنة ١٩٧٨ وصاعداً.

٣ ـ مساندة واستشارة في تخطيطات عسكرية، تنظيم قوات قيادية، استخبارات ومواضيع مهنية عسكرية ـ اتصال وغيره.

د ـ في السنتين الأخيرتين ومع تعزيز العلاقة وتقويتهم العسكرية بدأت النية في إسرائيل لتخطيط خطة عسكرية تشترك فيها القوات الكتائبية وكل ذلك برضاء تام من زعامة الكتائب.

هـ - في يناير ١٩٨٢ زار وزير الدفاع ولأول مرة بيروت وهناك وضعوا النقاط الرئيسية للخطة المشتركة.

و - منذ زيارة وزير الدفاع زادت اللقاءات وقويت العلاقات بواسطة رجال الموساد الذين تواجدوا في بيروت والزيارات المتبادلة بين الطرفين.

ز - في مناقشات الحكومة على أثر حرب سلامة الجليل تم بحث موضوع احتلال بيروت الغربية بواسطة الكتائب أو جيش لبنان.

ي - في جلسة الحكومة بتاريخ ١٥/٦/١٩٨٢ بحثت عملية احتلال بيروت الغربية على يد جيش الدفاع الإسرائيلي وبمساعدة الكتائب، تمت المصادقة على ذلك واصدر الأمر إلى جيش الدفاع لتنفيذ المهمة واشترك في هذه الجلسة: نائب رئيس الموساد، رئيس الخدمات الأمنية، رئيس الاستخبارات، قائد الأركان، طمير.

وهكذا قال رئيس الحكومة في تلك الجلسة: ان المهمة لاحتلال بيروت تقع على عاتق الكتائب واذا احتاجوا للمساعدة فسنقدمها، لكن دم الشباب الإسرائيلي لن يذهب هَدراً.

القرار الذي اصدرته الحكومة يأخذ طابع الاستمرارية في الجلسات القادمة.وفي جلسة ٢٨/٦/١٩٨٢ ذكر وزير الدفاع ان من ستدخل وراءنا أو خلفنا أو معنا إلى بيروت وتطهرها ستكون القوات اللبنانية.

٣ - طاقم قيادي من القيادة المتوسطة كان عليه المحافظة على الاطار الاداري والتنظيمي. المخربون الذين بقوا في بيروت تخفوا إلى مواطنين عاديين وغرسوا داخل المواطنين الفلسطينيين في بيروت والمخيمات.

ك - ١٢ أيلول ١٩٨٢ يلتقي وزير الدفاع مع بشير بعد ان انتخب بشير رئيساً للجمهورية والقوات الدولية ستغادر بيروت وعلى ذلك فقد حوت المقابلة على تخطيطات لتعاون عسكري وسياسي والحصول على هدفين:

١ - هدف للمدى القريب: السيطرة على بيروت من أجل السيطرة على قيادات المنظمة وأرضيتها الباقية من أجل تنفيذ اتفاقية حبيب على حذافيرها.

٢ - هدف للمدى البعيد: بعد الحصول على الهدف القريب، الدخول مباشرة إلى مباحثات من اجل احلال السلام بين الدولتين.

٢ - مقتل «بشير الجميل» وتأثير ذلك على الوضع:

أ - أدى مقتل بشير الجميل إلى اهتزاز الأسس التي يقوم عليها الجهاز العسكري والسياسي الذي أقيم في بداية الحرب، ارتبك حزب الكتائب بعد ان بقوا بدون زعيمهم وقائدهم بشير الجميل مما أثار الشكوك في قدرتهم واستعدادهم على دخول بيروت الغربية وتطهيرها كما اتفق عليه من قبل.

ب - مع مقتل بشير الجميل ثارت الشكوك والمخاوف في نهوض الفئات اليسارية في بيروت الغربية (٧٠٠٠)، بمساعدة المخربين الباقين في المدينة والعمل على ازالة الاتفاق الإسرائيلي المسيحي لبناء حكم مستقل موالٍ لإسرائيل وبالتالي ترميم قيادات المنظمة التحريرية من جديد.

مقتل بشير أثار من جديد الشكوك حول دعوة القوة الدولية ثانية لكي يقوم «بناء» حاجز للدفاع عن النواة الفلسطينية الباقية في المدينة، وكثرت محاولات حبيب وزيارته المتتالية إلى المنطقة ولذلك كان من الضروري القيام بعملية سريعة للقضاء على المخربين في بيروت.

جـ - بناء على ما ذكر سابقاً اضطر جيش الدفاع إلى السماح لقواته على السيطرة السريعة في بيروت الغربية من أجل تنفيذ المهام التي خطط ان تقوم بها الكتائب مسبقاً بعد ان وافقت الهيئة السياسية على ذلك. إتخذت الاجراءات لتنفيذ هذه الخطوة بعد مشاورات قام بها وزير الدفاع مع قيادة الاستخبارات وقائد الأركان الذين أشاروا إلى التغيير الذي يمكن ان يحصل بعد مقتل بشير.

د - يجب الاذعان على انه إذا تمت السيطرة على بيروت الغربية وابعاد الفئات المعادية لإسرائيل فسيكون ذلك بعد ان تدخل القوات الإسرائيلية إلى المخيمات الفلسطينية للبحث عن المخربين المختبئين هناك.

هـ - تطهير المخيمات كصبرا وشاتيلا معناه قتال مرير مليء بسفك الدماء، من بيت إلى آخر في منطقة مبنية بكثافة يختبيء بها مئات المخربين متخفين بين المدنيين.

و - عملية كهذه كانت ستؤدي إلى الكثير من الاصابات في صفوف القوات الإسرائيلية وبالرغم من ذلك استعدت القوات لتنفيذ المهمة.

ز - في صباح ١٥ أيلول ١٩٨٢ اخبر قائد الأركان لقيادة الكتائب عن دخول القوات الإسرائيلية إلى غربي بيروت وتبين «لايتان» ان الكتائب على استعداد لتنفيذ اختراق المخيمات.

حـ - نظراً لأهمية العملية وضرورة الاسراع في تنفيذها ورغبة الكتائب في تنفيذ

المهمة فقد طلب منهم الاستعداد خلال ٢٤ ساعة لتنفيذ العملية.

ط - لم يغير مقتل بشير الجميل الاهداف التي بدأت من أجلها الحرب فقد بقيت هذه الأهداف قائمة وكل ما جرى بعد مقتل بشير هو اعطاء دفعة إلى الأمام لتنفيذ الخطوات والخطط التي اتفق عليها مسبقاً.

الأسباب التي رجحت الكفة لاختيار الكتائب من اجل تنفيذ مهمة التطهير في المخيمات:

١ - الرغبة الشديدة والمهمة في الحفاظ على حياة الجنود الإسرائيليين.

٢ - الحصول على نتائج أفضل للعملية بسبب مهارة الكتائب في تشخيص المخربين.

٣ - الفرصة التي اتاحتها الحكومة لإشراك الكتائب بشكل فعال خلال الحرب وخاصة ببيروت الغربية.

٤ - ردود الفعل العالمية التي ستعقب عملية القوات الإسرائيلية داخل المخيمات.

لماذا اعتقدوا ان الكتائب لن يقوموا بأعمال ذبح داخل المخيمات؟!

١ - أظهرت القوات الكتائبية في السابق قوة عسكرية منظمة ومطيعة نسبياً عندما طلب منها تنفيذ عمليات عسكرية بأرشاد الجيش الاسرائيلي.

٢ - احترمت القوات الكتائبية حتى ذلك الحين جميع الاتفاقات التي وقعوا عليها حتى الآن.

٣ - المستوى الفردي الذي تمتع به جنود الكتائب كان اعلى بكثير من المستوى العقلي والفكري الذي يتمتع به العربي، فقد امتازوا بالسيطرة على النفس، ولم يظهر انهم اصحاب مزاج تسيره العاطفة.

٤ - بين قمة القيادة الكتائبية واسرائيل سادت علاقات حسنة وثقة متبادلة، وارتبط الكتائب بأسرائيل ارتباطاً مطلقاً ولم يكن. هناك أي شك في أنهم سيقومون بهذه الاعمال وخصوصاً انهم يعرفون مدى الضرر الذي ستجلبه هذه العملية الأسرائيلية.

١٣ - في محادثة اجراها وزير الدفاع مع مدير عام وزارة الخارجية تبين له ان المعلومات التي بحوزتها متشابه، وعلى كل لم يكن بتلك المعلومات ما يجبر القوات الاسرائيلية على القيام بأي عملية كانت.

١٤ - مع ذلك وجد وزير الدفاع بناء على تراكم الاشاعات حول اعمال الذبح من واجبه اعلام رئيس الحكومة بما يجري كما كان يفعل طيلة الحرب.

١٥ - اخبر زئيف بيغن وزير الدفاع أن والده يصلي في الكنيست ولم تكن اعمال الذبح ذريعة كافية لاستدعاء رئيس الحكومة من الكنيست.

١٦ - عندما أخبر شارون عما يدور في السفارة الروسية طلب فحص الامر حالاً مما يدل على أن الوزير لا يهمل المعلومات المهمة التي تصله مهما كانت.

١٧ - في ساعات بعد الظهر المتأخرة اتصل رئيس الحكومة مع وزير الدفاع واخبره عما سمعه من محطة الراديو البريطانية حول المذابح في صبرا وشاتيلا، فأسرع شارون وأمر بتحضير تقير مفصل حول كل ما دار لأنه تبين له الآن ان تقرير قائد الأركان حول المذابح والاجراءات التي اتخذت لمنع ذلك لم تلائم الواقع.

١٨ - بالاضافة إلى انه لا يوجد لوزير الدفاع مصدر خاص به للمعلومات لأبلاغه ما يدور داخل الجيش، وهو يستقي معلوماته من المصادر العسكرية، كل ما ذكره وزير الدفاع فيما بعد إستبين على المعلومات العسكرية.

الفصل الرابع عشر
الاتفاقية ونقضها

مقتل بشير ادى إلى زوال حليف إسرائيل الرئيسي في لبنان! بالرغم من تصرفاته في الاسابيع الأخيرة من حياته استمر شارون ورجاله باعطائه الثقة التامة وآمنوا في قرارة أنفسهم أن ذريعته في عدم التوقيع على معاهدة سلام بسرعة كانت صادقة. وممكن القول ان السياسة الإسرائيلية في لبنان بنيت على شخصية بشير وصداقته التي دامت عدة سنوات! خشيت إسرائيل ان موته سيزيل الأمل في التفاهم مع الحكم المركزي في بيروت ومن انهيار الجهاز الإداري المسيحي الذي سيؤدي إلى نشوة مجددة فى صفوف المسلمين بتشجيع من سورية.

خلال تشييع جثمان بشير بدأ الكلام على أمين كوريث له، إلا أن إسرائيل لم تتحمس لذلك! فقد كان بشير يحذر الإسرائيليين منه لأنه يدلي بجميع المعلومات التي تصله إلى سورية. أما أمين فقد شعر ان إسرائيل تفضل بشيراً عنه وكان دائم الحذر في لقاءاته مع الإسرائيليين فقد منعهم من التصوير واهتم بأن لا يتكلم في صالح العملية الإسرائيلية أبداً.

بعكس بشير آمن «أمين» ان الطريق للحلول هي الصلح والتسوية، وكسياسي الحوار الدبلوماسي. ووصفه أحد مقربيه ـ انه سياسي لبناني من الطراز القديم.

عاد شمعون واقترح نفسه للرئاسة لأنه شعر بعدم ارتياح إسرائيل لأمين إلا أن الجواب الذي استلمه من جميع اعضاء البرلمان الذين توجه إليهم كان ـ «لبنان ١٩٨٢ ليس بحاجة إلى رئيس يبلغ ٨٢ سنة». اقترحت إسرائيل على «بيار الجميل» ترشيح نفسه إلا انه رفض بحجة انه «متقدم في السن»، وافقت إسرائيل ودريبر على أمين ووعد في لقائه مع شارون انه سيحقق «كل وعود بشير لإسرائيل».

في ٢١ أيلول تم انتخاب أمين لرئاسة الجمهورية بأغلبية ٧٧ صوتاً وبعد يومين انتقل إلى قصر بعبدا وحلف اليمين القانونية.

قبل البدء بالمحادثات تقرر أن القاء المسؤولية.. على الحكومة اللبنانية على «القطاع الأمني الإسرائيلي» ودعم سيطرتها على لبنان والوقوف على انسحاب الجيش السوري. أما جيش الدفاع الإسرائيلي فسيتواجد في «محطات انذار» فقط دون أن يكون تواجد إسرائيلي دائم في المنطقة.

وفي ١١ أكتوبر صادقت الحكومة على «ورقة العمل» هذه وخرج وزير الخارجية إلى

واشنطن.

اثنى شولتس على «ورقة العمل» الإسرائيلية وقال انه «بسيط ومعقول» وبعد ذلك سلم للمبعوث اللبناني نسخة من «الورقة» للرئيس اللبناني.

ضمت ورقة العمل الإسرائيلية التي إطلع عليها أمين:

١ ـ إقامة لجنة دائمة على مستوى رفيع لبحث إتفاقية السلام (حتى لو استمر ذلك عدة سنوات).

٢ ـ السماح للقوات الإسرائيلية بالقيام بدوريات: جوية، بحرية يومية، واجبار سلاح الطيران اللبناني على التنسيق مع إسرائيل بالنسبة لتحليق طائراته في سماء لبنان.

٣ ـ اقامة ٣ محطات انذار إسرائيلية في جنوب لبنان ـ بما في ذلك ـ جبل الباروك.

٤ ـ دمج قوات حداد في الجيش اللبناني النظامي.

٥ ـ حل جميع المليشيات المسلحة في لبنان بما في ذلك الكتائب (مع الافتراض انهم سيدمجون في الجيش اللبناني).

٦ ـ الامتناع عن نصب مدافع أو بطاريات للصواريخ على بعد ٥٠ كم من الحدود.

٧ ـ منع اقامة مكاتب لتمثيل المنظمة في بيروت (ما عدا مكتب الارتباط الفلسطيني بوكالة الغوث الدولية).

٨ ـ اقامة لجنة لتطبيع العلاقات على أساس حدود مفتوحة، تجارياً وسياحياً.

في البداية ابدى أمين موافقته على «ورقة العمل» الإسرائيلية إلا أنه تحفظ من ـ تطبيع العلاقات ـ والذي زكى اتفاقية السلام مع مصر. أما بالنسبة لحداد فقد قال: «عليه المثول أمام المدعي العام العسكري، وتدخين سيجارة واحدة فقط» حتى تتم تزكيته من تهمة الهرب والخيانة. كما أشار إلى علاقته بسورية وطلب مهلة للاستعداد وتنظيم أموره.

نص الاقتراح الإسرائيلي على انسحاب القوات الإسرائيلية فقط بعد ان يتم اخلاء المخربين من البقاع والجبل، وبعدها مبادلة الاسرى والخطوة الثالثة الانسحاب إلى ٤٠ ـ ٥٠ كم بشرط ان تقوم القوات السورية بذلك في نفس الوقت ثم دخول قوات دولية إلى البقاع المطل على طريق بيروت دمشق وسيبقى جيش الدفاع في القطاع الأمني حتى تتم عملية التطبيع وبعد ذلك وحسب لائحة توقيت مفصلة يأتي دور الانسحاب المتبادل للقوات الإسرائيلية السورية.

في البداية تفاءل «شمير» من المحادثات الأولية مع أمين وقال ان العلاقات مع الكتائب ستستمر:

«علواً، عمقاً، عرضاً، وطولاً»، وفي بيروت نشر «جوزيف أبو خليل» أربع مقالات شرح فيها مدى الفائدة في اتفاقية السلام مع إسرائيل. وفي «صوت لبنان الحر»

تكلم « سمعان القزي » عن ضرورة السلام مع إسرائيل. واستمر « فادي فريم » بتأييد السلام مع إسرائيل وتبعه « كريم بقردوني ».

حاولت جهات إسرائيلية التخطيط لتمويل واصدار جريدة في بيروت ولكن ذلك لم يخرج إلى حيز التنفيذ لأنه خلال أسابيع تغير الوضع!

من وراء الكواليس جرت محادثات ومفاوضات سرية من أجل التوقيع على اتفاقية وبسرعة! وصل ممثل أمين إلى إسرائيل والتقى مع شارون في مزرعته، كمحي وطمير (لجنة التحضير على مستوى رفيع). تم تنقيح « مذكرة »، « اسس رئيسية وخطوط موجهة »

واعتقد الممثل اللبناني ان هذه المذكرة يجب ان يقفل عليها لتكون عبارة عن تفاهم سري بينه وبين الحكومة الإسرائيلية، بينما للرأي العام تجري محادثات بين بعثات رسمية باشتراك الأميركيين حسب قواعد مختلفة! لأن « أمين » بحاجة إلى دعم الطوائف المختلفة والوصول إلى موافقة تامة وواسعة خلال المفاوضات.

في ٣٠ نوفمبر طرح « الممثل » اللبناني « تصميماته » الأخيرة، واتفق على بدء المفاوضات في خلدة بمصادقة بيروت/ بعبدا « واورشليم » واقترح بنداً ينص على حيادية لبنان والتي معناها إلغاء حالة الحرب مع جميع الدول بما في ذلك إسرائيل.

المذكرة النهائية حملت تاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٨٢، واتفق ان الجهتين ستعملان للوصول إلى اتفاقية في اقرب وقت ممكن!

الانسحاب الإسرائيلي سيتم بشرط ان يتم التوقيع على الترتيبات الأمنية، وتطبيع العلاقات، وتم تغيير المصطلح « تطبيع » بعلاقات متبادلة واتفق ان لا تترأس البعثات شخصيات عسكرية، أما التبادل التجاري فسيتم حسب قوانين البلدين وبمراقبة رجال الامم المتحدة. وتم الاتفاق أيضاً ان قوات ستنضم إلى القوات اللبنانية التي ستعمل في الجنوب وتحصل على مهات ملائمة.

وبالنسبة للتوقيت اتفق ان يعلن عنه خلال المباحثات الرسمية.

طلب من شارون التوقيع إلا أنه رفض قبل اطلاع رئيس الحكومة عليها، وعندما عاد الممثل اللبناني رفض أيضاً التوقيع وادعى ان هذه المذكرة سرية ولا حاجة للتوقيع عليها.

في ١٦ ديسمبر قدم حبيب إلى إسرائيل والتقى مع بيغن وسأل عن المذكرة وإذا كان « أمين » موافق عليها، فاجابه شارون بنعم! فرد عليه حبيب بقوله: « لم اسمع ذلك من اللبنانيين ».

وفي الغد افتخر شارون بالمذكرة التي حصل عليها خلال مفاوضاته السرية وخيبة أمله رفض اللبنانيين التوقيع عليها رغم تهديداته للجميل، بأن ابنه سيكون رئيساً لقصره إذا لم

يوقع. وصرح أمين ان الاعلان عن المذكرة جرح كرامته.

رفض أمين اقتراح بيغن اجراء المحادثات على مستوى الوزراء، حتى ان الوزان صرح بتصريحات تندد بإسرائيل ونادى بمقاطعتها. إلا ان تحذيرات شمير عن طريق « دريبر » « بقطع المفاوضات » أدت إلى اعطاء أمين الوعود بأن الوزان لن يسمع أي كلام يندد بإسرائيل في المستقبل، حتى انه امتنع عن الرد على بيغن حين شبهه: « بالطاووس الغندور ».

عندما بدأت القوات الدرزية بحربها ضد الكتائب اعتقد « أمين » ان شارون يحاول الضغط عليه بواسطة رجال جنبلاط! وادعى مقربوه ان إسرائيل لم تكتف بارسال جنود من دروز إسرائيل للانضمام إلى جنبلاط بل وتسانده بالسلاح والذخيرة وهناك لقاءات سرية بين ممثلين إسرائيليين وجنبلاط نفسه!

وقدموا اثباتات ان اسرائيل سمحت للدروز بنقل اسلحة وذخيرة من المنطقة السورية إلى الشوف. ليس هذا وحسب بل اعتقد أمين أيضاً ان إسرائيل تشجع فادي فريم وأصدقاءه لمواجهته! وفعلاً فقد راقبت إسرائيل وبقلق تضعضع الكتائب والضعف المستمر في مدى تأثيرهم.

ففي البداية أظهر أمين اهتمامه بهم وعين منهم مستشاريه وأرسلهم إلى إسرائيل للدفاع عن سياسته. ولكنه بدأ باضعاف الحزب الكتائبي، فلم يولي اية اهمية لمستشاريه من الكتائب فاستقالوا، وأخرج جنود الكتائب من بيروت الشرقية، وحل محلهم الجيش بعد ان كانت سيطرتهم تامة على المدينة الشرقية. وتمت مصادرة القسم رقم ٥ من الميناء التابع للكتائب، وعند اعلان التجنيد الاجباري بدأت القيادة الكتائبية باقناع الشباب التملص والانضمام إليهم خوفاً من انعدام القوى البشرية في قواتهم.

لم يمر وقت قصير حتى بدأ نقاش جديد في القيادة الكتائبية فقد اعلن بعضهم انه من الضروري ابعاد أمين عن الحكم على أثر تقوية المسلمين في ظل حكمه.

ويمكن القول ان الكتائب لم يفشلوا في السيطرة على لبنان وحسب إنما وبصعوبة استطاعوا الدفاع عن انفسهم من التطورات التي طرأت بعد الحرب.

وقع أمين بين تيارين ـ الكتائبي والإسلامي ـ ففي حين شجعه الكتائبيون على توقيع اتفاقية سلام عارض ذلك التيار الاسلامي الذي كان أمين بحاجة إليه لتعزيز حكمه.

وأوضح أمين على أثر ذلك لواشنطن انه لن يستطيع التوقيع على اتفاقية تشكل خطراً على الائتلاف اللبناني من جهة وعلى علاقة سورية ولبنان من جهة أخرى.

للمفاوضات الرسمية في خلدة وكريات شمونه ارسل لبنان بعثة مثلت جميع القوى السياسية والطائفية المختلفة: انطوان فتال، ابراهيم حرق، عباس حمدان، ضابط مسيحي، ضابط مسلم.

أما إسرائيل فقد ارسلت: البعثة بقيادة «دافيد كمحي» وطمير، ومن الجهة الأميركية دريبر وحبيب. رفض لبنان ان يشمل الاتفاق أسس تضر بعلاقاته مع الدول العربية وتجبره على تفضيل علاقته مع إسرائيل على علاقته مع جامعة الدول العربية ولذلك رُفضت الاقتراحات الإسرائيلية بفتح الحدود واعطاء صفة دبلوماسية لمكاتب وزارة الخارجية في البلدين.

أراد أمين كسابقه السادات ان يكسب من وراء الاتفاقية الحماية الأميركية لحكمه، فاستطاع ان يحصل على وعد أميركي لتدريب جيشه وزيادة عدده بالضعف من خلال خطة يتم تنفيذها خلال سنتين، كما حصل على مساعدات أميركية لترميم البلاد اقتصادياً.

أراد شارون من خلال محطات الانذار (تحولت من ٣ إلى ٥ محطات) ان يكون تواجد إسرائيلي مستمر بذريعة الوصول إليها، صعق اللبنانيون على أثر مطالب شارون وتوجهوا «لواشنطن» ووصف فتال هذه المحطات كمسدس مصوب نحو الدول العربية، وشروط السلام التي تقترحونها تشبه علاقة الحاكم والمحكوم، فهذه ليست سوبرماركت يمكن اختيار ما تريد منه لأن للاتفاقيات السلمية قوانين واعراف.

استمر شارون على عناده بالنسبة لمحطات الانذار ووافق على اعطاء سورية الحق في ابقاء محطات مماثلة. إلا ان البعثة اللبنانية عارضت موضوع المحطات وبشدة وحصلوا على دعم أميركي لموقفهم.

في ٢ شباط أوضح أمين موقفه لدريبر وقال انه مستعد للسماح للقوات الإسرائيلية الدخول لجنوب لبنان وليس البقاء فيه بشكل دائم...

اتفق في النهاية على ابقاء «سرية اقليمية» في القطاع الأمني. يتم مزج قوات حداد فيها، واقترحوا استبدال حداد «بسعيد قعقور» وابقاء السلاح الإسرائيلي بحوزة جنود حداد.

عارضت السعودية خطوات أمين وحذرته امن ـ نعم لكن تطبيع فلا ـ واوقفت وارداتها من لبنان على سبيل التحذير!. وكان على أمين أيضاً مواجهة القوى الاسلامية داخل لبنان، وخاصة الوزان الذي هدد أكثر من مرة بالاستقالة إذا تنازل لبنان في مطالبه أكثر من ذلك! وأتهم أمين في أحد اجتماعاته ان المسلمين يحثون المسيحيين على اتخاذ القرارات (مثل الحدود المفتوحة)، وبعد ذلك الادعاء انهم لم يشتركوا في اتخاذ هذا القرار أو ذاك.

واقترح السفير «خرمة» بتأجيل التطبيع لستة أشهر حتى يتم الانسحاب الإسرائيلي، ولكن كمحي رفض ذلك. واقترح إلغاء المفاوضات وتوفير ثمن الطعام السخي والتبرع به إلى الأب «روبرتس» من جونيه.

مرات عديدة لوحظ مدى المخاوف اللبنانية من سورية وحكى البريغادير حمدان

للاسرائيليين انه سيخبر أمين ويحاول اقناعه ان الحلول الأمنية التي يقترحها أفضل بكثير من الشروط التي حصل عليها الأسد بنفسه بالنسبة لهضبة الجولان عام ١٩٧٤.

في نظرة إلى الخلف يتضح ان السبب الذي رجح كفة سير الأمور يكمن في ان سورية استطاعت الصمود والسيطرة على أكثر من نصف مساحة لبنان ولم يفقد الأسد سيطرته عندما وصلت إسرائيل إلى ٢٥ كم عن دمشق وتصرف كأنه هو المنتصر في المعركة، فبدأ بتنظيم القوات اللبنانية الموالية له لاستنزاف الحكم اللبناني. فقوة سورية ومركزها في لبنان جعل المسيحيين يحاسبون انفسهم. وصور أحد المسيحيين الوضع وقال: (ان الطريقة الوحيدة لجعل سورية توافق على السلام هي مهاجمة إسرائيل لقواتها في لبنان والقضاء عليها وبالتالي طرد بقايا المنظمات وبذلك تضغط إسرائيل على العاصمة السورية من جهتين، وعندها ستضطر على القبول بشروط إسرائيل وستتبعها الأردن). كما واعتقد شمعون ان الحرب كان يجب ان تنتهي على ابواب دمشق، للضغط على سورية لتوقيع اتفاقية سلام وليس على لبنان.

وخلال المباحثات اقترح بضم سورية إلى المحادثات إلا ان ريغن وشمير فضلاً إبقاء سورية خارجاً ومراقبة الوضع من الخط...

من الصعب التأكد من صحة الادعاء القائل ان لإسرائيل كانت الفرصة والقدرة لاتفاق جنتلماني مع سورية على مستقبل لبنان. لأول وهلة اظهرت سورية أنها لن تتدخل وستدع جيش الدفاع الإسرائيلي للقضاء على المنظمة لتتمكن بالتالي من السيطرة على المنظمة والقضية الفلسطينية، وذلك ما ظهر من سلوك القوات السورية، حتى ان مبارك اتهم الأسد بالاتفاق مع إسرائيل للقضاء على المنظمة. ودارت الاشاعات حول لقاءات شارون مع رفعت الأسد وحكمت الشهابي. إلا ان الواقع كان يختلف تماماً فقد ركز الأسد قواته ودعى خبراء سوفيات (٥٠٠٠) ومستشارين عسكريين للبقاع، وضغط على الحكومة اللبنانية بعدم التنازل لإسرائيل على أمل بقاء سورية وحيدة على أرض لبنان.

في فبراير ١٩٨٣ تخيل «أمين» ان المنظمة ستوافق على الانسحاب وأرسل مبعوثين أميركيين إلى تونس للقاء عرفات، وأعلنت الحكومة العراقية استعدادها لاستقبال اغلبية المخربين ووافقت الأردن على استلام الباقين، لكن هذه المحاولة فشلت بسبب الارتباط بين «خطة ريغن» وحل المشكلة الفلسطينية في سير الأمور في لبنان، وخيل أحياناً ان عرفات سيوافق على الاتفاق مع الملك حسين بشأن محادثات السلام بناء على خطة ريغن، ولكن عرفات تراجع بعد ان صيغت «مسودة» الاتفاق. أما سورية وإسرائيل فقد وجدتا انفسهما معارضتين للمبادرة الأميركية كل واحدة واسبابها الخاصة. وهكذا فكرة اخلاء المخربين إلى العراق والأردن.

حاول خدام خلال زيارته لواشنطن في شهر نوفمبر اقناع «شولتس» الاصغاء للتحفظات السورية من خطة ريغن وفشل في تغييرها وبقيت كما اقترحت!

من وجهة نظر بيغن فقد قويت السيطرة السوفياتية في المنطقة نتيجة للحرب، وبقيت سورية في مواقعها على أرض لبنان، وقفز الموضوع الفلسطيني إلى قمة الصحف والمباحثات السياسية اليومية وإذا كان قد اعتقد ان الحرب ستؤدي إلى تخفيف الضغط على إسرائيل من أجل تسوية في الضفة الغربية فقد حدث العكس، فقد انتقلت واشنطن من اتفاقية الحكم الذاتي في كامب دافيد إلى اقتراح حل يقضي بانسحاب إسرائيل من معظم المناطق المحتلة.

وقبل ذلك في ٢٨ أغسطس حذرت واشنطن إسرائيل بانها لن تكتفي باخلاء المخربين دون ايجاد مبادرة لحل سياسي، وكان هذا التحذير قد اعطي لشارون خلال محادثاته مع شولتس.

وعند نشر خطة «ريغن» في ١ أيلول احتج بيغن بشدة على الانحراف عن اتفاقية كامب دافيد وعلى عدم استشارة إسرائيل قبل نشر الخطة، ورفض الخطة الأميركية مما أدى إلى أزمة حادة في العلاقات الإسرائيلية الأميركية.

لم يقض على المنظمة كفئة سياسية فعالة، ولم تنجح واشنطن في اقناع الملك حسين بالاشتراك في محادثات السلام دون مباركة المنظمة على ذلك، واستمرت المنظمة بالتمتع بثقة الدول العربية كممثلة للشعب الفلسطيني واستطاع عرفات رغم تواجد رجاله في مناطق متباعدة من السيطرة على الوضع وادارة الأمور بشكل مشرف.

خرج جورج شولتس في نهاية ابريل إلى رحلة لتخيص المفاوضات الإسرائيلية اللبنانية واخبر ريغن انه يشعر بصدق نية اللبنانيين تجاه إسرائيل. استطاع «طمير» في جلسة الحكومة اقناع الوزراء على تبديل محطات الانذار بدوريات ومراكز مراقبة مشتركة رغم معارضة شارون الشديدة للاقتراح، وتم الاتفاق على بقاء ٥٠ جندياً إسرائيلياً في محطات مراقبة مشتركة في حاصبيا وميفدون (قرب النبطية) واعطاء شرعية للحرس الوطني وضمها لقيادة الحكم اللبناني في بيروت.

وتنازلت إسرائيل عن مطالبها بالنسبة لتطبيع العلاقات واعطت أمين الجميل الحق بعدم الالتزام العلني لفتح الحدود للسياحة والتجارة الحرة بين البلدين، وتقرر انه بدلاً من الممثلة الدبلوماسية تسمى «لجنة مراقبة مشتركة» ومن جهة اخرى اعلن عن انتهاء حالة الحرب بين البلدين وتنقية لبنان من قوات معادية لإسرائيل.

وبقيت الاتفاقيات السرية التي لم يشأ لبنان اعلانها خوفاً من الانتقادات السورية والإسلامية بأيدي واشنطن، والتقى شولتس بهذا الشأن مع الحكومة الإسرائيلية وطلب من

إسرائيل عدم الاعتماد فقط على المراقبة إلى التشديد والتركيز على تقوية العلاقة مع الحكم المركزي في لبنان. في نهايته كان الاتفاق عبارة عن مغلف يحوي اتفاقيات سرية واستطاع «الجميل» احضاره أمام البرلمان اللبناني والمصادقة عليه بأغلبية ٨٠ صوتاً في جلسة مغلقة. ورمز لإسرائيل انه سيلقي خطاباً لا يعجبها ولكن إسرائيل طلبت منه عدم القيام بذلك نظراً لوضع حكومة بيغن التي تجد صعوبة كبيرة في الدفاع عن مواقفها.

كان هذا الاتفاق من الجهة الإسرائيلية يرمي إلى اخراج الجيش الإسرائيلي من الوحل اللبناني وابعاد اخطار الاستنزاف الذي اودى بحياة العشرات من الجنود الإسرائيليين ولم تستطع إسرائيل منعه والوقوف ضده بسبب التضاريس الجغرافية اللبنانية وكثافة السكان.

وعند التوقيع على الاتفاقية في ١٧ آيار عرف الجميع أنه شمل صدى بقايا لأحلام، رافقت الخروج إلى الحرب قبل سنة. ولم يعرف أحد من الذين شاركوا في المفاوضات إذا كان الاتفاق سيخرج إلى حيز التنفيذ لأن سورية والمنظمة ودروز الشوف عارضوه معارضة شديدة...

قبل ان يجف حبر الاتفاقية تحولت إلى مذكرة لا قيمة لها وغير سارية المفعول، واجبر الواقع اللبناني إسرائيل على تنازلات أخرى بالاضافة إلى الذي تنازلت عنه في الماضي.

وخرجت سورية ودروز الشوف إلى محاولة لإفشال الاتفاقية وحتى كتابة الكتاب لم ينفذ الاتفاق بين البلدين وبقي «ورقة» لا أهمية له.

فالدروز مثلاً احتجوا لأن إسرائيل وعدتهم باستشارة وليد جنبلاط وسماع ملاحظاته بالنسبة لنص البنود في الاتفاقية ولم تف بوعدها. وفي رسالة بخط يد أحد ممثلي جنبلاط لدروز إسرائيل ذكر عندما سألنا لم يطرح النص أمامنا؟ قيل لنا ان الضابط «دغمان» رافق والده المريض إلى أحد المستشفيات في الولايات المتحدة.

اسرع الأسد وقال ان الاتفاقية هي «صفقة استسلام»، وانضم إلى معارضي الاتفاقية الكثيرون من داخل لبنان.

في ليلة عيد رأس السنة العبرية انسحب الجيش الإسرائيلي من الشوف إلى الأولي، وقبل الانسحاب حاولت إسرائيل اقناع أمين الجميل بالتفاهم مع جنبلاط والمصادقة على الاتفاقية.

عرف موشيه أرنس ان الانسحاب الإسرائيلي سيؤدي إلى هزيمة الكتائب وهكذا كان. فالخروج من المستنقع اجبر إسرائيل على التحول لجهة الدروز على حساب المسيحيين.

ومع مرور سنة على مذابح صبرا وشاتيلا عادت ثانية وهذه المرة في القرى المسيحية في الشوف وعاليه ومع زوال غبار الدبابات المنسحبة بانت بقايا الاحلام المنكسرة:

بدلاً من لبنان موحد، لبنان مقسم لمناطق نفوذ لمليشيات مسلحة، بدلا من طرد السوريين قويت عزيمتهم وتأثيرهم! بدلاً من القضاء على عمليات الارهاب تجديد العمليات ضد الجيش الإسرائيلي في الجنوب.

بدلاً من القضاء على المنظمة، نمت منظمة جديدة.

بدلاً من الحصول على الهدوء في المنطقة، مواجهة بين الدول العظمى حول بيروت!

الخلاصة

حرب لبنان، ولادتها في نفس شخص واحد هائجة، مصمم على رأيه ولا يملك السيطرة على نفسه. جر أمة كاملة لمطاردة لا أمل فيها وراء أهداف بعضها خيالي. حرب أساسها الأوهام، طريقها مليئة بالخدع ونهايتها، خيبة أمل! حرب دفعنا ثمناً باهظاً مقابل انجازات لا تذكر وما نزال ندفعه يومياً... حرب بدأت «للدفاع» ثم إلى طموحات مبالغة لسياسة قريبة النظر...

هكذا انجرفت إسرائيل إلى مغامرة مبذرة، وراء خطة سطحية وضعيفة، ارسل الجيش إلى بلاد غريبة ودفع بدم أكثر من ٥٠٠ من أفضل محاربيه من أجل مهام لم تكن لهم! لا تعزية على هذه الحرب المضللة، انما النظر من جديد بصدق وصبر إلى ظروف نشوبها!

ملخص الكتاب هو ان الحرب جرت على هذا الحال بسبب تغيير جذري في انظمة الجهاز الحاكم في البلاد، تغيير، فسح المجال إلى عملية عسكرية لم توافق عليها الحكومة منذ البداية. كشفت الحرب ظاهرة غريبة من نوعها يحصل شارون فيها على الصلاحيات المطلقة ويدير الامور حسب رأيه فقط، دون ان تكون خلال الاوقات العصيبة اية معارضة ناجحة لخطواته!

قاد شارون الحرب في لبنان تماماً كما خطط لها مسبقاً. بالرغم من معارضة الحكومة، الاستخبارات والتحفظات التي ابدتها القيادة العسكرية والمعارضة والصحافة.

كيف حدث ذلك!

من الممكن اعطاء درساً مفيداً بالنسبة للمتغيرات الديمقراطية، التي تعرف الوقوف أمام تهديدات مباشرة ولكنها تجد الصعوبة في وقف مسبق لحيل ماكرة تحاول مواربتها! فقد ظهر شارون وكأنه يحرص على حصول موافقة الحكومة لكل خطوة من خطواته ودون ان يقدم تقريراً مفصلاً وشرح موقفه أمام الرأي العام، لكنه وفي الحقيقة لم تكن هذه التصرفات سوى غلاف لطريقة تحكمه بضعضعة اسس الديمقراطية وتشويهها. فقد حل الاجهزة الديمقراطية من قوة مراقبتها وانتقاداتها وأضعف فرامل الحكم الدائمة!

- فقد استغل المعلومات التي يملكها ويسيطر عليها كسلاح رئيسي لسيطرته على اتخاذ القرارات.

- أوقف تيار المعلومات التي يقدمها قائد الأركان للحكومة وبذلك استطاع فصل السلطة السياسية عن العسكرية.
- إضعاف مركز سكرتير رئيس الحكومة العسكري.
- العمل من اجل إبقاء وزير الدفاع وسيلة الاتصال الوحيدة بين الجيش والحكومة وخاصة إرغام قائد الأركان على تقبل آرائه ومن هنا فان الاعتراضات التي ابداها القادة العسكريون لم تصل إلى الحكومة. في البداية لم يخبر الحكومة انه لا مهرب من الاصطدام بالجيش السوري، ثم التقدم عبر الـ ٤٥ كم لإخافة السوريين وبعد ذلك الاقناع بأهمية السيطرة على طريق بيروت دمشق من أجل الارتباط بالقوات الكتائبية، حتى عملية دخول بيروت اعتبرها عفوية وغير مخطط لها.

فقد سحب شارون الحكومة خلفه خطوة بعد خطوة واستطاع الحصول على مصادقة لخطوات لم توافق عليها الحكومة من قبل.

كانت إحدى طرقه الرئيسية مواظبته من أجل الحصول على موافقة بيغن ومساندته، فقد ذكر أمامه بشكل دائم «اختراق حصن عرفات» واستغل تحمس بيغن الشخصي لذلك.

وحاول دائماً تخفيف شكوكه ومخاوفه من مواجهة الجيش السوري وجعله يؤمن انه أمام عملية سريعة ومضمونة. لاحظنا خلال الحرب تمييز بيغن بين عملية محدودة وعملية تبنى على اقتراحات شارون، بين غضبه على وزير الدفاع بسبب عدم استشارته وبين الرغبة في تمكن دحرجة المعركة إلى الأمام! أراد بيغن ان يرى شارون قائداً للقوات العسكرية بسبب تجربته الواسعة في هذا المجال واكتشف في وقت لاحق ان شارون يطمح في تحقيق رغبات شخصية من وراء الحرب.

ساند بيغن شارون في أغلب خطواته بما في ذلك دخول بيروت وبذلك أصبح شريكاً له في أعماله. وبالرغم من غضبه أحياناً لم يتغير في ارائه بالنسبة لما يفعله شارون ويؤمن به.

وإذا سألنا عن مدى التضليل الذي حظي به رئيس الحكومة فذلك غير مهم لأنه كرئيس حكومة مسؤول وبدون شك عن كل ما جرى، فمن جهة كان بيغن هو الذي ارخى العنان لشارون واسكت معارضيه في الحكومة مثل تسيبوري وغيره وبقي الحال كما هو مدة من الزمن حتى حصل ائتلاف قوي في الحكومة ضد شارون ومنع تدهور الأمور إلى اسوأ من ذلك، لكنهم لم يستعملوا «الفيتو» لمنع اقتراحات شارون وعدم مصادقتها ومن هنا فالحكومة مسؤولة عن الحرب حتى ولو لم تكن تعلم بكل ما يدور. ومن جهة اخرى حصل صمت مماثل في القيادة العسكرية، واكتفوا بانتقاد خطوات شارون واهدافه داخل قيادة الأركان العامة ولم يشركوا الهيئة السياسية بما يفكرون به ويرونه لصحيح! كحكومة إسرائيل أحنت القيادة

العسكرية رأسها أمام شارون وقوته، فقائد الأركان الذي لم يوافق على مهاجمة السوريين غادر جلسات الحكومة ولم يشترك بها، رئيس شعبة الاستخبارات حذر حتى تم اسكاته، أما رئيس الموساد فلم يثق بنتائج الحرب وامالها ولكن الحكومة لم تعرف رأيه السلبي هذا.

هل كان الوضع سيختلف من البداية لو تحركت القيادة العسكرية في البداية،أو بعض الوزراء وعارضوا بيغن وشارون؟

شريك آخر في الصمت كان حزب العمل، الذي خشي من انتقاد شارون علناً خوفاً من ضياع ثقة الجماهير به!

الصحافة أيضاً شريكة فنشوة الانتصارات أنستها روح الانتقاد التي تمتاز بها دائماً. والسؤال حول الواقع الإسرائيلي، هل في سنة ١٩٨٢ فقط كان من الممكن ان يسيطر على عجلة القيادة سائق متهور مستعد للتقدم بسرعة كبيرة دون ان يقوم أحد ويضغط على الفرامل لإيقافه؟! خطة «شارون» عانت من البساطة والسذاجة فقد فاحت منها رائحة منطق مزيفة. فهدف الخطة أشار إلى انه منذ الضربة الأولى على لبنان ستقوم ردود تغير الخارطة في توازن القوى حول دولة إسرائيل، القضاء على المنظمة ومركزها السياسي والمستقل، تخفيض الأسهم السورية والقضاء على الخط المصدق من جهتها، بناء حكم مركزي ثابت بقيادة بشير الجميل، تعزيز العلاقات مع الولايات المتحدةعلى أثر ازالة التأثير السوفياتي، السيطرة على الضفة الغربية وإجبار الدول المجاورة على قبول العظمة الإسرائيلية وقبول مبادرتها.

وكانت ذريعة المدافع الفلسطينية قد غطت على الأهداف التي لم يعلن عنها منذ البداية. آمن شارون ان القوة العسكرية تكفي لتغيير الواقع السياسي إلى واقع جديد يختلف عن السابق. وبسرعة فهم انه لم يقدر الوضع بالشكل الصحيح وأدى تهوره وقراراته الغير حذرة إلى حبس جيش الدفاع الإسرائيلي في هوة لا مخرج منها.

فشل شارون في تقييم الوضع الداخلي في لبنان ولم يقدر تقديراً صحيحاً مدى البعد بين الطوائف اللبنانية، وتخيل ان بشيراً هو الجواب للوضع اللبناني لكن أمله خاب حين فشل بشير في ذلك. بالنسبة لسورية والمخربين أيضاً لم يقدر شارون قوتها على الصمود والبقاء ولم يفهم ماذا سيحدث عند محاصرته لبيروت فعمليته السريعة تحولت إلى رحلة حرب طويلة وبطيئة تحفظت منها أميركا ورفض الكتائب الاشتراك بها.

بنفس القدر الذي لم يستطع تقييم اعداءه به لم يفهم جنوده، ولم يعرف انه وقت الحرب يجب ان تقول الحقيقة لجنودك، ولم يتوقع انه لن يغفر له على القتلى الذين سقطوا في عمليات لا تمت بصلة ـ لعملية دفاعية عن الوطن ـ فحرب طريق بيروت دمشق، حصار

بيروت، الجيش السوري، ايقظت الشكوك عند جنوده بالنسبة لصدق مسلكه ولم يساعدوا في رفع المعنويات في الوحدات المختلفة. كان ايمانه مغلوطاً حين اعتقد ان جيش الدفاع الإسرائيلي يستطيع العمل كآلة معدومة الاحساس خرساء ومطيعة! فقد اظهرت فرقة المظليين الفوران الذي عانى منه الجيش عندما طالبت الصحف من توجيه الانتقاد إليه وضغطه.

وشعر الجندي الإسرائيلي ان طهارة السلاح التي افتخروا بها بدأت تنهار وخصوصاً بعد عملية صبرا وشاتيلا التي حدثت تحت مراقبتهم! شارون لم يفهم معنى هذا الاحساس فقد ترك انطباعاً عند الكثيرين ان حياة جنوده لم تشكل رادعاً في اتخاذ القرارات بالرغم من عدم كون الحرب حرب حياة أو موت، فهو لم يزر الجرحى في المستشفيات ولم يشترك في اي جنازة. وطلب عدم اذاعة اسماء القتلى وعددهم في اليوم الأول حتى ظهر اليوم التالي للحرب واستعداده لإرسال قوات إسرائيلية للحرب في شوارع بيروت!

نتائج الحرب السلبية والايجابية!

زيادة على الانشقاق الداخلي الذي احدثته الحرب داخل إسرائيل واصابة مشاعر جنود جيش الدفاع من الممكن ضم نتائج أخرى اصبحت هي الأخرى جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية للمواطن الإسرائيلي! الانجاز الرئيسي للحرب كان القضاء على دولة المخربين داخل الدولة اللبنانية وابعاد مدافعها عن الحدود الشمالية. فنلاحظ ما حدث بعد الحرب من انشقاق في صفوف فتح ولجنة «أبو العليم» السرية التي تبحث عن أسباب فشل المخربين. ولكن هذا الانجاز يعتبر محدوداً لأن النواة الرئيسية للإرهاب الفلسطيني وهي المخيمات ما زالت قائمة ومن الممكن ان تعود وتظهر قيادات جديدة في المستقبل في بيروت أو طرابلس لأن قيادة المنظمة والقوى البشرية المقاتلة لم تتضرر ولم تصب بأذى.

والعامل الرئيسي لمنع احياء المنظمة من جديد في لبنان هو قيام نظام حكم يرتكز على الوفاق التام بين جميع الطوائف في لبنان إلا ان ذلك كما ظهر حتى اليوم بعيداً جداً عن التنفيذ. وخصوصاً الارتفاع في عدد عمليات التخريب التي حدثت في المدة الأخيرة في جنوبي لبنان ضد القوات الإسرائيلية، أما بالنسبة للمشكلة الفلسطينية «فخطة ريغن» تعتبر اعترافاً بوجود مشكلة للشعب الفلسطيني، وستبقى المشكلة أساس النزاع العربي الإسرائيلي ما لم يجدوا لها حلاً.

يجب ان لا نوهم انفسنا بنجاح إسرائيل القضاء على المشكلة الفلسطينية فجذورها لم تكن في لبنان، فالصعوبات التي تنتج عنها أصلها منذ البداية داخل أرض إسرائيل وليس خارجها. فنحن نخطو نحو أفق مجهول، ربما يخبيء بداخله بذور حرب أهلية داخل حدودنا

في المستقبل البعيد، والتراجيديا في حرب لبنان إن إسرائيل بعد ان ضربت المنظمة لم تختر طريق الصلح والتسوية ليس مع المنظمة ولا مع الأردن.

الانجاز الثاني والذي ذكر منذ البداية كان ضرب الجيش السوري ضربة قاضية، إلا ان سورية تدعي انها نجحت في وقف التقدم الإسرائيلي في منطقة ظهر البيدر وعلى بوابة زحلة رغم الدونية التي عانوا منها في المعارك الجوية.

الانتصار اللامع كان في قضاء الطيران على بطاريات الصواريخ وبذلك فشت إسرائيل اسراراً عسكرية كان من الممكن الحفاظ عليها لمعارك مصيرية ذات أهمية أكثر من هذه العملية.

فضرب الصواريخ شجع الاتحاد السوفياتي على تحسين هذه الأجهزة والعمل من نصب قواعد صواريخ سوفياتية على أرض سورية، وهكذا في المرة القادمة سيكون على إسرائيل مواجهة صواريخ واجهزة متطورة، وبذلك اعطيت للاتحاد السوفياتي الفرصة لإختراق الشرق الأوسط ولطردها مستعدة واشنطن على استعمال هضبة الجولان والضفة الغربية ثمناً لذلك.

في الجيش ظهرت مشاكل سيطرة وعيوب في التنسيق مثل عدم استخدام الحرب عند حلول الظلام. انعدام المبادرة الذاتية عند الكثير من الضباط أصحاب الدرجات العالية، مشاكل في الطاعة، الرفض والتملص، وكل ذلك بمدى لم يكن في الماضي.

الحكم المسيحي الذي أمل شارون ان يقف على رجليه لم ينجح، المغامرة على بشير حكم عليها منذ البداية بالفشل لأن بشيراً لم يكن ينوي منذ البداية ايفاء رغبات شارون. في ميزان القوى في لبنان كان على بشير اختيار حلف مع إسرائيل أو التدقيق على نوع من البعد والتحفظات كما يفعل أمين.

القيادة المسيحية ضللت شارون واقنعته انه بمقدورها السيطرة على لبنان وهكذا سخر بشير ورجاله من القيادة الإسرائيلية وخدعوها لخوض المعركة بدلاً منهم، ولكن النهاية كانت مرة بالنسبة لهم فقد فقدوا أكثر من ٦٠ قرية في الشوف وتحولت عشرات الآلاف من مواطنيهم إلى لاجئين، وعانوا من مذابح مروعة وعليهم الاختيار الآن بين دولة مسيحية صغيرة محاطة بالاعداء من جميع النواحي أو الاعتراف بأنهم أقلية والوصول إلى تسوية مع الاكثرية المسلمة! ومن هنا خيبة أملهم من إسرائيل!

انهارت الفرضيات المسبقة للحرب واحدة تلو الأخرى وزيادة على ذلك اضيفت عدة خسائر فادحة أخرى، فقد تلطخ اسم إسرائيل أمام الرأي العام العالمي وبدأت تظهر حملات لاسامية في اماكن مختلفة. انقطعت اواصر الصلة بين الطوائف اليهودية وإسرائيل، ازداد تعلق

إسرائيل بأميركا نظراً للثمن الباهظ للحرب، وبشكل غير مباشر ضعف السيطرة والاستيطان في الضفة الغربية بسبب التكاليف اليومية الباهظة التي يحتاجها تواجد الجيش الإسرائيلي في لبنان، فالحرب أيضاً لم تكن خسارة فادحة في الأرواح فقط انما زادت من سرعة الانهيار الاقتصادي واجبرت الحكومة القضم من ميزانيات أخرى وتقليص الخدمات العامة.

بعد مرور سنة للحرب بدأت إسرائيل الصراع من أجل انقاذ نفسها من المستنقع اللبناني الذي دخلته. عملية الانقاذ قد تكون صعبة ومريرة وفقط عند نهايته يمكن ان تقدر بشكل سليم قضية الحرب بأكملها.

بدأت إسرائيل انسحابها على خطوات. الامتحان الذي تقف أمامه الحكومة الآن هل سيكون بامكانها منع تحول الانسحاب الضروري هذا إلى فشل مطلق قد يضعف إسرائيل في صراعاتها القادمة. اجراء علاقات صداقة في لبنان في المستقبل لمنع سورية من السيطرة والنفوذ وارتكازها مجدداً على المخربين. وفوق كل ذلك، الاندفاع في الترميم والانعاش في الجيش، الجهاز السياسي حتى لا تعود هذه المعركة التي اضاعت إسرائيل دربها، فقدت ايمانها بهدف كيانها وتضعضع ثقتها بنفسها!

الملاحق

بلاغ الحكومة الإسرائيلية ١٩٨٢/٦/٦.

قررت الحكومة بما يلي؛

١ - القاء مهمة ابعاد المدافع الإرهابية، وقيادات المخربين عن المستوطنات في الجليل على جيش الدفاع الإسرائيلي:

٢ - اسم العملية: سلامة الجليل.

٣ - عند تنفيذ هذا القرار يجب الامتناع عن مهاجمة الجيش السوري إلا اذا هو قام بذلك.

٤ - ما زالت دولة إسرائيل تطمح إلى توقيع اتفاقية سلام مع لبنان المستقل والمحافظة على سيادتها وكيانها.

ابلاغ الحكومة على اتفاقية وقف النار التي نشرت في ١٩٨٢/٦/١١.

قرار الحكومة.

١ - مساء السبت ٥ يونيو ١٩٨٢ قررت الحكومة القاء مهمة عملية سلامة الجليل على جيش الدفاع الاسرائيلي.

٢ - في الخمسة أيام الأولى نفذ جيش الدفاع الإسرائيلي العملية على اكمل وجه، ببطولة، وتضحية.

٣ - طوبا لشعب هؤلاء أبناؤه المقاتلون، ضباط جيشه وجنوده.

٤ - إسرائيل تقدم احترامها لأبنائها الأبطال المقدسين الذين استشهدوا من أجل سلامة الجليل وجميع مواطني إسرائيل، المكان يعزي العائلات الثكلى.

٥ - الحكومة تبعث تمنياتها بشفاء جميع الجرحى.

٦ - بعد تنفيذ العملية، اصدرت الحكومة أمراً للجيش على جميع قياداته بوقف اطلاق النار ابتداء من اليوم الساعة ١٢ ظهراً.

٧ - ابتداء من هذه الساعة لن تطلق القوات الاسرائيلية النار على جميع الجبهات في لبنان إلا إذا اطلقت النار عليها.

٨ - كل محاولة سورية لإدخال صواريخ أرض جو إلى لبنان مرة ثانية بدلاً من التي دمرتها طائراتنا «ستصد» بجميع الوسائل التي تقع تحت تصرف سلاح الطيران.

٩ ـ إذا استمرت القوات السورية في اطلاق النار ومهاجمة قواتنا فستقع مسؤولية هذه الأعمال على الحكومة السورية.

١٠ ـ من الممكن القول الآن انه لن يكون أبداً قلق عند سكان الجليل.

١١ ـ اننا نأمل بقرب اليوم الذي سيسود السلام فيه بين إسرائيل ودولة لبنان الحرة المستقلة.

الجلسة الاسبوعية للحكومة ـ ٢٧/يونيو/١٩٨٢.

قررت الحكومة الآتي:

١ ـ ستحافظ إسرائيل على اتفاقية وقف اطلاق النار، اذا نقض العدو الاتفاقية فسيرد جيش الدفاع على ذلك.

٢ ـ حكومة إسرائيل تقترح دخول جيش لبنان إلى بيروت الغربية.

٣ ـ على منظمة «فتح» بجميع فئاتها الـ ١٥ تسليم سلاحها إلى جيش لبنان ومغادرة بيروت.

٤ ـ قافلة المخربين تحت حماية الصليب الأحمر الدولي باتجاه الحدود الدولية سورية ولبنان على طريق بيروت دمشق، وسيهتم جيش الدفاع الاسرائيلي بأنه لن تطلق النار على القافلة. وإذا قرر المخربون اختيار طريق أخرى فسيأذن جيش الدفاع لهم بذلك.

٥ ـ مع تحرير بيروت الغربية وتوحيد شقي المدينة ستبدأ المفاوضات السياسية بين الجهات المختصة من أجل الوصول إلى اتفاق يضمن للبنان سيادته وخروج جميع الجيوش الأجنبية واستقلاله والسلام لمواطنيه. هذا الاتفاق سيضمن سلامة الجليل وسكانه لإسرائيل ومواطنيها.

٦ ـ ستسر إسرائيل إذا وافقت الولايات المتحدة على تقديم خدماتها للمتفاوضين من اجل الحصول على الاتفاق.

الغنائم التي حصلت عليها القوات الاسرائيلية في حرب سلامة الجليل حتى ١٣/١٠/١٩٨٢:

٤٥٠ دبابة، آليات مجنزرة قسم منها مصاب ومحروق.

٨٨ مدفع ميدان من طراز ١٢٢، ١٣٠، ١٥٥.

٢٠٠ مدفع هاون قطر ٨١، ٨٢، ١٢٠، ١٦٠ ملم.

٦٢ كاتيوشا ١٠٧ و١٢٢ ملم ذات ٨ـ٣٠ فوهة قسم محمل على تنادر.

١٤٤ مدفعاً ضد الطائرات من طرازات مختلفة.

٤٣ رشاشاً ضد طائرات ١٤,٥ ملم.

١٣٨ مدفعاً من طرازات مختلفة.

٨٨ مدفعاً مضاداً للدبابات قطر ٥٧، ٧٦، ٨٥، ١٠٥ ملم.

٣٣٣ رشاشاً كبيراً وصغيراً.

١٠٨٩ آر بي جي.

٣٣٣٠٣ بندقية قديمة وحديثة.

٨٥٠ آلة نقل ـ سيارات شحن، جيب، سيارات خاصة.

٥٦٣٠ طن ذخيرة من أنواع مختلفة.

- يعمل سلاح من الوحدات السورية ومن اخلاء بيروت الغربية.

محتويات الكتاب

هذا الكتاب

المقدمـــة

الحرب في لبنان لم تنته بعد، وما من أحد يستطيع أن يعرف وبالتأكيد متى وكيف ستنتهي هذه الحرب التي بدأت كحرب سلامة الجليل وتقرر أن تنتهي خلال يومين أو ثلاثة أيام فقط!

هذا ليس تلخيصاً للحرب وإنما الثمرة لمحاولة التشبيد من جديد من خلال الحرب لبداياتها وتطورها حتى الانسحاب الأول.

للأسف لم يحو الكتاب (لأسباب الرقابة) جميع التفاصيل التي جمعت قبل الحرب وبعدها بسنة وما من شك بأن ما أزيل من الكتاب لم يؤثر على صيغته النهائية ولا على مضمونه. ومع ذلك سيتضح للقارىء بأن الأسماء التي وردت في الكتاب وكان لها الدور الكبير في الأحداث خلال الحرب لم تذكر بأسمائها الحقيقية... ولربما يأت يوم نستطيع كشف النقاب عنها.

حظينا بمساعدة تامة من قبل جيش الدفاع الاسرائيلي وجهاز الأمن ولولا هذه المساعدة لما توسع هذا الكتاب إلى هذا الحد.

وكذلك لا بد من ذكر عشرات الضباط والصحافيين الذين أبدوا استعداداً لمساعدتنا وامدادنا بالمعلومات التي كانت تنقصنا حتى يكون بمقدورنا حل هذا اللغز الذي يدعى «حرب سلامة الجليل».

كما وحظينا بالمساعدة من قبل رجال الحكم الأميركي وضباط من الكتائب، وفوجئنا بإبداء استعداد زعماء لبنانيين آخرين برغبتهم في مساعدتنا على جمع المواد حول هذه الحرب.

وقد ضمن الكتاب الكثير من الوثائق والحقائق، ومنها وثائق سرية من داخل المنظمة الفلسطينية.

وأخيراً باسمنا وباسم القراء نشكر كل من ساهم في إصدار هذا الكتاب.

زئيف شيف واهود يعاري